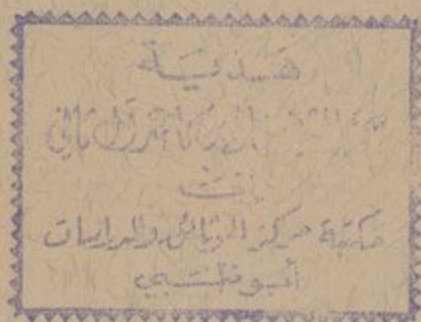




المكتبة التاريخية

مَرْوَرُجُ الذَّهَبِ
وَمَعَادُنُ الْجَوْهَرِ

تصنيف الرحالة الكبير والمؤرخ الجليل أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المصمودي
المتوفى في عام ٣٤٦ من الهجرة

راجع أصوله ، ورقه ، وضبط مبهمه ، وعلق عليه

محیی الدین محمد بن محمد

الجزء الرابع

جميع حقوق الطبع محفوظة

يُطْلَبُ مِنَ الْمَكْتَبَةِ الْعَصْرِيَّةِ فِي بَغْدَادِ

لَقَائِمِهَا بِمَحْمُودِ هَامِي

دار الحسب للطبع والنشر
بأول درجہ، لہذا میز نمبر ۱۰۳

ذكر خلافة المعتصم

وبويع المعتصم في اليوم الذي كانت فيه وفاة المأمون على عين البديدون ، بحمل تاريخه وهو يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، واسمه محمد بن هارون ، ويكنى بأبي إسحق ، وكان بينه وبين العباس بن المأمون في ذلك الوقت تنازع في المجلس ثم انقاد العباس إلى بيعته والمعتصم يومئذ ابن ثمان وثلاثين سنة وشهرين ، وأمه اساحية اسمها مارية بنت شبيب ، وقيل : إنه بويع سنة تسع عشرة ، وتوفي بئرَ مَنْ رأى سنة سبع وعشرين ، وهو ابن ست وأربعين سنة وعشرة أشهر ، فكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ، وقبره بالجوسق على ما ذكرنا

ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه

واستوزر المعتصم محمد بن عبد الملك إلى آخر أيامه ، وغلب عليه ابن أبي دواد ، ولم يزل محمد بن عبد الملك في أيام المعتصم والوائق إلى أن ولي المتوكل ، وكان في نفسه عليه شيء ، فقتله ، وسنذكر لمعا من مقتله فيما يرد من هذا الكتاب في أخبار المتوكل ، وإن كنا قد أتينا على ذلك ملخصا في الكتاب الأوسط

وكان المعتصم يحب العمار ، ويقول : إن فيها أمورا محمودة ، فأولها عمران الأرض التي يحيا بها العالم ، وعليها يزكو الخراج ، وتكثر الأموال ، وتعيش البهائم ، وترخص الأسعار ، ويكثر الكسب ، ويتسع المعاش ، وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك : إذا وجدت موضعا متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني بعد سنة أحد عشر درهما فلا تؤامرني فيه

وكان المعتصم ذا بأس وشدة في قلبه ، فذكر أحمد بن أبي دواد - وكان به قوة المعتصم وبأسه

أنسا - قال : فلما أنكر المعتصم نفسه وقوته دخلت عليه يوما وعنده ابن ماسويه
فقام المعتصم فقال لي : لا تبرح حتى أخرج إليه ، فقلت ليحيى بن ماسويه :
ويحك !! إني أرى أمير المؤمنين قد حال لونه ، ونقصت قوته ، وذهبت سؤرته ،
فكيف تراه أنت ؟ قال : هو والله زبرة من زبر الحديد ، إلا أن في يديه فأسا
يضرب بها تلك الزبرة ، فقلت : وكيف ذاك ؟ قال : كان قبل ذلك إذا
أكل السمك اتخذ له صباغا من الخل والكراويا والكمون والسداب والكرفس
والخردل ، فأكله بذلك الصباغ ، فدفع أذى السمك وأضراره بالعصب ، وإذا
أكل الروس اتخذت له أصباغ تدفع أذاها وتلطفها ، وكان في أكثر أموره
يلطف غذاءه ويكثر مشورتى ، فصار اليوم إذا أنكرت عليه شيئا خالفنى ، وقال :
آكل هذا على رغم أنف ابن ماسويه ، قال : وهو خلف الستر يسمع ما نحن
فيه ، فقلت : ويحك يا يحيى !! أدخل أصبعك في عينيه ، قال : جعلت فداك ما أقدر
أراؤه ولا أجترىء عليه في خلاف ، فلما فرغ من كلامه خرج علينا المعتصم ،
فقال لي : ما الذى كنت فيه مع ابن ماسويه ؟ قلت : ناظرته يا أمير المؤمنين
في لونك الذى أراه حائلا ، وفي قلة طعمك الذى قد هدد جوارحى وأثقل جسمى ،
قال : فما قال لك ؟ قلت : شكاً أنك كنت تقبل ما يشير به عليك وكنت
ترى فى ذلك على ما يجب وأنك الآن تخالفه ، قال : فما قلت له أنت ؟ قال :
جعلت أصرف الكلام ، قال : فضحك وقال : هذا بعد ما دخل فى عيني أو
قبل ذلك ؟ قال : فافرضت عرقاً وعلمت أنه قد سمع ما كنا فيه ، ورأى ما قد
داخنى فقال : يغفر الله لك يا أحمد ، لقد فرحت بما ظننت أنه أحزنك إذا سمعته
وعلمت أنه نوع من أنواع الانبساط والبسط

وكان المعتصم يأنس بعلى بن الجنيد الاسكافى ، وكان عجيب الصورة عجيب
الحديث ، فيه سلامة أهل السواد ، فقال المعتصم يوماً لمحمد بن حماد : اذهب بالغداة
إلى على بن الجنيد فقل له يتنبأ حتى يزاملنى ، فأثناه فقال : إن أمير المؤمنين يأمر

كان المعتصم
يأنس بعلى
ابن الجنيد

أن تزامله فتهياً لشروط مزاملة الخلفاء ، فقال على بن الجنيد : وكيف أتهياً ؟ أهياً
 لى رأساً غير رأسى ؟ أشتري حية غير لحيتى ؟ أأزيد فى قامتى ؟ أنا متهى . وفضلة ؛
 قال : لست تدري بعدما شروط مزاملة الخلفاء ومعادلتهم ؟ فقال على بن الجنيد :
 وماهى ؟ هات يامن تدري ، قال له ابن حماد وكان أدبياً ظريفاً وكان برسم
 الحجاب : شرط المعادلة الامتاع بالحديث والمذاكرة والمناولة ، وأن لا يبرق ،
 ولا يسعل ، ولا يتنحنج ، ولا يمتخط ، وأن يتقدم الرئيس فى الركوب إشفاقاً عليه
 من الميل ، وأن يتقدمه فى النزول ، فمتى لم يفعل المعادل هذا كان سواء والمثقلة
 الرصاص التى تعدل بها القبة واحداً ، وليس له أن ينام وإن نام الرئيس ، بل
 يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه وما هو راكبه ، لأنهما إذا ناما جميعاً
 فمال جانب لا يشعر بميله كان فى ذلك مالاخفاء به ، وعلى بن الجنيد ينظر إليه ؛
 فلما أكثر عليه فى هذا الوصف والشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول أهل
 السواد : آه حرها اذهب له فقل له ما يزاملك إلا من أمه زانية وهو كشحان ،
 فرجع ابن حماد فقال للمعتصم ما قال ، فضحك المعتصم وقال : جئنى به ، فجاءه
 فقال : يا على ، أبعث إليك تزاملى فلا تفعل ؟ فقال : إن رسولك هذا الجاهل
 الأزعر جاءنى بشروط حسان الشاشى وخالويه المحاكى فقال : لا تبرق ، ولا تفعل
 كذا ، وافعل كذا ، وجعل يمحطط فى كلامه ، ويترفع من صاداته ، ويشير بيديه ،
 ولا يسعل ، ولا يعطس ، وهذا لا يقوم لى ولا أقدر عليه ، فان رضيت أن أزاملك
 فان جاءنى النساء فسوت عليك وضرطت ، وإذا جاءك أنت فأده فافسو وأضرط
 وإلا فليس بينى وبينك عمل ، فضحك المعتصم حتى فخص برجليه وذهب به
 الضحك كل مذهب ، وقال : نعم زاملنى على هذه الشريطة ، قال : نعم وكرامة ،
 فزامله فى قبة على بغل ، فسار ساعة ، وتوسطا البر ، فقال على : يا أمير المؤمنين
 حضر ذلك المتاع فما ترى ؟ قال : ذلك إليك إذا شئت ، قال : تحضر ابن حماد
 فأمر المعتصم بإحضاره ، فقال له على : تعال حتى أسارك ، فلما دنا منه فسا ،

وناوله كنه ، وقال : أجد ديب شىء فى كمى فانظر ماهو ، فأدخل رأسه ، فشم رائحة الكنيف ، فقال : ما أرى شيئا ولكنى لم أعلم أن فى جوف ثيابك كنيفا ، والمعتصم قد غطى فيه بكبه ، وقد ذهب به الضحك كل مذهب ، ثم جعل يفسو فساء متصلا ، ثم قال لابن حماد : قلت لى لاتسعل ولا تبرق ولا تمخط فلم أفعل ، ولكنى أخرا عليك ، قال : فاتصل فساؤه والمعتصم يخرج رأسه من العمارية ، ثم قال للمعتصم : قد نضجت القدر ، وأريد أخرى ، فقال المعتصم ورفع صوته حين كثر ذلك عليه : ويلك يا غلام الأرض الساعة أموت

ودخل على بن الجنيد الاسكافى يوما على المعتصم فقال له بعد أن ضاحكه وزها له : يا على ، مالى لا أراك ويلك ! ؟ أنسيت الصحبة وما حفظت المودة ؟ فقال له حينئذ : بالغ الكلام الذى أريد أن أقول قلته أنت ما أنت إلا إبليس ، فضحك ثم قال : لاتجبنى ، قال : آه كم أجىء فلا أصل ، أنت اليوم نبيل ، فكأنك من بنى مارية ، و بنو مارية أناس من أهل السواد يضرب بهم أهل السواد الأمثال لكبرهم فى نفوسهم ، فقال له المعتصم : هذا سندان التركى ، وأشار إلى غلام على رأسه بيده مذبة ، وقال له : ياسندان ، إذا حضر على فأعلمنى وإن أعطاك رقعة فأوصلها إلى ، وإن حملك رسالة فأخبرنى بها ، قال : نعم ياسيدى ، وانصرف ، فأقام أياما ثم جاء يطلب سندان فقالوا : هو نائم ، فانصرف ثم عاد ، فقالوا : هو داخل ، ولاتصل إليه ، فانصرف وعاد ، فقالوا : هو عند أمير المؤمنين ، فاحتال حتى دخل عند المعتصم من جهة أخرى ، فضاخكه ساعة وعاتبه ، وقال له : يا على ، ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن رأيت سندان التركى فأقره منى السلام ، فضحك وقال : ماحاله ؟ قال : حاله أنك جعلت بنى وبينك إنسانا رأيتك قبل أن أراه ، وقد اشتقت إليه فأسألك أن تبلفه منى السلام ، فغلب المعتصم الضحك ، وجمع بينه وبين سندان ، وأكد عليه فى مراعاة أمره ، فكان لا يمنع منه

وعبر المعتصم من سرمن رأى من الجانب الغربى - وذلك فى يوم مطير ، مر المعتصم
وقد تبع ذلك ليلة مطيرة - وانفرد من أصحابه ، وإذا حمار قد زلق ورمى بما
عليه من الشوك ، وهو الشوك الذى توقد به التناير بالعراق ، وصاحبه شيخ ورمى بما
ضعيف واقف ينتظر إنسانا يمر فيعينه على حملة ، فوقف عليه ، وقال : مالك
ياشيخ ؟ قال : فديتك حمارى وقع عنه هذا الحمل ، وقد بقيت أنظر إنسانا يعيننى
على حملة ، فذهب المعتصم ليخرج الحمار من الطين فقال : جعلت فداك تفسد
ثيابك هذه وطيبك الذى أشمه من أجل حمارى هذا ؟ قال : لا عليك ، فنزل
واحتمل الحمار بيد واحدة وأخرجه من الطين ، فهت الشيخ وجعل ينظر إليه
ويتعجب ، ويترك الشغل بحماره ، ثم شد عنان فرسه فى وسطه وأهوى إلى الشوك
وهو حزمَتان فحملهما فوضعهما على الحمار ، ثم دنا من غدير فغسل يديه واستوى
على فرسه ؛ فقال الشيخ السوادى : رضى الله عنك ، وقال بالنبطية : اسعل
فرمى بأجوافنا ، وتفسير ذلك فديتك يا شاب ، وأقبلت الخيول فقال لبعض
خاصته : أعط هذا الشيخ أربعة آلاف درهم ، وكن معه حتى تجاوز به أصحاب
المسالح ، وتبلغ به قرينته

وفى سنة تسع عشرة ومائتين كانت وفاة أبى نعيم الفضل بن دكين مولى
طلحة بن عبد الله بالكوفة ، وبشر بن غياث المريسى ، وعبد الله بن رجاء
العراق

وفىها ضرب المعتصم أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطا ليقول بخلق القرآن
وفى هذه السنة - وهى سنة تسع عشرة ومائتين - قبض محمد بن على بن
موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وذلك لخمس
خاؤون من ذى الحجة ، ودفن ببغداد فى الجانب الغربى بمقابر قريش مع جده
موسى بن جعفر ، وصلى عليه الواثق ، وقبض وهو ابن خمس وعشرين سنة ،
وقبض أبوه على بن موسى الرضا ومحمد ابن سبع سنين وثمانية أشهر ، وقيل غير

موت جماعة
من العلماء

ذلك ، وقيل : إن أم الفضل بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة إلى المعتصم سمته ، وإنما ذكرنا من أمره ما وصفنا لأن أهل الإمامة اختلفوا في مقدار سنه عند وفاة أبيه ، وقد أتينا على ما قيل في ذلك في رسالة البيان في أسماء الأئمة ، وما قالت في ذلك الشيعة من القطعية

وفي هذه السنة - وهي سنة تسع عشرة ومائتين - أخاف المعتصم محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله ، وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع ونهاية الوصف ، فلما خاف على نفسه هرب فصار إلى خراسان ، فتنقل من مواضع كثيرة من كورها كمرو وسرخس والطالقان ونسا ، فكانت له هناك حروب وكوائن وانقاد إليه وإلى إمامته خلق كثير من الناس ، ثم حمله عبد الله بن طاهر إلى المعتصم فحبسه في أزج اتخذ في بستان بسر من رأى ، وقد تنوزع في محمد بن القاسم : فمن قائل يقول : أنه قتل بالسم ، ومنهم من يقول : إن ناسا من شيعته من الطالقان أتوا ذلك البستان فتأقوا للخدمة فيه من غرس وزراعة وأخذوا سلام من الحبال واللبود والطالقانية وتقبوا الأزج وأخرجوه فذهبوا به ، فلم يعرف له خير إلى هذه الغاية ، وقد انقاد إلى إمامته خلق كثير من الزيدية إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثمانئة - ومنهم خاق كثير يزعمون أن محمدا لم يمت وأنه حي يرزق ، وأنه يخرج فيماؤها عدلا كما ملئت جورا . وأنه مهدي هذه الأمة . وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان ، وقول هؤلاء في محمد بن القاسم نحو قول رافضة الكيسانية في محمد بن الحنفية ، ونحو من قول الواقفية في موسى ابن موسى بن جعفر ، وهم المبطورة ، بهذا تعرف هذه الطائفة من بين فرق الشيعة وقد أتينا على وصف قولهم في المقالات في أصول الديانات ووصف قول غلاتهم من العلوية وغيرهم من الحمدية وسائر فرق أهل الباطل ممن قال بتنقل الأرواح في أنواع الأشخاص من بهم الحيوان وغيره في كتابنا المترجم بكتاب «سرا الحياة»

محمد بن القاسم
العلوي

قف على بعض
فوق لمهدوية

وكان المعتصم يحب جمع الأتراك وشراءهم من أيدي مواليهم ، فاجتمع له منهم أربعة آلاف ، فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة والخليفة المذهبة ، وأبانهم بالزى عن سائر جنوده ، وقد كان اصطنع قوما من حوفى مصر من حوف اليمن وحوف قيس ، فسأهم المغاربة ، واستنقذ رجال خراسان من الفراعنة وغيرهم من الأشروسية ، فكثرت جيشه ، وكانت الأتراك تؤذى العوام بمدينة السلام بحريها الخيول فى الأسواق وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك ، فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمة لامرأة أو شيخ كبير أو صبى أو ضرير ، فعزم المعتصم على النقلة منهم ، وأن ينزل فى فضاء من الأرض ، فنزل الراذان على أربعة فراسخ من بغداد ، فلم يستطع هواءها ، ولا اتسع له هواؤها ؛ فلم يزل يتنقل ويتقرى المواضع والأماكن إلى دجلة وغيرها حتى انتهى إلى الموضع المعروف بالقاطول ، فاستطاب الموضع ، وكان هناك قرية يسكنها خلق من الجرماقة وناس من النبط على النهر المعروف بالقاطول آخذاً من دجلة فبنى هناك قصراً وبنى الناس وانتقلوا عن مدينة السلام وخالت من السكان إلا اليسير ، وكان فيما قاله بعض العيارين فى ذلك معيراً للمعتصم بانتقاله عنهم :

أيساكن القاطول بين الجرماقة تركت ببغداد الكباش البطارقة
ونالت من المعتصم شدة عظيمة لبرد الموضع وصلابة أرضه ، وتأذوا ليالى ،
ففى ذلك يقول بعض من كان فى الجيش :

قالوا لنا إن بالقاطول مشتنا
فَنَحْنُ نأمل صنع الله مولانا
الناس يأترون الرأى بينهم
والله فى كل يوم مُحَدِّثُ شانا

ولما تأذى المعتصم بالموضع وتعذر البناء فيه خرج يتقرى المواضع ، فأنتهى إلى موضع سَامُرًا ، وكان هناك للنصارى دير عادى ، فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع ، فقال : يعرف بسامرا ، قال له المعتصم : وما معنى سامرا ؟ قال : نجدها فى الكتب السالفة والأهم الماضية أنها مدينة سام بن نوح ، قال له

اصطناع
المعتصم
للأتراك

القاطول وقصر
المعتصم عنده

بناء سامرا

المعتصم : ومن أى بلاد هى ؟ وإلام تضاف ؟ قال : من بلاد طبرهات ، وإليها تضاف ، فنظر المعتصم إلى فضاء واسع تسافر فيه الأبصار ، وهواء طيب ، وأرض صحيحة ، فاستمرأها واستطاب هواءها ، وأقام هنالك ثلاثا يتصيد فى كل يوم ، فوجد نفسه تتوق إلى الغذاء وتطلب الزيادة على العادة الجارية ، فعلم أن ذلك لتأثير الهواء والتربة ، فلما استطاب الموضع دعا بأهل الدير فاشتري منهم أرضهم بأربعة آلاف دينار ، وارتاد لبناء قصره موضعا فيها ، فأسس بنيانه ، وهو الموضع المعروف بالوزيرية بسر من رأى ، وإليها يضاف التين الوزيرية ، وهو أعذب الأتيان وأرقها قشرا وأصغرها حبا ، لا يبلغه تين الشام ، ولا تين أهان وحلوان ، فارتفع البنيان ، وأحضر له الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الأمصار ، ونقل إليها من سائر البقاع أنواع الغروس والأشجار ، فجعل للأتراك قطائع متحيزة ، وجاورهم بالفراعنة والأشروسية وغيرهم من مدن خراسان على قدر قربهم منهم فى بلادهم ، وأقطع أشناس التركى وأصحابه من الأتراك الموضع المعروف بكرخ سامرا ، ومن الفراعنة من أنزلهم الموضع المعروف بالعمري والجسر ، واختطت الخطط ، واقتطعت القطائع والشوارع والدروب ، وأفرد أهل كل صنعة بسوق ، وكذلك التجار ؛ فبنى الناس ، وارتفع البنيان ، وشيدت الدور والقصور ، وكثرت العمارة ، واستنبتت المياه ، وجرت من دجلة وغيرها ، وتسامع الناس أن دار ملك قد اتخذت فقصدوها ، وجهزوا إليها من أنواع الأمتعة وسائر ما ينفع به الناس وغيرهم من الحيوان ، وكثر العيش ، واتسع الرزق ، وشملهم الإحسان ، وعمهم العدل ، وكان بدء ما وصفنا فيما فعله المعتصم سنة إحدى وعشرين ومائتين

بابك الخرمى واشتد أمر بابك وسار عساكره نحو تلك الأمصار فذق العساكر وكثر الجيوش ، فسير إليه المعتصم بالجيوش وعليها الأفشين ، وكثرت حروبه ، واتصل وضاق بابك فى بلاده حتى انفض جمعه ، وقتل رجاله ، وامتنع بالجليل المعروف باليد من أرض الران ، وهى بلاد بابك ؛ وبه يعرف إلى هذا الوقت ، فلما

استشعر بابك ما نزل به وأشرف عليه هرب من موضعه ، وزال عن مكانه ،
فتنكر هو وأخوه وولده وأهله ومن تبعه من خواصه ، وقد تزيابزى السفر وأهل
التجارة والقوافل ، فنزل موضعا من بلاد أرمينية على بعض المياه ، و بالقرب منهم
راعى غنم ، فابتاعوا منه شاة ، وساموا شراء شىء من الزاد لهم ، فمضى من فوره
إلى سهل بن سنباط فأخبره الخبر ، وقال : هو بابك لا شك فيه ، وقد كانت
الأفشين لما هرب بابك من موضعه وزال عن جبله خشى أن يعتصم ببعض الجبال
المنيعه ، أو يتحصن ببعض القلاع ، أو ينضاف إلى بعض الأمم القاطنة ببعض
تلك الديار فيكثر جمعه وينضاف إليه فلأل عسكره فيرجع إلى ما كان من أمره ؛
فأخذ الطرق ، وكاتب البطارقة فى الحصون والمواقع من بلاد أرمينية وأذربيجان
والران والبيلقان ، وضمن فى ذلك الرغائب ، فلما سمع سهل بن سنباط من الراعى
ما أخبره به سار من فوره فيمن حضر من عدده وأصحابه حتى أتى الموضع الذى
فيه بابك ، فترجل له ، ودنا منه ، وسلم عليه بالملك ، وقال له : أيها الملك ، قم إلى
قصرك الذى فيه وليك وموضع يمتنعك فى الله من عدوك ، فسار معه إلى أن أتى
قلعته ، وأجلسه على سريرته ، ورفع منزلته ، ووطأ له منزله ومن معه ، وقدمت المائدة ،
وقعد يأكل معه ، فقال له بابك بحبله وقلة معرفته بما هو فيه ومادفع إليه : أمثلك
يأكل معى ؟ ! فقام سهل عن المائدة ، وقال : أخطأت أيها الملك ، وأنت أحق
من احتمل عبده ، إذ كانت منزلتى ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك ، وجاءه
بحداد ، وقال له : مدرجلك أيها الملك ، وأوثقه بالحديد ، فقال له بابك :
أغدرأ يسهل ؟ ! قال : يا ابن الخبيثة ، إنما أنت راعى غنم وبقر ما أنت والتدبير
الملك ونظم السياسات ؟ ! ! وقيد من كان معه ، وأرسل إلى الأفشين يخبره
الخبر ، وأن الرجل عنده ، فسرح إليه الأفشين أربعة آلاف فارس عليهم
الحديد ، وعليهم خليفة يقال له بوماده ، قتلته ومن معه ، وأتى به إلى الأفشين
ومعه ابن سنباط ، فرفع الأفشين منزلة سهل ، وخلع عليه ، وجعله ، وتوجه
وقاد بين يديه ، وأسقط عنه الخراج ، فأطلقه ، وأطلقت الطيور إلى المعتصم ،

وكتب إليه بالفتح ، فلما وصل إليه ذلك ضج الناس بالتكبير ، وعمهم الفرح ، وأظهروا السرور ، وبثت الكتب إلى الأمصار بالفتح ، وقد كان أفى عساكر السلطان ، فسار الأفشين ببابك ، وتنقل بالعساكر ، حتى أتى سر من رأى ، وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وتلقى الأفشين هرون بن المعتصم وأهل بيت الخلافة ورجال الدولة ، ونزل بالموضع المعروف بالقاطول على خمسة فراسخ من سامرا ، وبعث إليه بالفيال الأشهب ، وكان قد حمله بعض ملوك الهند إلى المأمون ، وكان فيلا عظيما قد جلل بالديباج الأحمر والأخضر وأنواع الحرير الملون ، ومعه ناقه عظيمة نجبية قد جللت بما وصفنا ، وحمل إلى الأفشين دراعة من الديباج الأحمر منسوجة بالذهب قد رصع صدرها بأنواع الياقوت والجوهر ودراعة دونها وقلنسوة عظيمة كالبرنس ذات سفاسك بألوان مختلفة ، وقد نظم على القلنسوة كثيرا من اللؤلؤ والجوهر ؛ وأليس بابك الدراعة ، وألبس أخوه الأخرى ، وجعلت القلنسوة على رأس بابك ، وعلى رأس أخيه نحوها . وقدم إليه الفيال ، وإلى أخيه الناقة ، فلما رأى صورة الفيال استعظمه وقال : ما هذه الدابة العظيمة ؟ واستحسن الدراعة ، وقال : هذه كرامة ملك عظيم جليل إلى أسير فقد العز ذليل : أخطأته الأقدار ، وزالت عنه الجود ، وتورطته المحن ، إنها لفرحة تقتضى ترحه ، وضرب له المصاف صفين في الخيل والرجل والسلاح والحديد والرايات والبنود ، من القاطول إلى سامرا ، مدد واحد متصل غير منفصل ، و بابك على الفيال وأخوه وراءه على الناقة ، والفيال يخطر بين الصفين به ، و بابك ينظر إلى ذات اليمين وذات الشمال ، ويميز الرجال والعدد ، ويظهر الأسف والحنين على ما فاته من سفك دمائهم ، غير مستعظم لما يرى من كثرتهم ، وذلك يوم الخميس لليتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ولم ير الناس مثل ذلك اليوم ، ولا مثل تلك الزينة ، ودخل الأفشين على المعتصم ، فرفع منزلته ، وأعلى مكانه ، وأتى ببابك فطوف به بين يديه ، فقال له المعتصم : أنت بابك ؟ فلم يجب ، وكررها عليه مرارا ، و بابك ساكت ،

فقال إليه الأفشين وقال : الويل لك ، أمير المؤمنين يخاطبك وأنت ساكت ؟
 فقال : نعم أنا بابك ، فسجد المعتصم عند ذلك ، وأمر بقطع يديه ورجليه
 قال المسعودي : ورأيت في كتاب أخبار بغداد لما وقف بابك ، بين يديه لم
 يكلمه طويلا ، ثم قال له : أنت بابك ؟ قال : نعم ، أنا عبدك وغلأمك ، وكان
 اسم بابك الحسين ، واسم أخيه عبدالله ، قال : جردوه ؛ فسلبه الخدام ما عليه من
 الزينة ، وقطعت يمينه ، وضرب بها وجهه ، وفعل مثل ذلك يساره ، وثلاث
 برجليه ، وهو يتمرغ في النطع في دمه ، وقد كان تكلم بكلام كثير يرغب في
 أموال عظيمة قبله ، فلم يلتفت إلى قوله ، وأقبل يضرب بما بقى من زنديه وجهه ؛
 وأمر المعتصم السيف أن يدخل السيف بين ضلعين من أضلاعه أسفل من القلب
 ليكون أطول لعذابه ، ففعل ، ثم أمر بحجز لسانه وصلب أطرافه مع جسده ، ثم
 حمل الرأس إلى مدينة السلام ، ونصب على الجسر ، وحمل إلى خراسان بعد
 ذلك يطاف به كل مدينة من مدنها وكورها ، لما كان في نفوس الناس من
 استفحال أمره وعظم شأنه وكثرة جنوده وإشرافه على إزالة ملك وقلب ملة
 وتبديلها ، وحمل أخوه عبد الله مع الرأس إلى مدينة السلام ، ففعل به إسحق بن
 إبراهيم ما فعل بأخيه بابك بسامرا ، وصلب جثة بابك على خشبة طويلة في أقاصى
 سامرا ، وموضعه مشهور إلى هذه الغاية يعرف بكنيسة بابك ، وإن كانت سامرا
 في هذا الوقت مما خلا ساكنها وبان عنها قاطنها ، إلا يسيرا من الناس في بعض
 المواضع بها ، ولما قتل بابك وأخوه ركان من أمره ما تقدم ذكره قام في مجلس
 المعتصم الخطباء فتكلموا ، وقالت الشعراء ؛ فممن قام في ذلك اليوم إبراهيم بن
 المهدي فقال شعرا بدلا من الخطبة ، وهو :

يا أمين الله إنَّ اا حمد لله كثيرا

هكذا النصر فلا زل لك النصر وزيرا

وعلى الأعداء أعطيت من الله ظهيرا

وهنيئاً هيئاً الا ه لك الفتح يسيرا
فهو فتح لم ير انه اس له فتحاً نظيرا
وحزى الأفشين عبدا لله خيرا وجبورا
فلقد لاقى به با بك يوما قطيرا
ذاك مولاك الذى أأ نميته جلدأ صبورا
لك حتى ضرج السيف ف له خدا نضيرا
ضربة أبقت على الدهر ر له فى الوجه نورا

وتوج الأفشين بتاج من الذهب مرصع بالجواهر وإكليل ليس فيه من
الجواهر إلا الياقوت الأحمر والزمرذ الأخضر ، قد شبك بالذهب ، وألبس وشاحين
زواج الحسن ابن الأفشين
وزوج المعتصم الحسن بن الأفشين بأترجة بنت أشناس ، وزفت إليه ، وأقيم لها
عرس يجاوز المقدار فى البهاء والجمال ، وكانت توصف بالجمال والكمال ، ولما
كان من ليلة الزفاف ماعم سروره خواص الناس وكثيرا من عوامهم قال المعتصم
أبياتا يصف حسنها وجهها واجتماعها وهى :

زفت عروس إلى عروس بنت رئيس إلى رئيس
أيهما كان ليت شعرى أجل فى الصدر والنفوس
أصاحب المذهب المحلى أم ذى الوشاحين والشموس

وفى هذه السنة وهى سنة ثلاث وعشرين خرج نوفل ملك الروم فى عساكره
ومعه ملوك برجان والبرغر والصقالبة وغيرهم ممن جاورهم من ملوك الأمم حتى نزل
على مدينة زبطرة من الثغر الجورى ، فافتتحها بالسيف ، وقتل الصغير والكبير
وأغار على بلاد ملطية ، فضج الناس فى الأمصار ، واستغاثوا فى المساجد والديار ؛
فدخل إبراهيم بن المهدي على المعتصم ، فأنشده قائما قصيدة طويلة يذكر فيها
حرب المعتصم والروم
ما نزل بمن وصفنا ويحثه على الجهاد ؛ فيها :

ياغارة الله قد عاينت فانتمكي هتك النساء وما منهن يرتكب

هب الرجال على أجرامها قتلت ما بال أطفالها بالذبح تنتهب

وإبراهيم بن المهدي أول من قال في شعره « ياغارة الله » نخرج المعتصم من

فوره نافرا عليه دراعة من الصوف بيضاء ، وقد تعمم بعمامة الغزاة ، فعسكر

غربي دجلة ، وذلك يوم الاثنين ليلتين خلتا من جمادى الأولى سنة ثلاث

وعشرين ومائتين ، ونصبت الأعلام على الجسر ، ونودي في الأمصار بالنفير

والسير مع أمير المؤمنين ، فسارت إليه العساكر والمطوعة من سائر الاسلام ،

وجعل على مقدمته أشناس التركي ، ويتلوه محمد بن إبراهيم ، وعلى ميسرته جعفر

ابن دينار ، وعلى ساقته بغا الكبير ، وعلى القلب عجيف ، وسار المعتصم من

الثغور الشامية ، ودخل من درب السلامة ، ودخل الأفشين من درب الحرث ،

ودخل الناس من سائر الدروب ، فلم يكن يحصى الناس العدد ، ولا يضبطون

كثرة ، فمن مكثر ومقلل : فالمكثري يقول خمسمائة ألف ، والمقلل مائتي ألف ،

ولقي ملك الروم الأفشين ، فخاربه فهزمه الأفشين ، وقتل أكثر بطارقته وأصحابه

وحماه رجل من المتنصرة يقال له نصير في خلق من أصحابه ، وقد كان الأفشين

قصر عن أخذ الملك في ذلك اليوم حين ولى ، وقال : هو ملك ، والملوك تبق بعضها

على بعض ، وفتح المعتصم حصونا كثيرة ، ونزل على مدينة عمورية ففتحها الله على

يديه ، وخرج لاوى البطريق منها ، وسلمها إليه ، وأسر البطريق الكبير منها ،

وهو باطس ، وقتل منها ثلاثين ألفا ، وأقام عليها أربعة أيام يهدم ويحرق ،

وأراد المسير إلى القسطنطينية والنزول على خليجها والحيلة في فتحها برا وبحرا ،

فأتاه ما أزعجه وأزاله عما كان عزم عليه من أمر العباس بن المأمون ، وأن

ناسا قد بايعوه ، وأنه كاتب طاغية الروم ، فأعجل المعتصم في مسيره ، وحبس

العباس وشيعته ، وفي هذه السنة مات العباس بن المأمون

العباس وشيعته ، وفي هذه السنة مات العباس بن المأمون

فتح عمورية

خروج العباس

ابن المأمون

الابقاع
بالأفشين

وفي سنة خمس وعشرين أدخل المازيار بن مازن بن بندار هرمس صاحب
جبال طبرستان إلى سامرا فأقر على الأفشين أنه يمته على الخروج والعصيان
لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والجوس ، وقبض
على الأفشين قبل قدوم المازيار بسامرا بيوم ، وأقر عليه كاتب يقال له سابور ،
فضرب المازيار بسوط حتى مات بعد أن شهر وصلب إلى جانب بابك ، وقد كان
المازيار رغب المعتصم في أموال كثيرة يحملها [إليه] إن هو من عليه بالبقاء ،
فأبى قبول ذلك وتمثل

إن الأسود أسود الغيل همها يوم الكريهة في السلوب لا السلب
ومالت خشبة مازيار إلى خشبة بابك ، فتدانت أجسامهما ، وقد كان صلب
في ذلك الموضع باطس بطريق عمورية ، وقد انحنت نحوها خشبته ، ففي ذلك
يقول أبو الهمام لها :

ولقد شفى الأحشاء من بُرحائها إذ صار بابك جار مازيار
ثانيه في كبد السماء ولم يكن لاثنين ثاب إذ هما في الغار
فكأنما انحنيا لكما يطويا عن باطس خبرا من الأخبار

ومات الأفشين في الحبس بعد أن جمع بينه وبين مازيار ، فأقر عليه ، وأخرج
الأفشين ميتا فصلب بباب العامة ، وأحضرت أصنام زعموا أنها كانت حملت
إليه فألقيت عليه ، وأضرمت النار ، فأنت على الجميع

موت الأفشين
وصلبه

وفي سنة ست وعشرين ومائتين مات أبو دلف العجلي ، وكان سيد أهله ،
ورئيس عشيرته من عجل وغيرها من ربيعة ، وكان شاعرا مجيدا شجاعا بطلا
مغنيا مصيبا ، وهو القائل :

موت أبي دلف
العجلي

يوما تراني على طمير ترهني الأجل الرّوآسى
ويوم هو أحدث كاسا وخلف أذني قضيب آس

وذكر أن أبا دلف طعن فارسا فنفذت الطعنة إلى أن وصل السنان آخر
كان خلفه ، فقتلها ، ففي ذلك يقول بكر بن النطاح :

قالوا وينظم فارسين بطعنة يوم الهياج ولا نراه كليلًا
لانتعجبا فلو أن طول قناته ميل إذا نظم الفوارس ميلًا

وذكر عيسى بن أبي دلف أن أخاه دلف - وكان يكنى أبوه به أبا دلف -
كان ينتقص عليا ، ويضع منه ومن شيعته ، وينسبهم إلى الجهل ، وأنه قال يوما
وهو في مجلس أبيه ولم يكن أبوه حاضرا : إنهم يزعمون أن لا ينتقص عليا أحد
إلا كان لغير رشدة ، وأنتم تعلمون غيرة الأمير وأنه لا يتبها الطعن على أحد من
ضربته ، وأنا أبغض عليا ، قال : فما كان بأوشك من أن خرج أبو دلف ، فلما
رأيناه قناله ، فقال : قد سمعت ما قاله دلف ، والحديث لا يكذب ، والخبر
الوارد في هذا المعنى لا يختلف ، هو والله لزنينة وحیضة ، وذلك أني كنت عليلا
فبعثت إلى أختي جارية لها كنت بها معجبا ، فلم آتالك أن وقعت عليها وكانت
حائضا ، فعلقت به ، فلما ظهر حملها وهبتني إلى

العداوة بين
أبي دلف
وابنه دلف

فبلغ من عداوة دلف هذا لأبيه ونصبه ومخالفته له لأن الغالب على أبيه
التشيع والميل إلى علي أن أشنع عليه بعد وفاته ، وهو ما حدث به الفرهياني ، قال :
حدثنا دلف بن أبي دلف ، قال : رأيت في المنام آتيا أتاني فقال لي : أجب الأمير
فقممت معه ، فأدخلني دارا وحشة وعرة ، وأصعدني على درج منها ، ثم أدخلني
غرفة في حيطانها أثر الرماد وإذا به عريان واضع رأسه بين ركبتيه ، فقل كلمستفهم :
دلف ؟ قلت : دلف ، فأنشأ يقول :

فلو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكننا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شيء

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم ، وانتبهت

موت جماعة
من العلماء

وفي خلافة المعتصم - وذلك سنة أربع وعشرين ومائتين - مات جماعة من
ثقله الأخبار وعلية أصحاب الحديث : منهم عمرو بن مرزوق الباهلي المصري ،
وأبو النعمان حازم ، ومحمد بن الفضل السدوسي ، وأبو أيوب سليمان بن حرب
الواشجي البصري من الأزد ، وسعد بن الحكم بن أبي مريم البصري ، وأحمد
ابن عبد الله العرائي ، وسليمان السادكوني ، وعلي بن المدني

وفي سنة تسع وعشرين ومائتين مات بشر الحافي ببغداد ، وكان من مرو ،
وأبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي بالبصرة ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ،
وعبد الله بن عبد الوهاب الجمحي ، وإبراهيم بن يسار الرمادي ، وقيل : إن فيها
كانت وفاة محمد بن كثير العبدى ، والصحيح أن وفاته كانت في سنة ثلاث
وعشرين ومائتين

وفاة المعتصم

قال المسعودي : وفي سنة سبع وعشرين كانت وفاة المعتصم ، على دجلة
في قصره المعروف بالحقاني ، يوم الخميس لثمانى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع
الأول ، وقيل : لساعتين من ليلة الخميس ، وهو ابن ثمان وأربعين سنة ، وقيل :
ست وأربعين سنة ، على ما قدمنا في انقضاء صدر هذا الباب ، وكان مولده بالخلد
ببغداد سنة ثمان وسبعين ومائة في الشهر الثامن من السنة ، وهو ثامن الخلفاء ،
والثامن من ولد العباس ، ومات عن ثمانية بنين ، وثمان بنات

وللمعتصم أخبار حسان وما كان من أمره في فتح عمورية ، وما كان من
حروبه قبل الخلافة في أسفاره نحو الشام ومصر وغير ذلك ، وما كان منه بعد
الخلافة ، وما حكى عنه من حسن السيرة واستقامة الطريقة ابن دواد القاضى
ويعقوب بن الليث الكندى في لمع أوردتها في رسالته المترجمة بسبيل الفضائل
قد أتينا على جميع ذلك في كتابنا في « أخبار الزمان » والكتاب الأوسط ، وقد
ذكرنا في هذا لما منبهة على ماسلف وباعثة على درس ماتقدم

ذكر خلافة الواثق

وبويع هرون بن محمد بن هرون الواثق ، ويكنى بأبي جعفر ، وأمه أم ولد مجمل تاريخه رومية ، وتسمى قراطيس ، وذلك في اليوم الذي كانت فيه وفاة المعتصم ، وهو يوم الخميس لثمانى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين ، وبويع وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وتسعة أشهر ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وقيل : إنه توفي في يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وهو بن أربع وثلاثين سنة ، ووزيره محمد بن عبد الملك ، على حسب ما قدمنا في أيام المعتصم من هذا الكتاب ، والتواريخ متباينة في مقادير أعمارهم وأيامهم في الزيادة والنقصان

ذكر لمع من أخباره وسيره

ولمع مما كان في أيامه

كان الواثق كثير الأكل والشرب ، واسع المعروف ، متعظفاً على أهل بيته متفقدا لرعيته ، وسلك في المذهب مذهب أبيه وعمه من القول بأعدل ، وغلب عليه أحمد بن أبي دواد ، ومحمد بن عبد الملك الزيات ، فكان لا يصدر إلا عن رأيهما ، ولا يعاب عليهما فيما رأيا ، وقلدهما الأمر وفوض إليهما ملكه

وذكر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الجاسمي نسبة إلى جاسم - وهي أعرابي يذكر لاني تمام قرية من أعمال دمشق بين بلاد الأردن ودمشق بموضع يعرف بالحولان ويعرف رأيته في المعتصم بجاسم على أميال من الجابية وبلاد برا وهي من مراعى أيوب عليه السلام - ورجال دولته قال : خرجت في أيام الواثق إلى سُرٍّ من رأى فلما قربت منها لقيني أعرابي ، فأردت أن أعلم خبر العسكر منه ، فقلت : يا أعرابي ، ممن أنت ؟ قال : من بني عامر

قلت : كيف علمك بعسكر أمير المؤمنين ؟ قال : قَتَلَ أرضاً عالمها ، قلت : ما تقول في أمير المؤمنين ؟ قال : وثق بالله فكفاه أشجى القاصية وقصم العادية ورغب عن كل ذى جناية ، قلت : فما تقول في أحمد بن أبي دواد ؟ قال : هضبة لاترام ، وجبل لايضام ، تشخذ له المدى ، وتنصب له الجبال ، حتى إذا أقبل كان قد وثب وثبة الذئب ، وختل ختلة الضب ، قلت : فما تقول في محمد بن عبد الحكم الزيات ؟ قال : وسع الداني ثمره ، ووصل إلى البعيد ضره ، له في كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب ولا خلج ، قلت : فما تقول في عمرو بن فرج ؟ قال : ضخم نهم ، استعذب الدم ، ينصبه القوم ترسا للدعاء ، قلت : فما تقول في الفضل ابن مروان ؟ قال : رجل نبش بعد ما قبر ، ليس تعد له حياة في الأحياء ، وعليه خفة الموتى ، قلت : فما تقول في الوزير ؟ قال : تخاله كبش الزنادقة ، أما تراه إذا أخمله الخليفة سمن ورتع ، وإذا هزه أمطر فأمرع ، قلت : فما تقول في أحمد بن الخصيب ؟ قال : ذاك أكل أكلة نهم ، فزرق زرقة بشم ، قلت : فما تقول في إبراهيم أخيه ؟ قال : أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ، قلت : فما تقول في أحمد بن إسرائيل ؟ قال : لله دره ، أى فاعل هو ؟ وأى صابر هو ؟ أعد الصبر دثارا ، والجلود شعارا ، وأهون عليه بهم ، قلت : فما تقول في المعلى بن أيوب ؟ قال : ذاك رجل خير نصيح السلطان ، غفيف اللسان ، سلم من القوم وسلموamنه ، قلت : فما تقول في إبراهيم بن رباح ؟ قال : ذاك رجل أوثقه كرمه وأسلمه فضله ، وله دعاء لايسلمه ، ورب لايتخذله ، وفوقه خليفة لايطالمه ، قلت : فما تقول في الحسن ابنه ؟ قال : ذاك عود نضار غرس في منابت الكرم ، حتى إذا اهتز حصده ، قلت : فما تقول في نجاح بن سلمة ؟ قال : لله دره !! أى طالب وتر ؟ ومدرك نأر ، يلتهب كأنه شعلة نار ، له من الخليفة في الأحيان جلسة تزيل نما ، وتحل نقما ، قلت : يا أعرابي أين منزلك حتى آتيك ؟ قال : اللهم غفراً ، مالى منزل ، أنا أشتمل النهار وألتحف الليل ، فحيثما أدركنى الرقاد رقدت ،

قلت : فكيف رضاك عن أهل العسكر ؟ قال : إن أعطوني لم أحمدهم ، وإن ضيعوني لم اذمهم ، وإني كما قال هذا الغلام الطائي :

وما أبالي وخيرُ القول أصدقه حَقَنْتَ لِي ماءَ وجهي وأوحقنت دمي
قلت : فأنا قائل هذا الشعر ، قال : أثنك أنت الطائي ؟ قلت : نعم ، قال :
لله أبوك ، وأنت القائل :

ما جود كفك إن جادت وإن بخلت من ماء وجهي وقد أخلقته عوض
قلت : نعم ، قال : أنت أشعر أهل زمانك
وفي رواية أخرى ليست في الكتاب قلت : أنشدني شيئا من شعرك ،
فأنشدني :

أَقُولُ وَجُنْحُ الدَجَا مَلِيدٌ وَلِلَّيْلِ فِي كُلِّ فَجٍّ يَدٌ
وَنَحْنُ ضَجِيعَانِ فِي مَجْدِ فَاللهُ مَا ضَمِنَ الْمَجْدُ
فِيَا غَدُ إِنْ كُنْتَ بِي مُحْسِنًا فَلَا تَدُبْ مِنْ لَيْلِي يَا غَدُ
وَيَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ لَا تَنْفَدِي كَمَا لَيْلَةُ الْمَجْرِ لَا تَنْفَدُ

فقلت : لله أبوك !! ورددته معي حتى لقيت ابن أبي دواد وحدثته بخبره
فأوصله إلى الواثق ، فأمر له بألف دينار ، وأخذ له من سائر الكتاب وأهل الدولة
ما أغناه به ، وأغنى عقبه بعده ،

وهذا الخبر فخرجه عن أبي تمام ، فإن كان صادقا فيما قال ، ولا أراه ، فقد
أحسن الأعرابي في الوصف ، وإن كان أبو تمام هو الذي صنعه وعزاه إلى هذا
الأعرابي فقد قصر في نظمه ، إذ كانت منزلته أكبر من هذا

وكانت وفاة أبي تمام بالموصل سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وكان خليعا أبو تمام الطائي
ماجنا ، وربما أذاه ذلك إلى ترك موجبات فرضه ، تماجنا لا اعتقادا
وحدث محمد بن يزيد البرد ، عن الحسن بن رجاء ، قال : صار إلى أبو تمام

وأنا بفارس ، فأقام عندي مقاما طويلا ، ونمى إلى من غير وجه أنه لا يصلى ، فوكلت به من يراعيه ويتفقد أوقات الصلاة ، فوجدت الأمر على ما اتصل بي عنه ، فعاتبته على فعله ذلك ، فكان من جوابه أن قال : لم أنشط للشخص إلىك من مدينة السلام وأتجشم هذه الطرقات الشاقة وأكسل عن ركعات لا مؤونة على فيها ، لو كنت أعلم أن لمن صلاحها ثوابا أو على من تركها عقابا ، قال : فهمت والله بقتله ، ثم تخوفت أن يصرف الأمر إلى غير جهته ، وهو القائل :

وأحقُّ الأنام أن يقضى الديـ ن أمرؤ كان للإله غريما

وهذا قول مبين لدليل العقل ، والناس في أبي تمام في طرفي تقيض : متعصب له يعظمه أكثر من حقه ، ويتجاوز به في الوصف ، ويرى أن شعره فوق كل شعر ، ومنحرف له معاند ، فهو ينفى عنه حسنه ، ويعيب مختاره ، ويستقبح المعاني الظريفة التي سبق إليها وتفرد بها

وذكر عبد الله بن الحسن بن سعدان ، عن المبرد قال : كنت في مجلس القاضي أبي إسحق وإسماعيل بن إسحق ، وحضر جماعة سماهم منهم الحارثي الذي قال فيه على بن الجهم الشامي :

لم يطلعا إلا لأبدية الحارثي وكوكب الذنب

فجرى ذلك الشعر وإن كان الكلام تسلسل إلى ذكر أبي تمام وشعره وأن الحارثي أنشد لأبي تمام معاتبة أحسن فيها ، وأن المبرد استحميا أن يستعيد الحارثي الشعر أو يكتبه منه لأجل القاضي ، قال ابن سعدان : فأعلنت المبرد أني أحفظ الشعر ، فأنشدته إياه فاستحسنه واستعاده مني مرارا حتى حفظه مني ، وهو :

جعلت فداك عبد الله عندي بعقب النأي عنه والبعاد

له لمة من الفتيان بيض قضا حق الصداقة والوداد

دعوتهم عليك وكنت ممن أناديه على الثوب الشداد^(١)

(١) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الاصول * يعينه على الفقر الجياد

مقارنة بين
أبي تمام
والبحترى

قال: وسألت عن أبي تمام والبحترى أيهما أشعر؛ قال: لأبي تمام استخراجات
أطيفة، ومعان ظريفة، وجيده أجود من شعر البحترى، ومن شعر من تقدمه
من المحدثين؛ وشعر البحترى أحسن استواء من أبي تمام، لأن البحترى يقول
القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن طاعن أو عيب عائب، وأبو تمام يقول البيت
النادر ويتبعه البيت السخيف، وما أشبهه إلا بغائص البحر يخرج الدرة والخشلبة
في نظام واحد، وإنما يؤتى هو وكثير من الشعراء من البخل بأشعارهم؛ وإلا فلو
أسقط من شعره على كثرة عدده ما أنكر منه لكان أشعر نظرائه، فدعاني هذا
القول منه إلى أن قرأت عليه شعر أبي تمام، وأسقطت خواطئه وكل ما ذم من
شعره، وأفردت جيده، ووجدت ما يتمثل به ويجرى على السنة العامة وكثير
من الخاصة مائة وخمسين بيتا، ولا أعرف شاعرا جاهليا ولا إسلاميا يتمثل له
بهذا المقدار من الشعر؛ ثم قال المبرد: وبالبحترى يختم الشعر، وأنشدني له بيتين
زعم المبرد أنهما لو أضيفا إلى شعر زهير لجازا فيه، وهما:

وما سَفَهُ السفية وإن تَعَدَّى بأنجع فيك من حلم الحليم
مى أحفظت ذا كرم تخطى إليك ببعض أفعال اللثم

قال: وكان مما ذكرنا من شعر البحترى في هذا المجلس وقدمه محمد بن يزيد

على نظرائه قوله في بنى صاعد بن مخلد:

وإذا رأيت مَخَالِيلَ ابْنَى صَاعِد أدت إليك مَخَالِيلَ ابْنَى مَخْلَد
كالفرقدين إذا تأمل ناظر لم يعمل موضع فرقده من فرقده

وقوله:

من شاكر غنى الخليفة للذى أولاه من بر ومن إحسان؟
حتى لقد أفضلت من إفضاله ورأيت نهج الجود حيث يرانى
أغنت يدها يدي وشَرَّدَ جوده بخلى، فأفقرنى كما أغنانى
ووثقت بالخلق الجميل معجلا منه، وأعطيت الذى أعطانى

وقوله :

وددت بياض السيف يوم لقينى مكان بياض الشيب كان بمفرقى

وقوله :

دَنَوْتَ تَوَاضَعًا وَعُلُوًّا قَدْرًا فَشَأْنُكَ انْحِدَارٌ وَارْتِفَاعٌ
كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْعِدُ أَنْ تُسَامَى وَيَدْنُو الضَّوُّ مِنْهَا وَالشَّعَاعُ

وقوله فى الفتح بن خاقان وقد نزل إلى أسد فقتله :

حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفُ لَا عِزَّ مَكَانَتُنَى وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حِدَّهُ نَبَا
فَأَحْجَمَ لِمَا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَئَةً وَصَمَّ لِمَا لَمْ يَجِدْ مِنْكَ مَهْرَبًا
وَكُنْتُ مَتَى تَجْمَعُ بِمَيْنِكَ وَالْعَلَا لَدَى ضَيْعِمٍ لَمْ تَبْقَ لِلسَّيْفِ مَضْرِبًا
وقوله :

ما زال صرف الدهر يؤيس صفقتى حتى رهنت على المشيب شبابى
وقوله فى المنتصر :

وإن عليًا لأولى بكم وأزكى يدًا عندكم من عمر
وكان له فضله والحجو ل يوم البراذين قبل الغر
وقوله :

تعيب الغانيات على شيبى ومن لى أن أمتع بالمشيب
ثم ذكر انتفاض الصالح بين عشيرته فقال :
إذا ما الجرح زُمَّ على فساد تبين فيه تقريط الطيب
وقوله :

وللسهم الشريد أخف عبثًا على الرامى من السهم المصيب
وقوله :

وما منع الفتح بن خاقان نيله ولكنها الأيام تعطى وتحرم

سحاب خطاني جوده وهو مسبل وبحر عدائي فيضه وهو مفعم
أشكو نداه بعد أن وسع الوري ومن ذا يذم الغيث إلا مذمم
وذكر محمد بن أبي الأزهر قال : كان إبراهيم بن المدبر - مع محله في العلم
والأدب والمعرفة - يسيء الرأي في أبي تمام ، ويحالف أنه لا يحسن شيئاً قط ،
فقلت له يوماً : ما تقول في قوله :

غدا الشيبُ مُخْطَئًا بِفَوْدَيَّ خُطَّة سبيل الردى منها إلى النفس مَهِيْعُ
هو الزَّوْرُ يُجْفَوُ ، والمعاشرُ يُجْتَوَى ، وذو الإلف يُقْلَى والجديدُ يُرْقَعُ
له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسفع
ونحن نرجيه على الكره والرضا وأنف القى من وجهه وهو أجدع
وفيمن يقول :

فان تَرَمَ عن عمرو تداعى به المدى فخانك حتى لم تجد فيه منزعا
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة فقطعها ثم اثنى فتقطعا
وفيمن يقول :

شرف على أول الزمان وإنما لا شرف المناسب ما يكون كريما
وفيمن يقول :
إذا أحسن الأقسام أن يتناولوا بلا نعمة أحسنت أن تتناولوا
وفيمن يقول :

مطر لى الحياة والمال لا أأ قماك إلا مُسْتَوْهَبًا أو وهوبا
وإذا ما أردت كنت رِشَاء وإذا ما أردت كنت قَلِيْبًا
والقائل :

خشعوا لصولتك التي عودتهم كملوت يأتى ليس فيه عشار

فالمشى همس ، والنداء إشارة ،
 خوف انتقامك والحديث سرار
 أيا من معقودة أطرافها بك ، واليالى كلها أسحر
 تبدى عقابك للعصاة ويفتدى رقفا إلى زوارك الزوار
 وفيمن يقول :

إذا أوهدت أرضا كان فيها رضاك فلا نحن إلى رباها
 قال : فوالله لكأنى أغريت ابن المدبر بأبى تمام ، حتى سبه ولعنه ، فقلت :
 إذا فعلت ذلك لقد حدثني عمر بن أبى الحسين الطوسى الراوية أن أباه وجه به
 إلى ابن الأعرابي يقرأ عليه أشعار هذيل ، فمرت بنا أراجيز فأنشدته أرجوزة
 لأبى تمام لم أنسها لى له ، وهى :

وعاذل عدلته من عدله	فظن أنى جاهلى من جهله
ما غبن المغبون مثل عقله	من لك يوما بأخيك كله
لبست ريعانى فدعنى أبله	وملك فى كبره ونبله
وسوقه فى قوله وفعله	بذلت مدحى فيه باغى بذله
فجز جبل أملى من وصله	من بعد ما استعذبنى بمطله
ثم اغتدى معتديا بجعله	ذا عنقى فى الجهل لم يخله
يلحظنى فى جدّه وهزله	يعجب من تعجبي من بخله
لحظ الأسير حلقات كبله	حتى كأنى جثته بعدله
يا واحدا منفردا بعدله	أكسبته المال فلا تمله
ما يصنع الغمدُ بغير نصله	والمدح ذمّا لم يكن فى أهله

فقال لابنه : اكتبها ، فكتبها على ظهر كتاب من كتبه ، فقال له : جعلت
 فذاك ، إنها لأبى تمام ، فقال : خرق خرق

وهذا من ابن المدبر قبيح من علمه ، لأن الواجب أن لا يدفع إحسان محسن الحكمة ضالة
عدوا كان أو صديقا ، وأن تؤخذ الفائدة من الوضع والرفيع ، فقد روى عن
أمير المؤمنين أنه قال : الحكمة ضالة المؤمن فخذ ضالتك ولو من أهل الشرك ،
وقد ذكر عن بُزُرْجَمهر - وكان من حكماء الفرس وقد قدمنا ذكره فيما سلف
من هذا الكتاب في أخبار ملوك ساسان وهم الفرس الثانية - أنه قال : أخذت
من كل شيء أحسن ما فيه ، حتى من الكلب والهرة والخنزير والغراب ، قيل :
ما أخذت من الكلب ؟ قال : إلفه لأهله ، وذَبَّه عن صاحبه ، قيل : فما أخذت
من الغراب ؟ قال : شدة حذره ، قيل : فمن الخنزير ؟ قال : بكورته في
حوائجه ، قيل : فمن الهرة ؟ قال : حسن نغمتها وتملقها لأهلها عند المسئلة
ومن عاب مثل هذه الأشعار التي ترتاح لها القلوب ، وتحرك بها النفوس ،
وتصفى إليها الأسماع ، وتشجذ بها الأذهان ، ويعلم كل من له قريحة وفضل
ومعرفة أن قائنها قد بلغ في الاجادة أبعاد غاية وأقصى نهاية ، فأنما غض من نفسه
وطعن على معرفته واختياره

وقد روى عن ابن عباس أنه قال : الهوى إله معبود ، واحتج بقوله تعالى
(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه)

ولأبي تمام أشعار حسان ، ومعان لطاف ، واستخراجات بدیعة
وحكى عن بعض العلماء بالشعر أنه سئل عن أبي تمام ، فقال : كأنه جمع حماسة أبي تمام
شعر العالم ، فانتخب جوهره ، وقد كان أبو تمام ألف كتابا وسماه « الحماسة » وفي
الناس من يسميه « كتاب الخبية » انتخب فيه شعر الناس ظهر بعد وفاته
وقد صنف أبو بكر الصولى كتابا جمع فيه أخبار أبي تمام وشعره وتصرفه في أخبار أبي تمام
أنواع علومه ومذاهبه ، واستدل الصولى على ما وصف عن أبي تمام بما يوجد من للصولى
شعره ، من ذلك قوله في صفة الخمر :

جَهْمِيَّةُ الْأَوْصَافِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ لَقَّبَوْهَا جَوْهَرِ الْأَشْيَاءِ

رثاء ابى تمام
للحسن بن وهب
وقد رثته الشعراء بعد وفاته ، والأدباء من إخوانه : منهم الحسن بن وهب الكاتب ، وكان شاعرا ظريفا له حظ في المنشور والمنظوم ، فقال :

سقى بالموصل الجدثَ الغريبا سحائبُ يَنْتَحِبْنَ له نحيبا
إذا أطلننه أطلان فيه شعيبَ المزن يتبعها شعيبا
ولطمتَ البروق به خدودا وشققت الخدود لها جيوبا
فإن تراب ذاك القبر يحوى حبيبا كان يدعى لى حبيبا
لبيا شاعرا فطناً أديبا أصيل الرأي فى الجأى أريبا
إذا شاهدته رَوَّاك فيما يسُرُّك رقةً منه وطيبا
أبا تمام الطائى ماذا لقينا بعدك العجب العجيبا
فقدنا منك علقا لاترانا نصيبُ له مدى الدنيا ضريبا
وكنت إخالنا أبدى إلينا ضمير الود والنسب القريبا
فلما بنتَ كدرت الليالى قريب الدار والأقصى الغريبا
فأبدى الدهر أقبح صفحتيه ووجهاً كالحاجهَما قَطُوبا
فأحرَّ بأن يطيب الموت فيه وآخر بعشنا أن لا يطيبا
وللحسن أشعار حسان ومعان جياذ منها قوله :

أَبَتْ مُقْلَتَاكَ لَفِرَطَ الْحَزَنِ عليك الرقاد وبرَدَ الوسن
وَحَقُّ أَمِينِكَ أَنْ لَا تَنَامَا وقلبك مُخْتَلَسٌ مُرْمَنَ
وبين الجوانح داءٌ دفين لعمرِكَ مستتر قد كمنَ
نجىَّ الهموم ، وقرنَ الكلوم ووهى الخلوم ، وبعد الوطن
شديد التفار ، كثير العثار ، خليع العذار ، يجر الرسنَ
أفى كل يوم تطيل الوقوف تناجى الديار وتبكي الدمنَ

بعض شعر
الحسن بن
وهب

وَتَسْتَخْبِرُ الدَّارَ عَنْ أَهْلِهَا وَتَذَرِي الدَّمْعَ عَلَى مَنْ ظَعَنَ
كَأَنَّكَ لَمْ تَرِ فِيهَا مَضَى مِنْ الدَّهْرِ ذَا صَبَوةٍ مُفْتَتَنَ
عَذَرْتُكَ أَيَّامَ شَرَحِ الشَّبَابِ وَفَرَعُكَ فَرَعُ نَضِيرِ الْفُصْنِ
فَأَمَّا وَقَدْ زَالَ ظِلُّ الشَّبَا بِعَنكَ وَوَلَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ
وَأَلْبَسَكَ الشَّيْبَ بَعْدَ الشَّبَابِ قَنَاعَ بَيَاضِ كَلَوْنِ الْقُطْنِ
وَصَرْتَ قَدَى فِي عَيُونِ الْحَسَا نَ يَخْنَكَ عَهْدًا وَإِنْ لَمْ تَخُنْ
وَيَصْدِفَنَّ عَنْكَ إِذَا رَمَتَهُنَّ وَكَنتَ لَهْنَ زَمَانًا سَكَنَ
فَمَا لَكَ عَذْرٌ وَأَنْتَ أَمْرُو بِمَا فِيهِ رُشْدُكَ طَبٌّ فَطْنُ

موت على بن
الجمد

وفي خلافة الواثق مات على بن الجعد مولى بنى مخزوم ، وكان من عليّة
أصحاب الحديث وأهل النقل ، وذلك في سنة ثلاثين ومائتين

مقتل احمد
ابن النصر

وفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين قتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي في
الحنة على القرآن

جلس المعتصم
للشراب وطلب
الى جلسائه
أن يقترحوا
النقل فاختلفوا

قال المسعودي : وكان يحضر مجلس الواثق فتى يرسم الندماء يقوم قائما لصغر
سنه ، ولم يكن لذلك يلحق في الجلوس بمراتب ذوى الأسنان ، وكان ذكيا
مأذونا له في الافاضة مع الجلوس في كل ما يعرض لهم الكلام فيه ، والتكلم
بما يسنح ويختلج في صدره من مثل سائر ، وبيت نادر ، وحديث ممتع ، وجواب
مسرّع ، قال : وكان الواثق من شدة الشهوة للطعام والنهمة فيه على الحالة المشهورة
المتعالية فقال لهم الواثق يوما : ما تختارون من النقل ؟ فبعض قال : نبات السكر ،
وبعض قال : رمان ، وبعض قال : تفاح ، وبعض قال : قصب السكر ينضج بماء
الورد ، وبعض أخرجه الفلسفة إلى النقيض ، فقال : ملح يغلى ، وبعض قال :
صبر يحكى بمذاب النبىذ ، ويحلى على سورة الشراب ومرارة النقل ، قال :
ما صنعتم شيئا ، ولكن ما تقول أنت يا غلام ؟ قال : خشكناج مشير ، فوافق ذلك

ما في نفس الواصل ، وقال : أصبت وأحسن ، برك الله لك وكان ذلك أول جلوسه

أبو جعفر
العلوي

وقيل : إن أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم الرضوان توفي في خلافة الواصل وقد بلغ من السن ما قدمناه في خلافة المعتصم من هذا الكتاب ، وقيل : إنه كتب إلى الواصل : يا أمير المؤمنين ، ليس من أحد وإن ساعدته المقادير بمستخلص غضارة عيش إلا من خلال مكروه ، ومن ترك معالجة الدرك انتظار مؤجلة الأشياء سلبته الأيام فرصته ، فإن شرط الزمان الآفات ، وحكم الدهر السلب

عبدالله بن
طاهر

وفي سنة ثلاثين ومائتين - وذلك في خلافة الواصل - توفي عبدالله بن طاهر في ربيع الأول من هذه السنة ، وفيه يقول الشاعر وقت كون عبدالله بن طاهر بمصر

يقول أناس : إن مصر بعيدة وما بعدت مصر وفيها ابن طاهر
وأبعد من مصر رجال تراهم بحضرتنا معروفهم غير حاضر
عن الخير موتى ما تبالي أزررتهم على طمع أم زرت أهل المقابر

حوار بين
المعتصم
وجلسائه في
التنقيب

وكان الواصل محبا للنظر ، مكرما لأهله ، مبغضا للتقليد وأهله ، محبا للإشراف على علوم الناس وآرائهم ، ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة والمتطبيين ، فحري بحضرتة أنواع من علومهم في الطبيعيات وما بعد ذلك من الإلهيات ، فقال لهم الواصل : قد أحببت أن أعلم كيفية إدراك معرفة الطب ومأخذ أصوله أذلك من الحس أم من القياس والسنة أم يدرك من جهة العقل أم علم ذلك وطريقه يعلم عندكم من جهة السمع كما يذهب إليه جماعة من أهل الشريعة ، وقد كان ابن بختيشوع وابن ماسويه وميخائيل فيمن حضر ، وقيل : إن حنين بن إسحق وسلمويه فيمن حضر في هذا المجلس

مبادئ
التجربة

فقال منهم قائل : زعم طوائف من الأطباء وكثير من متقدميهم أن الطريق الذي يدرك به الطب هو التجربة فقط ، وحدوه بأن يتكرر الحس على محسوس واحد في أحوال متغايرة ، فيوجد بالحس في آخر الأحوال كما يوجد في أولها ، والحافظ لذلك المجرب ، وزعموا أن التجربة ترجع إلى مباد أربعة هن لها أوائل ومقدمات ، وبها علمت وصحت ، وإليها تنقسم التجربة ، فصارت بذلك أجزاء لها ، فزعموا أن قسما من تلك الأقسام طبيعي ، وهو ما تفعله الطبيعة في الصحيح والمريض : من الرعاف والعرق والاسهال والقيء التي تعقب في المشاهدة منفعة أو ضررا ، وقسما إراديا ، وهو ما يقع من قبل النفس الناطقة ، وذلك كمثل منام يراه الانسان ، وهو أن يرى كأنه عالج مريضا به علة مشاهدة معقولة بشيء من الأشياء معروفة ، فيبرأ ذلك المريض من مرضه ، أو يخطر مثل ذلك بباله في حال فكره ، فيتردد ويغلب ظنه بعطيه فيجرب به بأن يفعله كما يرى في منامه ، فيجده كما يرى ، أو يخالف ذلك ويفعله مرارا فيجده كذلك ، وقسما هو نقل ، وهو على ثلاثة أقسام : إما أن ينقل الدواء الواحد من مرض إلى مرض يشبهه ، وذلك كالنقلة من ورم الحمة إلى الورم المعروف بالنملة ، وإما من عضو إلى عضو يشبهه ، وذلك كالنقلة من السفرجل إلى الزعرور في علاج انطلاق البطن^(١) ، وكل ذلك لا يعمل به عندهم إلا بالتجربة

وذهب طائفة أخرى منهم إلى أن الحيلة في تقريب أمر صناعة الطب وتسهيلها أن ترد أشخاص من العلل ومولداتها إلى الأصول الحاصرة الجامعة لها ، إذا كان لا غاية لتولدها ، وأن يستدل على الدواء من نفس الطبيعة والمرض الحاضر الموجود في الحال والوقت ، دون الأسباب الفاعلة التي عدت ، ودون الأزمان والأوقات والأسباب والعادات ومعرفة طبائع الأعضاء وحدودها ، وألزموا التحفظ بكل ما يكون في كل علة وجدت أو لم توجد ، وبرهنوا بأن زعموا أن من المعلومات الظاهرة التي لا ريب فيها أن الضدين لا يجوز اجتماعهما في حال ، وأن

(١) لم يذكر القسم الثالث من النقل .

وجود أحدهما ينفي الآخر في الحال لا محالة ، قالوا : وليس هذا كشيء ظاهر يستدل به على كل شيء خفي ، والشيء الظاهر يحتمل الوجود ، فيختلف الاستدلال فيكون القطع على ما يوجبه غير بين ، وهذا قول جماعة من حذاق المتطببين وأهل التقدم في اليونانيين مثل ما موس وساساليس وغيرهما ، وهم قوم يعرفون بأصحاب الطب الجبلي

قال الواثق لهم جميعاً : فأخبروني عن جمهورهم الأعظم إلام يذهبون في ذلك ؟ فقالوا : القياس ، قال : وكيف ذلك ؟ قالوا جميعاً : زعمت هذه الطائفة أن الطريق والقانون إلى معرفة الطب مأخوذ من مقدمات أولية ، فمنها معرفة طبائع الأبدان والأعضاء وأفعالها ، ومنها معرفة الأبدان في الصحة والمرض ومعرفة الأهوية واختلافها والأعمال والصنائع والعادات والأطعمة والأشربة والأسفار ومعرفة قوى الأمراض ؛ وقالوا : ثبت في الشاهد أن الحيوان يختلف في صورته وطباعه ، وكذلك أعضاؤه مختلفة في طباعها وصورها ، وأن الاجساد الحيوانية تتغير بالأهوية المحيطة بها وبالحركة والسكون والأغذية من المأكول والمشروب والنوم واليقظة واستفراغ ما يخرج من الجسد واحتباسه من الأعراض النفسانية من الغم والحزن والغضب والحلم ، قالوا : والغرض بالطب هو تدير الأجسام ، وحفظ الصحة الموجودة في البدن الصحيح ، واجتلابها للعليل ، فالواجب أن يكون حفظ الصحة إنما هو بمعرفة الأسباب المصححة ، فالواجب على الطبيب لا محالة من هذه المقدمات التي قد صحت إذا أراد علاج المريض النظر في طبائع الأمراض والأبدان والأغذية والعادات والأزمان والأوقات الحاضرة والأسباب ليستدل بجميع ذلك ، وهذا يا أمير المؤمنين قول أبقراط وجالينوس فيمن تقدم وتأخر عنهم ، قالوا : وقد اختلفت هذه الطائفة في كثير من الأغذية والأدوية ، مع اتفاقهم على ما وصفنا ، وذلك لاختلافهم في كيفية الاستدلال : فبعضهم من زعم أنه يستدل على طبيعة الشيء من الأغذية والأدوية بطعمه أو ريحه أو لونه أو

قوامه أو فعله وتأثيره في الجسد ، وزعموا أن الوثيقة في الاستدلال بالأجزاء إذا كانت الألوان والأرايح وسائر ما ذكرنا من أفعال الطبائع الأربع ، كما أن الاسخان والتبريد والتلين فعل لها ، وزعمت طائفة أخرى منهم أن أصح الشهادات وأثبت القضايا في الحكم على طبيعة الدواء والغذاء ما أخذ من فعله في الجسد دون الطعم والرائحة ، وما سوى ذلك فإن الاستدلال بما سوى الفعل والتأثير لا يقطع به ، ولا يعول على طبيعة الدواء المفرد والمركب

آلات الغذاء
وتفصيل
الاسنان
وانواعها

قال الواثق لحنين من بين الجماعة : ما أول آلات الغذاء من الانسان ؟ قال : أول آلات الغذاء القم ، وفيه الأسنان ، والأسنان اثنتان وثلاثون سنا ، منها في اللحي الأعلى ستة عشر سنا ، وفي اللحي الأسفل كذلك ، ومن ذلك أربعة في كل واحد من اللحيين عراضٌ مُحدّدة الأطراف تسميها الأطباء من اليونانيين القواطع ، وذلك أن بها يقطع ما يحتاج إلى قطعه من الأطعمة اللينة ، كما يقطع هذا النوع من المأكول بالسكين ، وهي الثنايا والرباعيات ، وعن جنبي هذه الأربعة في كل واحد من اللحيين سنان رءوسهما حادة وأصولهما عريضة ، وهي الأنياب ، وبها يكسر كل ما يحتاج إلى تسكيه من الأشياء الصلبة مما يؤكل ، وعن جنبي النابين في كل واحد من اللحيين خمس أسنان أخر عوارض خشن ، وهي الأضراس ، ويسميها اليونانيون الطواحن ، لأنها تطحن ما يحتاج إلى طحنه مما يؤكل ، وكل واحد من الثنايا والرباعيات والأنياب له أصل واحد ، وأما الأضراس فما كان منها في اللحي الأعلى فله ثلاثة أصول ، خلا الضرسين الأقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول أربعة ، وما كان من الأضراس في اللحي الأسفل فلكل واحد منها أصلان ، خلا الضرسين الأقصيين فانه ربما كان لكل واحد منهما أصول ثلاثة ، وإنما احتيج إلى كثرة أصول الأضراس دون سائر الأسنان لشدة قوة العمل بها ، وخصت العليا منها بالزيادة في الأصول لتعلقها بأعلى القم

قال الواثق : أحسنت فيما ذكرت من هذه الآلات ، فصنف لي كتابا تذكر فيه جميع ما يحتاج إلى معرفته من ذلك ، فصنف له كتابا جعله ثلاث مقالات ، يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء والمسهل وآلات الجسد

حنين بن
إسحاق بؤلف
كتابا في الطب
للمعتصم

وقد ذكر أن الواثق سأل حنينا في هذا المجلس وفي غيره عن مسائل كثيرة ، وأن حنينا أجاب عن ذلك وصنف في كل ذلك كتابا ترجمه بكتاب المسائل الطبيعية يذكر فيه أنواعا من العلوم ، فكان مما سأل الواثق حنينا من المسائل وقيل : بل أحضر له ندما من ندمائه فكان يسأله بمحضرته والواثق يسمع ويتمعجب مما يورده السائل ، إلى أن قال : فما الأشياء المغيرة للهواء ؟ قال حنين : خمس ، وهى أوقات السنة ، وطلوع الكواكب وغروبها ، والرياح ، والبلدان ، والبحار قال السائل : فكيف هى أوقات السنة ؟ قال أربع : الربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء ، فمزاج الربيع معتدل فى الحرارة والرطوبة ، ومزاج الصيف حار يابس ، ومزاج الخريف بارد يابس ، ومزاج الشتاء بارد رطب

الكلام على
البيئة الطبيعية

قال السائل : أخبرنى عن كيفية تغيير الكواكب للهواء ، قال : إن الشمس متى قربت منها أوقرت هى من الشمس كان الهواء أزيد سخونة ، وخاصة كلما كانت أعظم ، ومتى بعدت الشمس أو بعدت هى من الشمس كان الهواء أزيد بردا

قال : أخبرنى عن كيفية أعداد الرياح ، قال أربع : الشمال ، والجنوب ، والصبأ ، والدبور ، فأما قوة الشمال فباردة يابسة ، وأما الجنوب فحارة رطبة ، وأما الصبا والدبور فمعتدلان ، غير أن الصبا أميل إلى الحرارة واليبس ، والدبور أميل إلى البرودة والرطوبة من الصبا

قال : فأخبرنى عن أحوال البلدان فى ذلك ، قال : هى أربع : الأول الارتفاع ، والثانى الانخفاض ، والثالث مجاورة الجبال والبحار ، والرابع طبيعة تربة الأرض ، والنواحي أربع ، وهى الجنوب ، والشمال ، والمشرق ، والمغرب

فناحية الجنوب أسخن ، وناحية الشمال أبرد ، وأما ناحيتا المشرق والمغرب فمعتدلتان ، واختلاف البلدان بارتفاعها يجعلها أبرد ، وانخفاضها يجعلها أسخن ، والبلدان تختلف بحسب مجاورة الجبال لها ، لأن الجبل متى كان من البلد ناحية الجنوب جعل ذلك البلد أزيد بردا لأنه يستره من الرياح الجنوبية وأنها تهب فيه الرياح الشمالية فقط ، ومتى كان الجبل من البلد في ناحية الشمال جعل ذلك البلد أسخن

قال : فأخبرني عن اختلاف البلدان عند مجاورتها البحار كيف اختلفت ؟ قال حنين : إن كان البحر من البلد في ناحية الجنوب فإن ذلك البلد يسخن ويرطب ، وإن كان في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد

قال السائل : فأخبرني عن البلدان كيف اختلفت بحسب طبيعة تربتها ؟ قال : إن كانت أرضها حجرية جعلت ذلك البلد أبرد وأخف ، وإن كانت طينا جعلته أبرد وأرطب

قال : فلم اختلف الهواء من قبل البحار ؟ قال : إذا جاورت تقائع ماء أو جيفا أو بقولا عفنة أو غير ذلك مما يتعفن تغير هواؤها

فلما كثرت هذا الكلام من السائل والحبيب أضجر ذلك الواصل ، فقطع ذلك وأجاز كل واحد من حضر ، ثم أمرهم أن يخبر كل واحد منهم عما حضره في الزهد في هذا العالم الذي هو عالم الدثور والفناء والغرور ، فذكر كل واحد منهم ما سمع له من الأخبار عن زهد الفلاسفة من اليونانيين والحكماء المتقدمين كسقراط ودوجانس

قال الواصل : قد أكثرتم فيما وصفتم ، وقد أحسنتم الحكاية فيما ذكرتم ، فليخبرني كل واحد عن أحسن ما سمع من نطق الحكماء الذين حضروا وفاة الاسكندر وقد جعل في التابوت الأحمر

دوجانس على
قبر الاسكندر

فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين ، كل ما ذكره حسن ، وأحسن ما نطق به من
حضر ذلك المشهد من الحكماء دوجانس ، وقد قيل إنه لبعض حكماء الهند ، فقال :

إن الاسكندر أمس أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس

وأخذ هذا المعنى من قول الحكيم أبو العتاهية حيث قال :

كفى حزنا بدفنك ثم إني نفضت تراب قبرك من يديا

وكانت في حياتك لي عظام وأنت اليوم أوعظ منك حيا

فاشتد بكاء الوراق ، وعلا نحيبه ، وبكى معه كل من حضر من الناس ،

ثم قام من فوره ذلك وهو يقول

وصروف الدهر في تقديره خلقت فيها انخفاض وانحذار

بينما المرء على إعلاها إذ هوى في هوة منها فحار

إنما متعة قوم ساعة وحياة المرء ثوب مستعار

قال المسعودي : وللوراق أخبار حسان مما كان في أيامه من الأحداث

وما كان يجري من المباحثة في مجلسه الذي عقده للنظر بين الفقهاء والمتكلمين في

أنواع العلوم من العقليات والسمعيات في جميع الفروع والأصول ، وقد أتينا على

ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وسنورد فيما يرد من هذا الكتاب في باب خلافة

القاهر بن المعتضد جملا من الاخبار في أخلاق الخلفاء من بني العباس لمعنى أوجب

إيرادها في باب خلافة القاهر

واعتل الوراق فصلی بالناس يوم النحر أحمد بن أبي دواد وكان قاضي القضاة

ودعا في خطبته للوراق ، فقال : اللهم اشفه مما ابتليته ، وقد قدمنا فيما سلف من

أخباره في هذا الكتاب ، فأغنى ذلك عن إعادته

ذكر خلافة المتوكل على الله

وبويع جعفر بن محمد بن هرون ، ولقب المنتصر بالله ، فلما كان في اليوم الثاني لقيه أحمد بن أبي دواد المتوكل على الله ، وذلك في اليوم الذي مات فيه الواثق أخوه ، وهو يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، ويكنى بأبي الفضل ، وبويع له وهو ابن سبع وعشرين سنة وأشهر ، وقتل وهو ابن إحدى وأربعين سنة وتسعة أشهر وتسع ليال ، وأمّه أم ولد خوارزمية يقال لها شجاع ، وقتل ليلة الأربعاء ثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولم مما كان في أيامه

ولما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدل، وأمر بترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق ، وأمر الناس بالتسليم والتقليد ، وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة ، وأظهر لباس ثياب الملحم ، وفضل ذلك على سائر الثياب ، واتبعه من في داره على لبس ذلك ، وشمل الناس لبسه ، وبالغوا في ثمنه اهتماما بعمله واصطناع الجيد منها لمبالغة الناس فيها وميل الراعي والرعية إليها ، فالباقى في أيدي الناس إلى هذه الغاية من تلك الثياب يعرف بالمتوكلية ، وهي نوع من ثياب الملحم نهاية في الحسن والصنع وجودة الصنع

وكانت أيام المتوكل أحسن أيام وأنضرها ، من استقامة الملك ، كانت أيامه وأنضر أيامه وشمول الناس بالامن والعدل ، ولم يكن المتوكل من يوصف في عطائه وبذله بالجود ، ولا يتركه وإمساكه بالبخل ، ولم يكن أحد من سلف من خلفاء بني

العباس ظهر في مجلسه اللعب والمضاحك والهزل مما قد استفاض في الناس تركه
إلا المتوكل فانه السابق إلى ذلك والمحدث له ، وأحدث أشياء من نوع
ما ذكر فاتبعه فيها الاغاب من خواصه وأكثر رعيته ، فلم يكن في وزرائه
والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بجود ولا إفضال ، أو يتعالى عن
معجون وطرب

وكان الفتح بن خاقان التركي مولاه أغلب الناس عليه ، وأقربهم منه ،
وأكثرهم تقدما عنده ، ولم يكن الفتح مع هذه المنزلة من الخلافة ممن يرجى فضله
ويخاف شره ، وكان له نصيب من العلم ، ومنزلة من الأدب ، وألف كتابا في
الأدب ترجمه بكتاب البستان

أحدث بناء سماء الحيرى
وأحدث المتوكل في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه ، وهو المعروف بالحيرى
والكمين والأروقة ، وذلك أن بعض سماره حدثه في بعض الليالى أن بعض ملوك
الحيرة من النعمانية من بنى نصر أحدث بنيانا في دار قراره ، وهى الحيرة ، على
صورة الحرب وهيئته للهجته بها وميله نحوها ثلاثا يغيب عنه ذكرها في سائر
أحواله ، فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر ، والكمين ميمنة وميسرة ، ويكون
في البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه ، وفي اليمين منهما خزانة
الكسوة ، وفي الشمال ما احتيج إليه من الشراب ، والرواق قد عم فضاؤه الصدر
والكمين والأبواب الثلاثة على الرواق ، فسمى هذا البنيان إلى هذا الوقت
بالحيرى والكمين ، إضافة إلى الحيرة ، واتباع الناس المتوكل في ذلك ائتما بما فعله
واشتهر إلى هذه الغاية

بيعه لأبنائه
وباع لبنيه الثلاثة : محمد المنتصر بالله ، وأبى عبد الله المعتز بالله ، والمستعين
بالله ، وفي ذلك يقول ابن المدينى ذكره لهذه البيعة :

يا بيعة مثل بيعة الشجرة فيها لكل الخلائق الخيرة
أكدها جعفر وصيرها إلى بنيه الثلاثة البررة

وفي ذلك يقول على بن الجهم :

قل للخليفة جعفر إذا الندى وابن الخلائف والأئمة والهدى
لما أردت صلاح دين محمد وليت عهد المسلمين محمدا
وثبتت بالمعز بعد محمد وجعلت ثالثهم أعز مؤيدا
وكان استخلاف المتوكل على الله بعد أن استخلف أبو العباس السفاح بمائة
سنة ، وبعد موت العباس بن عبد المطلب بمائتي سنة ، وقد قيل غير ذلك ، والله
أعلم ، على تفاوت التواريخ في كمية أوقاتهم وعدد سنينهم والزيادة في الأيام والشهور
والنقصان عن مدة ملكهم

وقد كان سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات بعد خلافته بأشهر ،
فقبض أمواله وجميع ما كان له ، وقلد مكانه أبا الوزير ، وقد كان ابن الزيات
اتخذ المصادريين والمغضوب عليهم تنورا من الحديد رهوس مساميده إلى داخل
قائمة مثل رهوس المسال في أيام وزارته للمعتصم والوائق ، فكان يعذب الناس
فيه ، فأمر المتوكل بإدخاله في ذلك التنور ، فقال محمد بن عبد الملك الزيات للموكل به
أن يأذن له في دواة وبطاقة ليكتب فيها ما يريد فاستأذن المتوكل في ذلك ، فأذن
له ، فكتب

هي السبيل فمن يوم إلى يوم كأنه ما تريك العين في النوم
لا تجزعن رويدا إنها دوك دنيا تنقل من قوم إلى قوم
قال : وتشاغل المتوكل في ذلك اليوم فلم تصل الرقعة إليه ، فلما كان الغد
قرأها فأمر بإخراجه فوجده ميتا ، وكان حبسه في ذلك التنور إلى أن مات أربعين
يوما ، وكان كاتبها بليغا ، وشاعرا مجيدا ، وهو القائل في تحريض المأمون على
إبراهيم بن المهدي حين خرج عليه

ألم تر أن الشيء للشيء علة يكون له كالنار تقدح بالزبد
كذلك جربنا الأمور ، وإنما يدلك ما قد كان قبل على البعد

محمد بن
عبد الملك
الزيات

وظل براهيم أن فكاكه سيبعث يوما مثل أيامه النكد
تذكر أمير المؤمنين قيسامه وأيامه في الهزل منه وفي الجد
إذا هز أعواد المنابر باسمه تغنى بليلي أو بمية أو هند
في شعر طويل جدا

ومن شعره قوله في مرثية للمعتصم بالله :

وظل له سيف النبي كأنما مدامعه من شدة الحزن تذرف
حمائله والبرد تشهد أنه هو الطيب الأولي الذي كان يعرف
أقول ومن حق الذي قلت أني أقول وأنتي بعد ذاك وأحلف
لما هاب أهل الظلم مثلك سائسا ولا أنصف المظلوم مثلك منصف
وقد أتينا على أخباره وما استحسن من أشعاره في الكتاب الأوسط

فكانت أيام أبي الوزير في الوزارة يسيرة ، وقد كان اتخذ الوزارة محمد بن
الفضل الجرجاني ثم صرفه فاستكتب عبيد الله بن يحيى سنة ست وثلاثين ومائتين
إلى أن قتل ، وقد أتينا في الكتاب الأوسط على أخباره واتصاله بالمتوكل وأخبار
الفتح بن خاقان

بقية وزراء
المتوكل

وذكر محمد بن يزيد المبرد قال : ذكرت للمتوكل منازعة جرت بينه وبين
الفتح بن خاقان في تأويل آية وتنازع الناس في قراءتها ، فبعث إلى محمد بن
القاسم بن محمد بن سليمان الهاشمي ، وكانت إليه البصرة ، فحملني إليه مكرما ،
فلما اجتزت بناحية النعمان بين واسط وبغداد ذكر لي أن بدير هرقل جماعة من
الجانين يعالجون ، فلما حاذيته دعنتي نفسي إلى دخوله ، فدخلته ومعى شاب ممن
يرجع إلى دين وأدب ، فاذا أنا بمجنون من المجانين قد دنا إلى ، فقلت ما يقعدك
بينهم وأنت بائن عنهم ؟ فكسر جفنه ورفع عقيرته ، وأنشأ يقول :

المبرد وبعض
المجانين

إن وصفوني فنأحل الجسد أو قتشوني فأبيض السكبد

أضعف وجدى وزاد فى سقمى أن لست أشكو الهوى إلى أحد
وضعت كفى على فزادى من حر الأسى وانطويت فوق يدى
آه من الحب آه من كبدى إن لم أمت فى غد فبعد غد
كان قلبى إذا تذكركم فريسة بين ساعدى أسد
فقلت : أحسنت لله درك ، زدنى ، فأنشأ يقول :

ما أقتلَ البين للنفوس !! وما أوجع فقد الحبيب للكبد !!
عرّضت نفسى من البلاء لما أسرف فى مهجتي وفى جلدى
ياحسرتى أن أموت معتقلا بين اعتلاج الموم والكمد
فى كل يوم تقيض معولةً عيني لعضو يموت فى جسدى
فقلت : أحسنت لافض فوك ، زدنى ، فأنشأ يقول :

الله يعلم أنى كمد لا أستطيع أثبُّ ما أجد
نفسانِ لى نفس تضمها بلد ، وأخرى حازها بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها صبر ، وليس يعينها جلد
وأظن غائبتى كشاهدتى بمكانها تجد الذى أجد
فقلت : والله أحسنت ، فاستزده ، فقال : أراك كلما أنشدتك استزدتني ،
وما ذاك إلا نقرط أدب وفراق شجن ، فأنشدنى أنت أيضا ، فقلت للذى معى :
أنشده ، فأنشأ يقول :

عذل وبين وتوديع ومرتحل أى العيون على ذا ليس تنهمل
تالله ما جلدى من بعدهم جلد ولا اختزان دموعى عنهم بخل
بلى وحرمة ما ألقين من خبل قلبى إليهن مشتاق وما رحلوا
وددت أن البحار السبع لى مدد وأن جسمى دموع كلها حمل
وأن لى بدلا من كل جائحة فى كل جارحة يوم النوى مقل

لَا دَرَدَرَ النوى لوصادفت جبلا لانهت منها وشيكا ذلك الجبل
 الهجر والبين والواشون والابل طلائع يترأى أنها الأجل
 فقال المجنون : أحسنت ، وقد حضرني في معنى ما أنشدت إلى شعرا ،
 أفأنشده ؟ قلت : هات ، فأنشأ يقول :

ترحلوا ثم نيطت دونهم سجعف لو كنت أملكهم يوما لما رحلوا
 يا حادي العيس مهلاً كي نودعها رفقا قليلا فني توديعها الأجل
 ما راعني اليوم شيء غير فقدهم حتى استقلت وسارت بالذمى الابل
 إني على العهد لم أنقض مودتهم فليت شعري وطال الدهر ما فعلوا
 قال المبرد : فقال القى الذي معي : ماتوا ، فقال المجنون : آه آه إن ماتوا
 فسوف أموت ، وسقط ميتا ، فما برحت حتى غسل وكفن وصليت عليه ودفنته
 ووردت سر من رأى ، فأدخلت على المتوكل وقد عمل فيه الشراب ،
 فسئلت عن بعض ماوردت له ، فأجبت ، وبين يدي المتوكل البحترى الشاعر ،
 فابتدأ ينشده قصيدة يمدح بها المتوكل ، وفي المجلس أبو العتاهية الصيمرى ،
 فأنشد البحترى قصيدته التى أولها :

البحترى عند
 المتوكل يمدحه

عن أى ثغر تبتسم وبأى طرف تحتكم
 حسن يضىء بحسنه والحسن أشبه بالسكرم
 قل للخليفة جعفر الـ متوكل ابن المعتصم
 المرتضى ابن المجتبى والمنعم ابن المنتقم
 أما الرعية فهى من أمان عدلك فى حرم
 يا باني المجد الذى قد كان قوض فانهدم
 اسلم لدين محمد فاذا سلمت فقد سلم
 نلنا الهدى بعد العمى بك والغنى بعد العدم

فلما انتهى مشى القهقري للانصراف ، فوثب أبو العنيس فقال : يا أمير المؤمنين ،
تأمر برده ، فقد والله عارضته في قصيدته هذه ، فأمر برده ، فأخذ أبو العنيس
يفشد شيئاً لولا أن في تركه بئر الخبر لما ذكرناه وهو

من أى سلاح تلتقم وبأى كف تلتطم
أدخلت رأس البحتري أى عيادة في الرحم

ووصل ذلك بما أشبهه من الشتم ، فضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه
وخض برجله اليسرى ، وقال : يدفع إلى أبى العنيس عشرة آلاف درهم ، فقال
الفتح : ياسيدى البحتري الذى هجى وأسمع المكروه ينصرف خائباً ، قال :
ويدفع إلى البحتري عشرة آلاف درهم ، قال : ياسيدى وهذا البصري الذى
أشخصناه من بلده لا يشركهم فيما حصلوه ، قال : ويدفع إليه عشرة آلاف درهم ،
فانصرفنا كلنا في شفاعاة الهزل ، ولم ينفع البحتري جده واجتهاده وحزمه

ثم قال المتوكل لأبى العنيس : أخبرنى عن حمارك ووفاته وما كان من شعره
في الرؤيا التى أريتها ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، كان أعقل من القضاة ، ولم
يكن له جريرة ولا زلة ، فاعتل علي غفلة ، فمات منها ، فرأيت فيما يرى النائم فقلت
له : يا حمارى ، ألم أبرد لك الماء ، وأنق لك الشعير ، وأحسن إليك جهدى ، فلم
مت علي غفلة ؟ وما خبرك ؟ قال : نعم ، لما كان في اليوم الذى وقفت علي فلان
الصيدلاني تكلمه في كذا وكذا مرت بي أتان حسناء ، فرأيتها ، فأخذت
بمجامع قلبي ، فعشتها واشتد وجدى بها ، فمت كذا متأسفاً ، فقلت له : يا حمارى ،
فهل قلت في ذلك شعراً ؟ قال : نعم ، وأنشدنى :

هام قلبي بأتان عند باب الصيدلاني
تيمنى يوم رحنا بثناياها الحسان
وبخد ذى دلال مثل خد الشفرائي

حمار أبى
العنيس الذى
عشق اتانا

فبها مت ولو عشت إذا طال هواني

قال : قلت : يا حماري ، في الشنغرائي ؟ فقال : هذا من غريب الحمير ، فطرب المتوكل وأمر الملهين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار ، وفرح في ذلك اليوم فرحا وسرورا لم ير مثله ، وزاد في تكريمة أبي العنبرس وجائزته

وحدث أبو عبد الله محمد بن عرفة النحوي قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال : قال المتوكل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم : ما يقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب ؟ قال : وما يقول ولد أبي أمير المؤمنين في رجل اقترض الله طاعة بنييه على خلقه واقترض طاعته علي بنييه ؟ فأمر له بمائة ألف درهم ، وإنما أراد أبو الحسن طاعة الله على بنييه ، فعرض

امر علي بن محمد الملو

وقد كان سعى بأبي الحسن علي بن محمد إلى المتوكل ، وقيل له : إن في منزله سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته ، فوجه إليه ليلا من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره ، فوجد في بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر ، ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى ، وعلى رأسه ملحفة من الصوف ، متوجها إلى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد فأخذ على ما وجد عليه ، وحمل إلى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يده والمتوكل يشرب وفي يده كأس ، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه ، ولا حالة يتعلل عليه بها ، فناوله المتوكل الكأس الذي في يده ، فقال : يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط ، فأعفى منه ، فعافاه ، وقال : أنشدني شعرا أستحسنه ، فقال : إنني لقليل الرواية للأشعار ، فقال : لا بد ن تنشدي ، فأنشده :

باتوا على قتل الأجيال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القتل
واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلم فأودعوا حفراً يابئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا أين الأمرة والتيجان والحلل
 أين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تضرب الأستار والكلل
 فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
 قد طالما أكلوا دهرًا و ما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
 وطالما عمروا دورا لتحصنهم ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
 وطالما كنزوا الأموال وادخروا فخلفوها على الاعداء وارتحلوا
 أضحت منازلهم قفرًا معطلة وساكنوها إلى الاجداث قدرحلوا

قال : فأشفق من حضر على علي ، وظنوا أن بادرة تبدر منه إليه قال : والله
 لقد بكى المتوكل بكاء طويلا حتى بليت دموعه لحيته ، وبكى من حضره ، ثم
 أمر برفع الشراب ، ثم قال له : يا أبا الحسن ، أعليك دين ؟ قال : نعم أربعة
 آلاف دينار ، فأمر بدفعها إليه ورده إلى منزله من ساعته مكرما

قال : وكانت وفاة محمد بن سماعة القاضي صاحب محمد بن الحسن وصاحب
 أبي حنيفة في خلافة المتوكل ، وذلك في سنة ثلاثين ومائتين ، وهو ابن مائة
 سنة ، صحيح الجسم والعقل والحواس ، يفتض الابكار ، ويركب الخيل التي
 تقطف وتعنق ، لم ينكر من نفسه شيئا

وحكى ابنه سماعة بن محمد قال : قال لي أبي محمد بن سماعة : وجدت في
 حياة سوار بن عبد الله قاضي المنصور كتابا له بخطه أراه من شعره أو أبيات
 أستحسنها وهي :

سلبت عظامي لحمها فتركتهما عوارى في أجلادها تتكسر
 وأخليت منها مخها فكأنها قوارير في أجوافها الريح تصفر
 إذا سمعت ذكر الفراق ترعدت فرائصها من خوف ما تتحذر
 خذى بيدي ثم ارفعى الثوب وانظري ضنى جسدى لكنى أتستر

وفاة محمد بن
 سماعة الحنفى

ولمحمد بن سماعة تصنيفات حسان في الفقه ، وروايات عن محمد بن الحسن وغيره ، منها كتاب نواذر المسائل عن محمد بن الحسن ألوف أوراق .

موت جماعة
من العلماء

وفي هذه السنة - وهي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين - مات يحيى بن معين ، وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين مات أبو بكر بن أبي شيبة والقواريري ، وكانا من عليّة أصحاب الحديث وحفاظهم ، وفيها مات إسحق بن إبراهيم بن مصعب ، وكان على بغداد ، وولى مكانه ، وله أخبار حسان قد أتينا على غررها في كتابنا « أخبار الزمان » .

ومن ظريف أخباره والمستحسن مما كان في أيامه وسيره ببغداد ما حدث به عنه موسى بن صالح بن سيح بن عميرة الأسدي أنه رأى في منامه كأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول له : أطلق القتال ، فارتاع لذلك روعا عظيما ، ونظر في الكتب الواردة لأصحاب الحبوس فلم يجد فيها ذكر قتال ، فأمر باحضار السندي وعباس ، فسألها هل رفع إليهما أحد ادعى عليه بالقتل ، فقال له السباس : نعم ، وقد كتبنا بخبره ، فأعاد النظر فوجد الكتاب في أضعاف القرايطيس ، وإذا الرجل قد شهد عليه بالقتل وأقر به ، فأمر إسحق باحضاره ، فلما دخل عليه ورأى ما به من الارتياح قال له : إن صدقتني أطلقتك ، فابتدأ يخبره بخبره ، وذكر أنه كان هو وعدة من أصحابه يرتكبون كل عزيمة ، ويستحلون كل محرم ، وأنه كان اجتماعهم في منزل بمدينة أبي جعفر المنصور يعتكفون فيه على كل بليّة ، فلما كان في هذا اليوم جاءتهم عجوز كانت تختلف إليهم للفساد ، ومعها جارية بارعة الجمال ، فلما توسطت الجارية الدار صرخت صرخة ، فبادرت إليها من بين أصحابي فادخلتها بيتا وسكنت روعها ، وسألها عن قصتها ، فقالت : الله الله في ، فان هذه المعجوز خدعتني وأعلمتني أن في خزانها حقلم ير مثله ، فشوقتني إلى النظر إلى ما فيه فخرجت معها رائقة بقولها ، فهجمت بي عليكم ، وجدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمى فاطمة ، وأبى الحسن بن على ، فاحفظوهم في ،

قال الرجل : فضمنت خلاصها ، وخرجت إلى أصحابي ففرقتهم ، فكأنني أغريتهم بها ، وقالوا : لما قضيت حاجتك منها أردت صرفنا عنها ، وبادروا إليها وقت دونها أمنع عنها ، فتفاقم الأمر بيننا إلى أن نالتني جراح فعمدت إلى أشدهم كان في أمرها وأكلبهم على هتكها فقتلته ، ولم أزل أمنع عنها إلى أن خلصتها سالمة ، وتخلصت الجارية آمنة مما خافته على نفسها ، فأخرجتها من الدار فسمعتها تقول : سترك الله كما سترني ، وكان لك كما كنت لي ، وسمع الجيران الضجة فتبادروا إلينا والسكين في يدي والرجل يتشحط في دمه ، فرفعت على هذه الحالة ، فقال لي إسحق : قد عرفت لك ما كان من حفظك للمرأة ، ووهبتك لله ورسوله ، قال : فوحق من وهبني له لاعاودت معصية ولا دخلت في ريبة حتى ألقى الله فأخبره إسحق بالرؤيا التي رآها ، وأن الله لم يضيع له ذلك ، وعرض عليه برا واسعا ، فأبى قبول شيء من ذلك .

وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين رضى المتوكل عن أبي محمد يحيى بن أكثم ^{المتوكل} الصفي ، فأشخص إلى سر من رأى وولى قضاء القضاة ، وسخط على أحمد بن أبي ^{يرضى عن يحيى} دواد وولده أبي الوليد محمد بن أحمد ، وكان على القضاء ، وأخذ من أبي الوليد ^{ابن أكثم} مائة ألف وعشرين ألف دينار وجوها بأربعمائة ألف دينار ، وأحضر إلى بغداد ، وقد كان أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد فليح بعد موت عدوه ابن الزيات بسبعة وأربعمائة يوما ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين .

وفي سنة أربعمائة ومائتين كانت وفاة أبي عبد الله أحمد بن أبي دواد ^{وفاة} بعد وفاة أبي الوليد محمد بن أحمد بعشرين يوما ، وكان ممن أدى الله الخير على يديه ^{ابن أبي دواد} على ما اشتهر من أمره ، وسهل الله سبيله إليه ، وحجب إليه المعروف وفعله وذكر أن المعتصم كان بالجوسق يوما مع ندمائه - وقد عزم على الاصطباح ، وأمر كل واحد منهم أن يطبخ قدرا - إذ بصر بسلامة غلام ابن أبي داود ، فقال : هذا غلام ابن أبي دواد يتعرف خبرنا ، والساعة يأتي فيقول فلان الهاشمي

وفلان القرشي وفلان الانصاري وفلان العربي ، فيعطلنا بحوائجهم عما عزمنا عليه ، وأنا أشهدكم أني لا أقضي اليوم له حاجة ، فلم يكن بين قوله وبين استئذان الأتباع لأبي عبد الله الإلهية ، فقال جلسائه : كيف ترون قولي ؟ قالوا : فلا تأذن له ، قال : سوء السكم ، حمى سنة أهون على من ذلك ، ودخل ، فما هو إلا أن سلم وجلس وتكلم حتى أسفر وجه المعتصم وضحكت إليه جوارحه ، ثم قال له : يا عبد الله ، قد طبخ كل واحد من هؤلاء قدرا ، وقد جعلناك حكما في طبخها ، قال : فلتحضر ثم آكل ثم أحكم بحكم بعلم ، فحملت إليه القدور ووضعت بين يديه ، فجعل يأكل من أول قدر أكل تاما ، فقال له المعتصم : هذا ظلم ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني أراك قد أمعنت في هذا اللون ، وستحكم لصاحبه ، قال : يا أمير المؤمنين على أن آكل من هذه القدور كلها كما أكلته من هذا القدر ، فتبسم له المعتصم وقال له : شأنك إذا ، فأكل كما قال ، ثم قال : أما هذه فقد أحسن طابخها إذ أكثر فلفلها وأقل كونها ، وأما هذه فقد أجاد طابخها إذ أكثر خلها وأقل زيتها ، وأما هذه فقد طيبها بخلها باعتدال توايلها ، وأما هذه فقد حذق من عملها بقله مائها وكثرة مرسها ، حتى وصف القدور بصفات سر أهلها بها ، ثم أكل مع القوم كما أكلوا أنظف أكل وأحسنه ، مرة يتحدثهم بأخبار الأكلة في صدر الاسلام : معاوية بن أبي سفيان ، وعبيد الله بن زياد ، والحجاج بن يوسف ، وسليمان ابن عبد الملك ؛ ومرة يتحدثهم عن أكلة دهره مثل سردة التار ، ودورق القصاب ، وحاتم الكيال ، وإسحق الحامى ، فلما رفعت الموائد قال له المعتصم : ألك حاجة يا أبا عبد الله ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : اذكرها فإن أصحابنا يريدون أن يتشاغلوا ، قال : نعم يا أمير المؤمنين رجل من أهلك وطئه الدهر ففقر حاله وخشن معيشته ، قال : ومن هو ؟ قال : سليمان بن عبد الله النوفلى ، قال : قدر له ما يصلحه ، قال : خمسين ألف ، قال : أنفذت ذلك له ، قال : وحاجة أخرى ، قال : وما هي ؟ قال : ضياع إبراهيم بن المعتز تردها له ، قال : قد فعلت ؛ قال : وحاجة أخرى ، قال :

قد فعلت ، قال : فوالله ما خرج حتى سأل ثلاث عشرة حاجة لا يرده عن شيء منها ، حتى قام خطيبا فقال : يا أمير المؤمنين ، عمرك الله طويلا ، فبعمرك تحصب جنات رعيته ، ويلين عيشهم ، وتثمر أموالهم ، ولا زلت تمتعا بالسلامة ، محبوا بالكرامة ، مرفوعا عنك حوادث الأيام وغيرها ، ثم انصرف ؛ فقال المعتصم : هذا والله الذي يتزين بمثله ، ويبتهج بقربه ، ويعدبه ألوف من جنسه ، أما رأيتم كيف دخل ؟ وكيف سلم ؟ وكيف تكلم ؟ وكيف أكل ؟ وكيف وصف القدور ثم انبسط في الحديث ؟ وكيف طاب أكلنا ؟ ما يرد هذا عن حاجة إلا لئيم الاصل خبيث الفرع ، والله لو سألتني في مجلسي هذا ما قيمته عشرة آلاف ألف درهم ما رددته عنها ، وأنا أعلم أنه يكسبني في الدنيا حمدا وفي الآخرة ثوابا

وفي أحمد بن أبي دواد يقول الطائي :

لقد أنسى مساوى كل دهر محاسن أحمد بن أبي دواد
فما سافرت في الآفاق إلا ومن جدّواه راحتي وزادي
مقيم الظن عندك والأمانى وإن قلقت ركابي في البلاد

المتوكل
وجماعة من
الملاحين
يطبخون
فيشتوي
طعامهم

وحكى عن الفتح بن خاقان قال : كنت عند المتوكل وقد عزم على الصبح بالجعفرى ، وقد وجه خلف الندماء والمغنين ، قال : فجعلنا نطوف وهو متكئ على ، وأنا أحادثه ، حتى وصلنا إلى موضع نشرف منه على الخليج ، فدعا بكرسى فقعده عليه ، وأقبل يحادثني ، إذ بصر بسفينة مشدودة بالقرب من شاطئ الخليج ، وملاح بين يديه قدر كبيرة يطبخ فيها سكباج من لحم بقر ، وقد فاحت روائحها ، فقال : يافتح رائحة قدر سكباج والله ويحك أما ترى ما أطيب رائحتها ، على بها على حالها ، فبادر الفراشون فأنزعوها من بين يدي الملاحين ، فلما عين الملاحون أصحاب السفينة ما فعل بهم ذهب نفوسهم فرقا وخوفا ، وجاؤا المتوكل

بالقدر تفور كهيتها ، فوضعت بين أيدينا ، فاستطاب ريحها واستحسن لونها ، ودعا برغيف فكسر منه كسرة ودفعها إلى ، وأخذ هو منه مثلاً ، وأكل كل واحد منا ثلاث لقم ، وأقبل الندماء والمغنون فجعل يلقم كل واحد منهم لقمة من القدر ، وأقبل الطعام ووضعت الموائد ، فلما فرغ من أكله أمر بتلك القدر ففرغت وغسلت بين يديه ، وأمر أن تملأ دراهم ، فجىء ببذرة ففرغت فيها ، ففضل من الدراهم مقدار ألفي درهم ، فقال لخادم كان بين يديه : خذ هذه القدر فامض بها حتى تدفعها إلى من طبخها ؛ وما فضل من هذه البذرة من الدراهم هو هبة له على تجويده طبخها ، قال الفتح : فكان المتوكل كثيراً ما يقول إذا ذكر قدر الملاح : ما أكلت أحسن من سكباج أصحاب السفينة في ذلك اليوم

وأخبرنا القاسم بن جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه بجبينة ، وكان من حديثه الموصلي ، قال : حدثنا أبو الحسن الصالحى ، قال : قال الجاحظ : ذكرت لأمير المؤمنين المتوكل لتأديب بعض ولده ، فلما رأى استبشع منظري ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم ، وصرفنى ، وخرجت من عنده ، فلقيت محمد بن إبراهيم وهو يريد الانصراف إلى مدينة السلام ، فعرض على الخروج معه والانحدار في حراقة فركبنا فيها فلما أتينا قم نهر القاطول وخرجنا من سامرا نصب ستارته وأمر بالغناء فاندفعت عوادة فغنت :

الجاحظ يذكره
للمتوكل
ليؤدب ولده
فاذا رآه
استبشعه

كل يوم قطيعة وعتاب ينقضى دهرنا ونحن غضاب
ليت شعرى أنا خصصت بهذا دون ذا الخلق أم كذا الأحباب
وسكتت ، فأمر الطنبورية فغنت :

بعض قصص
العشاق الذين
قتلوا انفسهم

وارحمتا للعاشقين ما إن أرى لهم معينا

كم يهجررون ويصرمو ن ويقطعون فيصبرونا

قال : فقالت هذه العوادة : فيصنعون ماذا ؟ قالت : هكذا يصنعون ، وضربت بيدها إلى الستارة فهتكها وبرزت كأنها فلقة قمر فزجت بنفسها إلى

الماء وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال وييده مذبذبة فألقى الموضع ونظر إليها وهي تمر بين الماء فأنشأ يقول :

وأنا الذي غرقتني بعد القضا لو تعلمينا

فرج بنفسه في أثرها ، فأدار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقان ؛ ثم غاصا فلم يريا ، فهال ذلك محمدا واستعظمه ، وقال : يا عمرو ، لتحدثني حديثا يسليني عن فقد هذين ، وإلا ألحقتهما بهما ، قال : فحضرني حديث يزيد بن عبد الملك ، وقد قعد للمظالم ، وعرضت عليه القصص ، فمرت به قصة فيها : إن رأى أمير المؤمنين أعزه الله أن يخرج جاريته فلانة حتى تغني ثلثة أصوات فعل ، فاغتاظ يزيد ؛ وأمر من يخرج إليه ويأتيه برأسه ، ثم أمر بأن يتبع الرسول برسول آخر يأمره أن يدخل إليه الرجل ، فلما وقف بين يديه قال له : ما الذي حملك على ما صنعت قال : الثقة بحملك ، والاتكال على عفوك ، فأمره بالجلوس حتى لم يبق أحد من بني أمية إلا خرج ، ثم أمر فأخرجت الجارية ومعها عودها فقال لها القتي : غني أفاطم مهلاً بعض هذا التدلّ وإني كنت قد أزمعت صرعى فأجلى فغنته ، فقال له يزيد : قل ، قال : غني

تألق البرق نجدياً فقلت له : يا أيها البرق إني عفاك مشغول

يكفيك عني عدو ثائر حنق في كفه صارم كالملح مسلول

فغنته ، فقال : قل ، قال : يأمر لي برطل خمر ، فاستم شرابه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد فرمى بنفسه على دماغه فأت ، فقال يزيد : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أترأه الأحمق الجاهل ظن أنني أخرج إليه جاريته وأردها إلى مالي ، يا غلمان ؛ خذوا بيدها واحملوها إلى أهله إن كان له أهل ، وإلا فبيعوها وتصدقوا بشمنها عنه ، فانطلقوا بها إلى أهله ، فلما توسطت الدار نظرت إلى حفرة في دار يزيد قد أعدت للمطر ، فنجذبت نفسها من أيديهم وأنشأت تقول :

من مات عشقا فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت

يزيد بن عبد
الملك يرفع
إليه رجل أنه
يريد أن
يسمع بعض
جواريه تغني
فيفعل

فزجت بنفسها على دماغها فماتت ، فسرى عن محمد وأحسن صلتى ، وقيل :
إن هذا الخبر إنما كان مع سليمان بن عبد الملك ، قال : فذكرت هذا الحديث
لأبى عبد الله محمد بن جعفر الأخبارى بالبصرة ، فقال : أنا أخبرك بنحو من هذا
الحديث الذى حدثتنى به ، حدثنى واثق الخادم ، وكان مولى لمحمد بن حميد
الطوسى ، أن محمد بن حميد كان جالسا مع ندمائه يوما ، ففنت جارية من
وراء الستارة :

يا قمر الفصن متى تطلع أشقى وغيرى بك يستمتع
إن كان ربى قد قضى ما أرى منك على رأسى فما أصنع

وعلى رأس محمد غلام بيده قدح يسقيه ، فرمى بالقدح عن يده وقال :
تصنعين هكذا ، ورمى نفسه من الدار إلى دجلة ، فهتكت الجارية الستارة ،
ثم رمت بنفسها على إثره ، فنزلت الغلظة خلفهما فلم يجدوا أحدا منهما ، فقطع محمد
الشراب ، وقام عن مجلسه .

قال المسعودى : وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين سخط المتوكل على عمر بن
مصرح الراجحى ، وكان من عالية الكتاب ، وأخذ منه مالا وجوها نحو مائة ألف
عمر الراجحى وعشرين ألف دينار ، وأخذ من أخيه نحو مائة ألف وخمسين ألف دينار ،
ثم صولح محمد على أحد وعشرين ألف ألف درهم على أن يرد إليه ضياعه ، ثم
غضب عليه غضبة ثانية ، وأمر أن يصفع فى كل يوم ، فأحصى ما صفع فكان
ستة آلاف صفعة ، وألبسه جبة صوف ، ثم رضى عنه ، وسخط عليه ثالثة ،
وأحدر إلى بغداد ، وأقام بها حتى مات .

وأهدى المؤيد إلى المتوكل قارورة دهن ، وكتب إليه : إن الهدية إذا
كانت من الصغير إلى الكبير فلطفت ودقت كان أبهى لها وأحسن ، وإن كانت
من الكبير إلى الصغير فعظمت كان أرفع لها وأنفع .

قال المسعودى : وكانت وفاة أحمد بن حنبل فى خلافة المتوكل بمدينة السلام
وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ودفن بباب حرب

غضب
المتوكل على
عمر الراجحى
هدية المؤيد
إلى المتوكل

وفاة
أحمد بن حنبل

في الجانب الغربي ، وصلى عليه محمد بن طاهر ، وحضر جنازته خلق من الناس لم ير مثل ذلك اليوم والاجتماع في جنازة من سلف قبله ، وكان العامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد في الأمور : منها أن رجلا منهم كان ينادى العنوا الواقف عند الشبهات ، وهذا بالضد عما جاء عن صاحب الشريعة عليه السلام في ذلك ، وكان عظيم من عظمائهم ومقدم فيهم يقف موقفا بعد موقف أمام الجنازة وينادى بأعلى صوته :

وأظلمت الدنيا لفقد محمد وأظلمت الدنيا لفقد ابن حنبل

يريد بذلك أن الدنيا أظلمت عند وفاة محمد عليه السلام ، وأنها أظلمت عند موت ابن حنبل ، كظلمتها عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفي هذه السنة انتقضت الكواكب الانتقاض الذي لم ير مثله قط ، وذلك في ليلة الخميس است خلون من جمادى الآخرة ، وقد كان في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة انتقاض لكوكب عظيم هائل ، وهي الليلة التي وقعت فيها القرامطة بحاج العراق من طريق الكوفة ، وذلك في ذي القعدة من سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة

وفي السنة التي مات فيها ابن حنبل كانت وفاة محمد بن عبد الله بن محمد الاسكافي ، وكان من أهل النظر والبحث وما عليه أهل العدل ، وكانت وفاة جعفر بن المبرور سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وكان من كبار أهل العدلية وأهل الديانة من البغداديين ، ومات جعفر بن حرب سنة ست وثلاثين ومائتين ، وهو رجل من همدان ووجه قحطان ، وإلى أبيه يضاف شارع باب حرب في الجانب الغربي من مدينة السلام ، وهو شيخ البغداديين من المتكلمين ، ومات عيسى ابن طنج سنة خمس وأربعين ومائتين ، وكان من حذاقهم وأهل الديانات منهم ، وذكر أبو الحسن الخياط أن أبا الهذيل محمد بن الهذيل كانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين ، ثم تنازع أصحابه في مولده : فقال قوم : سنة إحدى وثلاثين ومائة ،

انتقاض
الكواكب
في عهد التوكل

وفاء
جماعة من
العلماء

وقد كان أبو الهذيل هذا اجتمع مع هشام بن الحكم الكوفي الحرار، وكان هشام شيخ الجسمة والرافضة في وقته ممن وافقه على مذهبه، وكان أبو الهذيل يذهب إلى نفي التجسيم ورفع التشبيه، وإلى ضد قول هشام في التوحيد والامامة، فقال هشام لأبي الهذيل: إذا زعمت أن الحركة ترى فلم لازعت أنها تلمس؟ قال: لأنها ليست بجسم فيأمس؛ لأن اللمس إنما يقع على الأجسام، فقال له هشام: قل أيضاً إنها لا ترى لأن الرؤية إنما تقع على الأجسام، فرجع أبو الهذيل سائلاً فقال له: من أين قلت: إن الصفة ليست الموصوف ولا غيره، قال هشام: من قبل أنه يستحيل أن يكون فعلى أنا ويستحيل أن يكون غيري، لأن التغير إنما أوقعه على الأجسام والأعيان القائمة بأنفسها، فلما لم يكن فعلى قائماً بنفسه ولم يجوز أن يكون فعلى أنا وجب أنه لا أنا ولا غيري، وعلة أخرى أنت قائل بها: زعمت يا أبا الهذيل أن الحركة ليست مماسة ولا مباينة لأنها عندك مما لا يجوز عليه المماس ولا المباينة، فلذلك قلت أنا: إن الصفة ليست أنا ولا غيري، وعلى في أنها ليست أنا ولا غيري علتك في أنها لا تماس ولا تباين، فانقطع أبو الهذيل ولم يرد جواباً

وكانت وفاة أبي موسى القراء سنة ست وعشرين ومائتين، وكان من شيوخ العدلية وكبار المتكلمين من البغداديين، ومات وأصل بن عطاء - ويكنى بأبي خزيمة - في سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وهو شيخ المعتزلة وقديهما، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، وهو أن الفاسق من أهل الملة ليس بمؤمن ولا كافر، وبه سميت المعتزلة، وهو الاعتزال، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار بني أمية قول المعتزلة في الأصول الخمسة، فأغنى ذلك عن إعادته، وكذلك فيما سلف من كتبنا خبر عمرو بن عبيد ووفاته، وكان شيخ المعتزلة والمتقدمين فيها، وأن وفاته كانت سنة أربع وأربعين ومائة، وقد كان عمرو بن عبيد اجتمع مع هشام بن الحكم، وهشام يذهب إلى القول بأن الامامة

نص من الله ورسوله على علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، وعلى من يلي عصره من ولده الطاهرين كالحسن والحسين ، ومن يلي أيامهم ، وعمرو يذهب إلى أن الامامة اختيار من الأمة في سائر الأعصار ، فقال هشام لعمر و بن عبيد : لم خلق الله لك عينين ؟ قال : لأنظر بهما إلى ما خلق الله من السموات والأرض وغير ذلك فيكون ذلك دليلا لى عليه ، فقال هشام : فلم خلق لك الله سمعا ؟ قال : لأسمع به التحليل والتحريم والأمر والنهى ، فقال له هشام : فلم خلق الله لك قلبا ؟ قال عمرو : لتكون هذه الحواس مؤدية إليه فيكون ميمزا بين منافعها ومضارها ، قال هشام : فكان يجوز أن يخلق الله سائر حواسك ولا يخلق لك قلبا تؤدي هذه الحواس إليه ؟ قال عمرو : لا ، فقال هشام : ولم ؟ قال : لأن القلب باعث لهذه الحواس على ما يصلح له ، فلما لم يخلق الله فيها انبعاثا من نفسها استحال أن لا يخلق لها باعثا يبعثها على ما خلقت له إلا بخلق القلب ، فيكون هو الباعث لها على ما تفعله ، والمميز لها بين مضارها ومنافعها ، ويكون الامام من الخلق بمنزلة القلب من سائر الحواس ، إذ كانت الحواس راجعة إلى القلب لا إلى غيره ، ويكون سائر الخلق راجعين إلى الإمام لا إلى غيره ، فلم يأت عمرو بفرق يعرف ، وهذا الذى حكيناه ذكره أبو عيسى محمد بن هارون الوراق ببغداد فى كتابه المعروف بكتاب المجالس ، وكانت وفاة أبى عيسى بالرملة سنة سبع وأربعين ومائتين وله تصنيفات كثيرة منها كتابه فى المقالات فى الامامة وغيرها من النظر ، وكانت وفاة أبى الحسين أحمد بن يحيى بن إسحق الراوندى برحبة مالك بن طوق ، وقيل : ببغداد سنة خمس ومائتين ، وله نحو من أربعين سنة ، وله كتب مصنفة مائة كتاب وأربعة عشر كتابا ، وقد ذكرنا فى كتابنا فى « أخبار الزمان » وفاة أربع المقالات وأهل المذاهب والجدل والآراء والفحل ، وأخبارهم ، ومناظراتهم وتباينهم فى مذاهبهم ، وكذلك فى الكتاب الأوسط ، إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وإنما يسنح لنا ذكر بعضهم فى هذا الكتاب فنذكر لهم لمعا ، وكذلك

إبراهيم بن العباس الصولى غيرهم من الفقهاء وأصحاب الحديث ، وفيها مات إبراهيم بن العباس الصولى الكاتب ، وكان كاتباً بليغاً ، وشاعراً مجيداً ، لا يعلم فيمن تقدم وتأخر من الكتاب أشعر منه ، وكان يكتسب فى حدائته بشعره ، ورحل إلى الملوك والأمراء ومدحهم طلباً لجدواهم .

وذكر رجل من الكتاب أن إسحق بن إبراهيم أخا زيد بن إبراهيم حدثه أنه كان يتقلد الصيمرة والسيروان ، وأن إبراهيم بن العباس اجتاز به يريد خراسان والمأمون بها ، وقد بايع بالعهد لعلى بن موسى الرضى ، وقد امتدحه بشعر يذكر فيه فضل آل على وأنهم أحق بالخلافة من غيرهم ، قال : فاستحسن القصيدة ، وسألته أن ينسخها لى ، ففعل ، ووهبت له ألف درهم ، وحملته على دابة ، وضرب الدهر من ضربه إلى أن ولى ديوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك ، وكنت أحد عمال موسى ، وكان يحب أن يكشف أسباب موسى ، فعزاني ، وأمر أن تعمل مؤامرة ، فعملت ، وكثر على فيها ، وحضرت المناظرة عنها ، فجعلت أحتج بما لا يدفع فلا يقبله ، ويحكم لى الكتاب فلا يلتفت إلى حكمهم ، ويسمعنى فى خلال ذلك بدعا من الكلام ، إلى أن أوجب على الكتاب اليمين على باب من الأبواب فخلفت عليه ، فقال : ليست يمين السلطان عندك يميناً ، لأنك رافضى ، فقلت له : تأذن لى فى الدنو منك ، فأذن لى ، فقلت : ليس مع تعريضك بمهجتى للقتل صبر ، وها هو المتوكل إن كتبت إليه بما يسمع منك لم آمنه على نفسى ، وقد احتملت كل ما جرى سوى الرفض ، والرافضى من زعم أن على بن أبى طالب أفضل من العباس ، وأن ولده أحق من ولد العباس بالخلافة ، قال : ومن ذلك قلت أنت وخطك عندى به ، وأخبرته بالشعر ، فوالله ما هو إلا أن قلت ذلك له حتى سقط فى يده ، ثم قال : أحضر الدقتر الذى بخطى ، فقلت له : هيهات !! لا والله أو توثق لى بما أسكن إليه أنك لا تطالبنى بشيء مما جرى على يدى ، وتحرق هذه المؤامرة ، ولا تنظر لى فى حساب ، فخلف لى على ذلك ، وخرق

العمل المعمول ، وأحضرتة الدقتر ، فوضعه في خفه ، وانصرفت وقد زالت عى
المطالبة

ولابراهيم بن العباس مكاتبات قد دوت ، وفصول حسان من كلامه قد
جمعت ، قد آتينا على كثير منها في الكتاب الأوسط : فما استحسن من فصوله
وإن كانت كلها في نهاية الجودة وانتخبناه من كلامه : وقديما غدت المعصية
أبناءها ، فحلبت عليهم من دَرَّها مرضعة ، وبسطت لهم من أمانها مطمعة ،
وركبت فيهم مخاطرها موضعة ، حتى إذا رتعوا فأمنوا ، وركبوا فاطمأنوا ، وانقضى
رضاع وآن فطام ، سقتهم سما ، فقجرت بحارى ألبانها منها دما ، وأعقبتهم من
غذاؤها مرا ، وحطت بهم من معقل إلى عقل ، ومن عز إلى حسرة ، قتل
وأسرا ، وإباحة وقسرا ، وقل من أوضع في الفتنة مرهجا في لبها ومقتحما عند
ضلالها الا استقمحمته آخذة بمخنقه ، وموهنة بالحق كيده ، حتى تجعله لعاجله
جززا ، ولآجله خطبا ، وللحق موعظة ، وللباطل حجة ، ذلك لهم جزاء في الدنيا
ولعذاب الآخرة أكبر وما ربك بظلام للعبيد

وله أشعار حسان : فمما استحسن من شعره الذى لم يسبقه عند جماعة أهل
الأدب أحد من زمانه قوله :

لنا إبل كُومٌ يضيق بها الفَصَا ويَقْتَر عنها أرضها وسباؤها
فمن دونها أن تستباح دماؤنا ومن دوننا أن يستدم دماؤها
حمى قرى فالموت دون مرأها وأهون خطب في الحقوق فناؤها
وقوله :

ولكن الجواد أبا هشام وفى العهد مأمون المغيب
وقوله :

ومن ذخرت زمانى شنأت فى الخسلان

ومن ذخرت لنفسى فعدا ذخر الزمان
لوقيل لى خذ أمانا من أعظم الحداث
لما أخذت أمانا إلا من الاخوان

وقوله :

وإذا جزى الله امرأ بفعاله فجزى أخالك ما جدا سمحا
نبيته من كذبه فكأنما نبت إذ نبيته صبحا
ومما يجب على الرؤساء أن يحفظوه قوله :

تزيده الأيام إن أقبلت حزما وعلما بتصاريفها
كأنها فى وقت إسعافها تسمعه صوت تخاريفها

ومما أحسن فيه وبرز عن نظرائه قوله :

سقيا ورعيا لأيام لنا سلفت بكيت منها فصرت اليوم أبكيها
كذاك أيامنا لا شك نندبها إذا تقضت ونحن اليوم نشكوها

وقوله :

أولى البرية طرا أن تواسيه عند السرور لمن واساك فى الحزن
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وقوله :

لا تلمنى فان عمك أن تـرى وعمى مكارم الأخلاق
كيف يستطيع حفظ ما جمعت كـفاه من ذاق لذة الإفتاق

وقوله :

أسد ضار إذا ما هبته وأب بر إذا ما قدرا
يعلم الأقصى إذا أثرى، ولا يعلم الأدنى إذا ما افتقرا

وكان إبراهيم بن العباس يقول : مثل أصحاب السلطان مثل قوم علوا جبلا
ثم وقعوا منه ، فكان أقربهم إلى التلف أبعدهم من الارتقاء ، وكان إبراهيم يدعى
خوالة العباس بن الأحنف الشاعر

العباس ابن
الأحنف

وحكى أبو العباس أحمد بن جعفر بن حمدان القاضي ، عن سليمان بن الحسن
ابن مخلد ، عن أبيه الحسن ، قال : أنشدني إبراهيم بن العباس قول العباس بن
الأحنف :

إن قال لم يفعل ، وإن سئل لم يبذل ، وإن عوتب لم يُعتَب
صَبَّ بهجراني ، ولو قال لي : لا تشرب البارد ، لم أشرب
فقال : هذا والله الشعر الحسن المعنى ، السهل اللفظ ، العذب المستمع ، القليل
النظير ، ما سمعت كلاما أجزل منه في رقة ، ولا أسهل في صعوبة ، ولا أبلغ في
إنصاف ، من هذا ، فقال له الحسن : كلامك والله أحسن من شعره
ومما استحسن من شعر العباس بن الأحنف قوله :

تَحَمَّلْ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تَحِبُّهُ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُوما فَقُلْ أَنَا ظَالِمٌ
فَطُوبَى لِمَنْ أَغْنَى مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةٌ وَذَاقِ اغْتِمَاضًا إِنَّ ذَاكَ لَنَاعِمٌ
وقوله :

أصرف فؤادك يا عباس معتمدا عنها ، وإلا تمت في حبها كندا
لو أنها من وراء الروم في بلد ما كنت أسكن إلا ذلك البلدا
يا من شكا شوقه من هول غيبته اصبر لعلك تلقى ما تحب غدا
وقوله :

أغبَّ الزيارة لما بدا له الهجر أو بعض أسبابه
وما صدعنا ولكنّه طريد ملالة أحبابه

حدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي قال : حدثنا الرياشي ، قال :

ذكر جماعة من أهل البصرة قالوا : خرجنا نريد الحج ، فلما كنا ببعض الطريق إذا غلام واقف على المحجة وهو ينادى : يا أيها الناس ، هل فيكم أحداً من أهل البصرة ؟ قال : فملنا إليه وقلنا له : ما تريد ؟ قال : إن مولاي لما به يريد أن يوصيكم ، فملنا معه ، فاذا بشخص ملق على بعد من الطريق تحت شجرة لا يحير جواباً ، فجلسنا حوله ، فأحس بنا ، فرفع طرفه ، وهولاً يكاد يرفعه ضعفاً ، وأنشأ يقول :

يا غريب الدار عن وطنه مفرداً يبكي على شجته
كلما جد البكاء به دبَّت الأسقام في بدنه

ثم أغمى عليه طويلاً ، وإنا جلوس حوله إذا قبل طائر فوق على أعلى الشجرة ، وجعل يغرد ، ففتح الفتي عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ثم قال :

ولقد زاد الفؤاد شجى طائر يبكي على فنه
شفه ما شفنى فبكى كلنا يبكي على سكنه

قال : ثم تنفس تنفساً فاضت نفسه منه ، فلم نبرح من عنده حتى غسلناه وكفناه وتوليناه الصلاة عليه ، فلما فرغنا من دفنه سألنا الغلام عنه ، فقال : هذا العباس بن الأحنف

وقد أخبرنا بهذا الخبر أبو إسحق الزجاجي النحوي ، عن أبي العباس المبرد ، عن المازني ، قال : حدثنا جماعة من أهل البصرة بما ذكرناه

وكانت وفاة أبي ثور إبراهيم بن مخلد الكلبي سنة أربعين ومائتين

وفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين نفى المتوكل على بن الجهم الشاعر إلى خراسان ، وقيل : في سنة تسع وثلاثين ومائتين ، وقد أتينا على خبره وما كان ابن الجهم من أمره ورجوعه بعد ذلك إلى العراق وخروجه يريد السفر ، وذلك في سنة وكرر ما قيل في نسبه ومختار من شعره

تسع وأربعين ومائتين ، فلما صار بالقرب من حلب من بلاد قنسرين والعواصم بالموضع المعروف بخساف لقيته خيل السكابين فقال في ذلك وهو في الشرق :

أزید فی اللیل لیل أم سال بالصبح سیل
ذکرت أهل دجیل وأین منی دجیل

وكان على بن الجهم السامى هذا - مع انحرافه عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وإظهاره التسنن - مطبوعا مقتدرا على الشعر ، عذب الألفاظ ، غزير الكلام ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب طعن من طعن على نسبه ، وما قال الناس فى عقب سامة بن لؤى بن غالب ، وقول على بن محمد ابن جعفر العلوى الشاعر :

وَسَامَةٌُ مِنَّا فَأَمَّا بَنُوهُ فَأَمْرُهُمْ عِنْدَنَا مَظْلَمٌ
أَنَاسٌ أَتَوْنَا بِأَنَسَابِهِمْ خَرَّافَةٌ مُضْطَجِعٌ يَحْلُمُ
وَقُلْتُ لَهُمْ مِثْلَ قَوْلِ النَّبِيِّ وَكُلُّ أَقَاوِيلِهِ مُحْكَمٌ
إِذَا مَا سَأَلْتُ وَلَمْ تَدْرِ مَا تَقُولُ فَقُلْ رَبَّنَا أَعْلَمُ

وقول العلوى فيه أيضا :

لَوْ أَكْتَفَيْتَ النَّضْرَ أَوْ مَعَدًّا أَوْ اتَّخَذْتَ الْبَيْتَ كَفًّا مَهْدًا
وَزَمَزِمَا شَرِيعَةً وَوَرَدًا وَالْأَخْشَبِينَ مُحَضَّرًا وَمَبْدًا
مَا أَزْدَدْتُ إِلَّا مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدًا أَوْ كُنْتُ إِلَّا مُصْقِلِيَا وَغَدًّا

وإنما أعدنا هذا الشعر فى هذا الموضع - وإن كنا قد قدمناه فيما سلف من هذا الكتاب - لما سنع لنا من ذكر على بن الجهم فى أيام المتوكل ، ولما احتجنا إليه عند ذكرنا لشعر على بن الجهم وإجابته العلوى على هذا الشعر ، فكان ما أجاب به على بن الجهم لعلى بن محمد بن جعفر العلوى :

لَمْ تَذَقْنِي حَلَاوَةَ الْإِنصَافِ وَتَمَسَّقْتَنِي أَشَدَّ اعْتِسَافِ
وَتَرَكْتَ الْوَفَاءَ عُلَمَاءَ بِمَا فِيهِ وَهَاسِرْتَ غَايَةَ الْإِسْرَافِ
غَيْرَ أَنِّي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى حَدِّ فَقِ بَنِي هَاشِمٍ بَنَ عَبْدِ مَنْفِ

لم أجد لى إلى التشفى سبيلا بقوافٍ ولا بغير قواف
لى نفس تأبى الدنية والأشد سراف لا تعتدى على الأشراف
وله فى الحبس شعر معروف لم يسبقه إلى معناه أحد ، وهو قوله :
قالوا حبست فقلت : ليس بضائرى حبسى ، وأى مهند لا يغمد
أو مارأيت الليث يألف غيله كبرا ، وأوباش السباع تردد
والشمس لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار فى أحجارها مخبوأة لاتصطفى إن لم تُثرها الأزد
والحبس ما لم تغشه لدنية شنعاء نعم المنزل المستورد
بيت يحدد للكريم كرامة ويزار فيه ولا يزور ويحفد
لولم يكن فى الحبس إلا أنه لا يستذلك بالحجاب الأعبد
ومما أحسن فيه قوله :

خليلى ما أحلى الهوى وأمره وأعلمنى بالخلو منه وبالمر
بما بيننا من جرمة هل رأيتما أرق من الشكوى وأقسى من الهجر
وأفصح من عين الحب لسره ولا سيما إن أطلقت عبرة تجرى
ومما اختير من قوله :

حسرت عني القناع ظلوم وتولت ودمعها مسجون
شر ما أنكرت تصرم عهد لم يدم لى وأى عهد يدوم
أنكرت مارأت برأى وقالت : أمشيب أم لؤلؤ منظوم
قلت : أولاهما علمت ، فقلت : آية يستثيرها المهموم
هى عندى من المهموم التى سن فيها العزاء والتسليم
إن أمراً أختنى على بشيب ال رأس فى ليلة لأمر عظيم
ليس عندى وإن تعزيت لى طاعة حسرة وقلب سليم

ومن جيد شعره :

هى النفس ما حَمَلَتْهَا تتحمل وللدهر أيام تجور وتعديل
وعاقبة الصبر الجميل جميلة وأكمل أخلاق الرجال التفضل
ولا عار إن زالت عن المرء نعمة ولكن عارا أن يزول التجميل
وما المال إلا حسرة إن تركته وغنى إذا قدمته متعجّل
ومما اعتذر فيه فأحسن قوله فى المتوكل :

إنّ ذلّ السؤال والاعتذار خُطّةٌ صعبة على الأحرار
ليس من باطل يوردها المرء ولكن سوابق الأقدار
فارض للسائل الخضوع وللقا رف ذنبا بذلة الاعتذار
إن تجافيت منعا كنت أولى من تجافى عن الذنوب الكبار
أو تعاقب فانت أعرف بالآ وليس العقاب منك بعار

ومما جوده قوله لما قيد :

فقلت لها والدمع شتى طريقه ونار الهوى بالقلب يذكو وقودها :
فلا تجزعى إما رأيت قيوده فإنّ خلا خيل الرجال قيودها
وكان فى لسانه فضل قل من سلم معه منه ، وكان محمد بن عبد الله منحرفا
عنه ، فاستشفع عليه بوصيف التركى حتى أصلح له ناحيته ، ثم فسد عليه وصيف
فاستشفع عليه بمحمد بن عبد الله ، وكتب إليه :

الحمد لله شكرا قلوبنا فى يديه
صار الأمير شفيعا إلى شفيعى اليه

وله أشعار نادرة ، وأمثال سائرة ، اخترنا منها ما قدمنا ذكره واقتصرنا بذلك
على أبو صاعد رثى أبو صاعد
عن غيره ، وقد رثاه جماعة من الشعراء بعد قتله منهم أبو صاعد فقال :

أريقى الدمع واجتنبى المَجْجوعا وصونى شمل وجدك أن يضيعا
وقولى : إن كهف بنى لؤى غدا بالشام مُنْجِدًا صريعا
عزاء يا بني جهم بن بدر فقد لا قَيْتَمُ خطبا فظيعا
أما والله لو تدرى المنايا بما لا قيم لبكت نجيعا
توى كهف الأرامل واليتامى ومن كان الزمان به ربيعا
فى كان السهام على الأعادى وليشا دون حادثة منيعا

قال : وفى سنة ثلاث وأربعين ومائتين كان خروج المتوكل من دمشق إلى
سرمن رأى ، فكان بين خروجه منها ورجوعه إليها ثلاثة أشهر وسبعة أيام ،
وفى خروجه يقول المهلبى شعرا طويلا اخترنا منه قوله :

خروج
التوكل إلى
سرمن رأى

أظن الشام يشمت بالعراق إذا عزم الامام على انطلاق
فان تدع العراق وساكنيها فقد تُبلى المليحة بالطلاق

ولما نزل بدمشق أبى أن ينزل المدينة لتكاثف هواء الغوطة عليها وما يرتفع
من بخار مياهها ، فنزل قصر المأمون ، وذلك بين داريا ودمشق ، على ساعة من
المدينة ، فى أعلى الأرض ، وهذا الموضع بدمشق يشرف على المدينة وأكثر
الغوطة ، ويعرف بقصر المأمون إلى هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة
وذكر سعيد بن نكيس قال : كنت واقفا بين يدى المتوكل فى مضر به
بدمشق إذ سمعت الجند واجتمعوا وضجوا يطلبون الاعطية ، ثم خرجوا إلى تجريد
السلاح والرمى بالنشاب ، وأقبلت أرى السهام ترتفع فى الرواق ، فقال لى : يا أبا
سعد ، ادع لى رجاء الحضارى ، فدعوته ، فقال له : يارجاء ، أما ترى ما خرج
إليه هؤلاء ، فما رأى عندك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كنت مشفقا فى هذا
السفر من مثل هذا ، فأشرت بما أشرت من تأخير ، فمال أمير المؤمنين إليه ،
وقال : دع ما مضى ، وقل الآن ماحضر برأيك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، توضع

الأعطية ، فقال له : فهذا ما أرادوا ، وفيه مع ماخرجوا إليه ما يعلم ، قال : يا أمير المؤمنين ، مر بهذا فان الرأي بعده ، فأمر عبد الله بن يحيى بوضع الأعطية فيهم ، فلما خرج المال وبدىء باتفاقه دخل رجاء فقال : مر الآن يا أمير المؤمنين بضرب الطبل للرحيل إلى العراق ، فانهم لا يأخذون مما أخرج إليهم شيئاً ، ففعل ذلك فترك الناس الأعطية حتى إن المعطى ليعتلق بالرجل ليعطيه رزقه فلا يأخذه .

قال سعيد : وقد كان الأتراك قد رأوا أنهم يقتلون المتوكل بدمشق ، فلم تأمر الأتراك يمكنهم فيه حيلة بسبب بغا الكبير ، فانهم دبّروا في إبعاده عنه ، فطرحوا في مضرب المتوكل الرقاع يقولون فيها : إن بغا دبّر أن يقتل أمير المؤمنين ، والعلامة في ذلك أن يركب في يوم كذا في خيله ورجله ، فيأخذ عليه أطراف عسكره ، ثم يأخذ جماعة من الغلمان المعجم يدخلون عليه فيفتكون به ، فقرأ المتوكل الرقاع ، فبغت مما تضمنته ، ودخل في قلبه من بغا كل مدخل ، وشكا إلى الفتح ذلك ، وقال له في أمر بغا والاقدام عليه ، وشاوره في ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الذي كتب الرقاع قد جعل للأمر دلائل في وقت بعينه من ركوب الرجل الأطراف من العسكر وتوكيله بنواحيه ، وبعد ذلك يتبين الأمر ، وأنا أرى أن تمسك ، فان صح هذا الدليل نظرنا كيف يفعل ، وإن بطل ما كتب به فالحمد لله ، وأقبلت الرقاع طرح في كل وقت على جهة النصيح والصدق ، فلما علموا بما علم به الخليفة وتمكن به ما عندهم من الأمر كتبوا رقاعاً فطرحوها في مضرب بغا يقولون فيها : إن جماعة من الغلمان والأتراك قد عزموا على الفتك بالخليفة في عسكره ، ودبروا ذلك ، واتفقوا عليه ، وتعاهدوا على أن يأتوه من نواحي كذا ، ونواحي كذا ، فالحمد لله إلا ما احترست لأمر المؤمنين وحرسته في هذه الليلة من هذه المواضع وحصنتها بنفسك ومن تثق به ، فانا قد نصحننا وصدقنا ، وأكثروا طرح الرقاع بهذا المعنى والتوكيد في حراسة الخليفة ، فلما وقف بغا عليها وتتابعت عليه لم يأمن

أن يكون ما كتب إليه فيها حقاً ، مع ما كان وقع عليه من الأمر قبل ذلك ، فلما كانت الليلة التي ذكروها جمع جيوشه وأمرهم بالركوب بالسلاح ، وركب بهم إلى المواضع التي ذكرت ، فأخذها على المتوكل وحرسها ، واتصل الخبر بالمتوكل فلم يشك أن ما كتب له حق ، فأقبل يتوقع من يوافيه فيفتك به ، وسهر ليلته ، وامتنع من الأكل والشرب ، فلم يزل على تلك الحال إلى الغداة وبها يحرسه ، والأمر عند المتوكل على خلاف ذلك ، وقد اتهم بها واستوحش من فعله ، فلما عزم المتوكل على الانصراف قال له : يا بقا ، قد أبت نفسي مكانك مني ، ورأيت أن أفلدك هذا الصقع وأقر عليك ما كان لك من رزق وحباء ونزل ومعونة وكل سبب ، فقال : أنا عبدك يا أمير المؤمنين فافعل ما شئت ، وأمرني بما أحببت ، فخلفه بالشام وانصرف ، فأحدث الموالى عليه ما أحدثوا ، فلم يعلم المتوكل وجه الحيلة ولم يعلم كل واحد منهما الحيلة في ذلك إلى أن تمت الحيلة .

قال : ولما عزم بها الصغير على قتل المتوكل دعا بباغر التركي ، وكان قد اصطنعه واتخذته وملاً عينه من الصلات ، وكان مقداما أهوج ، فقال له : يا باغر ، أنت تعلم محبتي لك ، وتقديمي إليك ، وإيثاري لك ، وإحساني إليك ، وإني قد صرت عندك في حد من لا يعصى له أمر ، ولا يخرج عن محبسه ، وأريد أن آمرك بشيء فعرفني كيف قلبك فيه ، فقال : أنت تعلم كيف أفعل ، فقل لي ما شئت حتى أفعله ، قال : إن ابني فارس قد أفسد على عملي وعمل على قتلي وسفك دمي ، وقد صح عندي ذلك منه ، قال : فتريد مني ماذا ، قال : أريد أن يدخل على غدا فالعلامة بيننا أن أضع قلنسوتي في الأرض فاذا أنا وضعتها في الأرض فاقتله ، قال : نعم ، ولكن أخاف أن يبدولك أو تجد في نفسك على ، قال : قد آمنك الله من ذلك ، فلما دخل فارس حضر باغر ووقف موقف الضارب ، فلم يزل يراعى بها أن يضع قلنسوته فلم يفعل ، وظن أنه نسي ، فغمزه بعينه أي أفعل ؟ قال : لا ، فلما لم ير العلامة وانصرف فارس قال له بقا : اعلم أنني فكرت في أنه

حدث وأنه ولدى وقد رمت أن أستخلصه هذه المرة ، فقال له باغر : أنا قد سمعت وأطعت وأنت أعلم وما دبرت وقدرت عليه فيه صلاحه ، ثم قال له : وههنا أمر أكبر من ذلك وأهم فعرفى كيف تريد أن تكون فيه ، قال له : قل ماشئت حتى أفعله ، قال : أخى وصيف قد صح عندى أنه يدبر على وعلى رفقائى ، وأن مكاننا قد ثقل عليه ، وأنه عول على أن يقتلنا ويفيننا ويتفرد بالأمور ، قال : فإذا تريد أن يصنع به ؟ قال : أفعل هذا فانه يصير إلى غدا فالعلامة أن أنزل عن المصلى الذى يكون معى قاعدا عليه ، فإذا رأيتنى نزلت عنه فضع سيفك عليه واقتله ، قال : نعم ، فلما صار وصيف إلى بغا حضر باغر وقام مقام المستعد ، فلم ير العلامة حتى قام وصيف وانصرف ، قال : فقال له بغا : يا باغر ، إني فكرت فى أنه أخى ، وأنى قد عاقدته وحلفت له ، فلم أستجز أن أفعل ما دبرته ، ووصله وأعطاه ؛ ثم إنه أمسك عنه مدة مديدة ودعا به ، فقال : يا باغر ، قد حضرت حاجة أكبر من الحاجة التى قدمتها فكيف قلبك ؟ قال : قلبى على ماتحب قتل ماشئت حتى أفعله ، فقال : هذا المنتصر قد صح عندى أنه على إيقاع التدبير على وعلى غيرى حتى يقتلنا ، وأريد أن أقتله فكيف ترى نفسك فى ذلك ؟ ففكر باغر فى ذلك ونكس رأسه ، وقال : هذا لا يحى . منه شىء ، قال : وكيف ؟ قال : يقتل الابن والأب باق ؟ إذا لا يستوى لكم شىء . ويقتلكم أبوه كلهم به ، قال : فماترى عندك ؟ قال : نبداً بالأب أولاً فنقتله ، ثم يكون أمر الصبي أيسر من ذلك ، فقال له : ويحك ويفعل هذا ويتهيا ؟ قال : نعم أفعله وأدخل عليه حتى أقتله ، فجعل يردد عليه ، فيقول : لا تفعل غير هذا ، ثم قال له : فادخل أنت فى أثرى فان قتلته وإلا فاقتلنى وضع سيفك على ، وقل : أراد أن يقتل مولاه ، فعلم بغا حينئذ أنه قاتله وتوجه له فى التدبير فى قتل المتوكل .

وفى سنة سبع وأربعين توفيت شجاع أم المتوكل ، وصلى عليها المنتصر ، مقتل المتوكل وذلك فى شهر ربيع الآخر ، ثم قتل المتوكل بعد وفاتها بستة أشهر ليلة الأربعاء .

ثلاث ساعات خلت من الليل ، وذلك لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ، وقيل : لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين :

وكان مولده بعم الصلح ، حدث البحترى قال : اجتمعنا ذات يوم مع الندماء في مجلس المتوكل ، فتذاكرنا أمر السيوف ، فقال بعض من حضر : بلغنى يا أمير المؤمنين أنه وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير ، ولم ير مثله ، فأمر المتوكل بكتاب إلى عامل البصرة يطلبه بشرائه بما بلغ ، فنفذت الكتب على البريد وورد جواب عامل البصرة بأن السيف اشتراه رجل من أهل اليمن ، فأمر المتوكل بالبعث إلى اليمن يطالب السيف وابتياعه ، فنفذت الكتب بذلك ؛ قال البحترى : فبينما نحن عند المتوكل إذ دخل عليه عبيد الله والسيف معه ، وعرفه أنه ابتيع من صاحبه باليمن بعشرة آلاف درهم ، فسر بوجوده ، وحمد الله على ما سهل من أمره ، وانتضاه فاستحسنه ، وتكلم كل واحد منا بما يحب ، وجعله تحت ثنى فراشه ، فلما كان من الغداة قال للفتح : اطلب لى غلاما تثق بنجدته وشجاعته أدفع له هذا السيف ليكون واقفاه على رأسى لا يفارقنى فى كل يوم مادمت جالسا ، قال : فلم يستم الكلام حتى أقبل باغر التركى فقال الفتح : يا أمير المؤمنين ، هذا باغر التركى قد وصف لى بالشجاعة والبسالة ، وهو يصلح لما أراده أمير المؤمنين ، فدعاه المتوكل ، فدفع إليه السيف ، وأمره بما أراد ، وتقدم أن يراد فى مرتبته ، وأن يضعف له الرزق ، قال البحترى : فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا خرج من غمده من الوقت الذى دفع إليه إلا فى الليلة التى ضربه فيها باغر بذلك السيف .

قال البحترى : لقد رأيت من المتوكل فى الليلة التى قتل فيها عجباً ، وذلك أننا تذاكرنا أمر الكبر وما كانت تستعمله الملوكة من الجبرية ، فجعلنا نخوض فى ذلك وهو يتبرأ منه ، ثم حول وجهه إلى القبلة فسجد وعفر وجهه بالتراب خضوعاً لله عز وجل ، ثم أخذ من ذلك التراب فنثره فى لحيته ورأسه ، وقال : إنما أنا

عبد الله ، وإن من صار إلى التراب لتحقيق أن يتواضع ولا يتكبر ، قال البحرى : فتطيرت له من ذلك ، وأنكرت ما فعله من نثره التراب على رأسه ولحيته ، ثم قعد للشراب ، فلما عمل فيه غنى من حضره من الغنين صوتا استحسنة ، ثم التفت إلى الفتح فقال : يا فتى ، ما بقى أحد سمع هذا الصوت من مُحَارِق غيرى وغيرك ، ثم أقبل على البكاء ، قال البحرى : فتطيرت من بكائه ، وقلت : هذه ثانية ، فانا فى ذلك إذ أقبل خادم من خدم فتيحة ومعه منديل وفيه خلعة وجهت بها إليه فتيحة ، فقال له الرسول : يا أمير المؤمنين ، تقول لك فتيحة : إني استعملت هذه الخلعة لأمر المؤمنين واستحسنتها ووجهت بها لتلبسها ، قال : فإذا فيه دراعة حمراء لم أر مثلها قط ، ومطرف خز أحمر كأنه دبقى من رفته ، قال : فلبس الخلعة والتحف المطرف ، قال : فأنى على ذلك إذ تحرك المتوكل فيه وقد كان التف عليه المطرف فجذبه جذبة فخرقه من طرفه إلى طرفه ، قال فأخذه ولقه ودفعه إلى خادم فتيحة الذى جاءه بالخلعة ، وقال : قل لها احتفظى بهذا المطرف عندك ليكون كفناى عند وفاتى ، فقلت فى نفسى : إنا لله وإن إليه راجعون ، انقضت والله المدة ، وسكر المتوكل سكرًا شديدًا ، قال : وكان من عادته أنه إذا تمايل عند سكره أن يقيمه الخدم الذين عند رأسه ، قال : فبينما نحن كذلك ومضى نحو ثلاث ساعات من الليل إذ أقبل باغر ومعه عشرة نفر من الأتراك وهم مثلثون والسيوف فى أيديهم تبرى فى ضوء تلك الشمع ، فهجموا علينا ، وأقبلوا نحو المتوكل حتى صعد باغر وآخر معه من الأتراك على السرى ، فصاح بهم الفتح : ويلكم !! مولاكم ، فلما رآهم الغلمان ومن كان حاضرا من الجلساء والندماء تطايروا على وجوههم ، فلم يبق أحد فى المجلس غير الفتح وهو يحاربهم ويمنعهم ، قال البحرى : فسمعت صيحة المتوكل وقد ضربه باغر بالسيف الذى كان المتوكل دفعه إليه على جانبه الأيمن ، فقفده إلى خاصرته ، ثم نناه على جانبه الأيسر ففعل مثل ذلك ؛ وأقبل الفتح يمانعهم عنه فبعجه واحد منهم بالسيف الذى كان معه فى بطنه

فأخرجه من متنه ، وهو صابر لا يتنحى ولا يزول ، قال البحرى : فما رأيت أحدا كان أقوى نفسا ولا أكرم منه ، ثم طرح بنفسه على المتوكل ، فأتا جميعا ، فلما فى البساط الذى قتلا فيه ، وطرحا ناحية ، فلم يزالا على حالتها فى ليلتهما وعامة نهارهما حتى استقرت الخلافة للمنتصر ، فأمر بهما فدفنا جميعا ، وقيل : إن فتيحة كفتته بذلك المطرف الحرق بعينه ، وقد كان بها الصغير توحش من المتوكل فكان المنتصر يجتذب قلوب الأتراك ، وكان أوتامش غلام الوائق مع المنتصر ، فكان المتوكل يبغضه لذلك ، وكان أوتامش يجتذب قلوب الأتراك إلى المنتصر وعبيد الله بن خاقان الوزير والفتح بن خاقان منحرفين عن المنتصر مائلين إلى المعتز ، وكانا قد أوغرا قلب المتوكل على المنتصر ، فكان المنتصر لا يبعد أحد من الأتراك إلا اجتذبه ، فاستمال قلوب الأتراك وكثير من الفراعنة والأشروسية ، إلى أن كان من الأمر ما ذكرناه ، وهذا ما اخترناه فى هذا الموضع ، إذ كان أحسن ألقاها وأقرب مأخذا ، وقد أتينا على جميع ما قيل فى ذلك فى الكتاب الأوسط فأغنى ذلك عن إكثاره فى هذا الكتاب

ولم يكن المتوكل يوما أشد سرورا منه فى اليوم الذى قتل فيه ، فلقد أصبح فى هذا اليوم نشيطا فرحا مسرورا ، وقال : كفى أجد حركة الدم ، فاحتجم فى ذلك اليوم ، وأحضر الندماء والمهين ، فاشتد سروره ، وكثر فرحه ، فانقلب ذلك الفرح ترحا ، والسرور حزنا ، فمن ذا الذى يغتر بالدنيا ، ويسكن إليها ، ويأمن القدر والتكبات فيها إلا جاهل مغرور ، فهمى دار لا يدوم نعيمها ، ولا يتم فيها سرور ، ولا يؤمن فيها محذور ، قد قرنت منها السراء بالضراء ، والشدة بالرءاء ، والنعيم بالبلوى ، ثم يتبعها الزوال ، فمع نعيمها البؤس ، ومع سرورها الحزن ، ومع محبوبها المسكروه ، ومع صحتها السقم ، ومع حياتها الموت ، ومع فرحاتها الترحات ، ومع لذاتها الآفات ، عزيزها ذليل ، وقويها مهين ، وغنيها محرووب ، وعظيمها مسلوب ، ولا يبقى إلا الحى الذى لا يموت ولا يزول ملكه

وهو العزيز الحكيم ، وفي ذلك يقول البحترى فى غدر المنتصر بأبيه ، وفتكه به ، من قصيدة له :

أكان ولى العهد أضمر غدره فمن عَجَب أن ولىَّ العهد غادره
فلا ملك الباقي تراث الذى مضى ولا حملت ذاك الدماء منابره

وكانت أيام المتوكل فى حسننها ونضارتها ورفاهية العيش بها وحمد الخاص والعام لها ورضاهم عنها أيام سراء لاضراء ، كما قال بعضهم : كانت خلافة المتوكل أحسن من أمن السبيل ، ورخص السعر ، وأمانى الحب ، وأيام الشباب ، وقد أخذ هذا بعض الشعراء فقال :

قربك أشهى موقعا عندنا من لين السعر وأمن السبيل
ومن لىالى الحب موصولة بطيب أيام الشباب الجميل

قال السعوى : وقد قيل : إنه لم تكن النفقات فى عصر من الأعصار ولا نفقات المتوكل وقت من الأوقات مثلها فى أيام المتوكل

ويقال : إنه أنفق على المارونى والجوسق الجعفرى أكثر من مائة ألف ألف درهم ، هذا مع كثرة الموالى والجند والشاكرية ودرور العطاء لهم وجيل ما كانوا يقبضونه فى كل شهر من الجوائز والهبات

ويقال : إنه كان له أربعة آلاف سرية وطهين كلهن ، ومات وفى بيوت الأموال أربعة آلاف ألف دينار وسبعة آلاف ألف درهم ، ولا يعلم أحد فى صناعته فى جد ولا هزل إلا وقد حظى فى دولته ، وسعد بأيامه ، ووصل إليه نصيب وافر من ماله

وذكر محمد بن أبى عون قال : حضرت مجلس المتوكل على الله فى يوم نيروز ، وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر ، وبين يديه الحسن بن الضحاك الخليع الشاعر ، فغمز المتوكل خادما على رأسه حسن الصورة أن يسقى الحسن كأسا

ويحييه بتفاحة عنبر ، ففعل ذلك ، ثم التفت المتوكل إلى الحسن فقال : قل فيه أبياتا ، فأنشأ يقول :

وكالدرة البيضاء حيًّا بعنبر من الورد يسعى في قراطيس كالورد
له عبثات عند كل تحية بعينه تستدعى الخلى إلى الوجد
تمنيت أن أسقى بعينه شربة تذكرني ما قد نسيت من العهد
سقى الله دهرالم أبت فيه ساعة من الليل إلا من حبيب على وعد

قال المتوكل : أحسنت والله ، يعطى لكل بيت مائة دينار ، فقال محمد بن عبد الله : ولقد أجاب فأسرع ، وذكر فأوجع ، ولو لا أن يد أمير المؤمنين لاتطاو لها يد لأجزلت له العطاء ولو بالطارف والتالد ، فقال المتوكل عند ذلك : يعطى لكل بيت ألف دينار

محمد بن المغيث وعفو المتوكل عنه قال : ويروى أنه لما أتى بمحمد بن المغيث إلى المتوكل وقد دعا له بالنطم والسيف قال له يا محمد ، ما دعاك إلى المشاقة ؟ قال : الشقوة يا أمير المؤمنين ، وأنت ظل الله الممدود بينه وبين خلقه ، إن لى فيك لظنين أسبقهما إلى قلبي أولاهما بك ، وهو العفو عن عبدك ، وأنشأ يقول :

أبى الناس إلا أنك اليوم قاتلى إمام الهدى والعفو بالحر أجمل
وهل أنا إلا جبلة من خطيئة وعفوك من نور النبوة يجمل
تضائل ذنبي عند عفوك قلة فمن لى بفضل منك والمن أفضل
لأنك خير السابقين إلى العلا وإنك خير الفعلتين ستفعل

فقال المتوكل : أفعل خيرهما ، وأمن عليك ، أرجع إلى منزلك ، قال ابن المغيث : يا أمير المؤمنين ، الله أعلم حيث يجعل رسالته

رثاء الشعراء ولما قتل المتوكل رثته الشعراء : فممن رثاه على بن الجهم ، فقال من قصيدة له : رثاء الشعراء للمتوكل

عَبِيدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَنِي وَأَعْظَمَ آفَاتِ الْمُلُوكِ عَبِيدُهَا
بَنِي هَاشِمٍ ، صَبْرًا فَكُلُّ مُصِيبَةٍ سَيَبْلِي عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ جَدِيدُهَا
وَفِيهِ يَقُولُ ابْنُ زَيْدٍ الْمُهَلَّبِيُّ مِنْ قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ :

جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِعَةٌ هَلَا أَتَتْهُ الْمَنَایَا وَالْفَنَاقِصِدُ
عَلَّتْكَ أَسِیَافٌ مِنْ لَا دُونَهُ أَحَدٌ وَلَيْسَ فَوْقَكَ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمَدُ
خَلِيفَةُ لَمْ يَنْلِ مَا نَالَهُ أَحَدٌ وَلَمْ يَصْنَعْ مِثْلَهُ نَوْرٌ وَلَا جَسَدُ
وَفِيهِ يَقُولُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

سَرَتْ لَيْلًا مَنِيَّتُهُ إِلَيْهِ وَقَدْ خَلَى مَنَاعِمَهُ وَنَامَا
فَقَالَتْ: قُمْ ، قِمَامٌ ، وَكَمْ أَقَامْتَ أَخَا مُلْكٍ إِلَى هُكِّ قِمَامَا
وَفِيهِ يَقُولُ الْحَسَنُ بْنُ الضَّحَّاكِ الْخَلِيعُ :

إِنْ الْيَالَى لَمْ تَحْسَنْ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا أَسَاءْتَ إِلَيْهِ بَعْدَ إِحْسَانٍ
أَمَّا رَأَيْتَ خُطُوبَ الدَّهْرِ مَا فَعَلَتْ بِالْهَاشِمِيِّ وَبِالْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ

وَذَكَرَ عَلَى بْنِ الْجَهْمِ قَالَ : لَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ جَعْفَرِ الْمُتَوَكِّلِ

عَلَى اللَّهِ أَهْدَى إِلَيْهِ النَّاسَ عَلَى أَقْدَارِهِمْ ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ ابْنُ طَاهِرٍ هَدِيَّةً فِيهَا مَائَتَا
مُحَبَّةٍ وَوَصِيفَةٌ ، وَفِي الْهَدِيَّةِ جَارِيَةٌ يَقَالُ لَهَا مُحَبَّةٌ كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ جَارِيَةٌ لِلتَّوَكِّلِ
قَدْ أَدْبَهَا وَثَقَّفَهَا وَعَلَّمَهَا مِنْ صُنُوفِ الْعِلْمِ ، وَكَانَتْ تَحْسِنُ كُلَّ مَا يَحْسِنُهُ عُلَمَاءُ النَّاسِ
فَحَسَنَ مَوْقِعُهَا مِنَ التَّوَكِّلِ ، وَحَلَّتْ مِنْ قَلْبِهِ مَحَلًّا جَلِيلًا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَعِدُّ لَهَا عِنْدَهُ
قَالَ عَلَى : فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا لِلْمَنَادِمَةِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْجُلُوسِ قَامَ فَدَخَلَ بَعْضَ الْمَقَاصِيرِ ،
ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ : وَيْلَكَ يَا عَلَى ، دَخَلْتَ فَرَأَيْتَ قَيْنَةً قَدْ كَتَبْتَ
فِي خَدِّهَا بِالْمُسْكَ جَعْفَرًا فَمَا رَأَيْتَ أَحْسَنَ مِنْهُ ، قَتَلَ فِيهِ شَيْئًا ، قَتَلْتَ : يَا سِيدِي ،
[وَحْدِي] أَوْ أَنَا وَمُحَبَّةٌ ، قَالَ : لَا ، بَلْ أَنْتَ وَمُحَبَّةٌ ، قَالَ : فَدَعَوْتُ بِدَوَاةٍ

وقرطاس ، فسبقتني إلى القول ، ثم أخذت العود فترنمت ثم خفقت عليه حتى صاغت له لحنا ، وتضاحكت مليا ، ثم قالت : يا أمير المؤمنين ، تأذن لي ، فأذن لها ، فغنت :

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا بنفسى محط المسك من حيث أترا
لئن أودعت خطامن المسك خدها لقد أودعت قلبي من الوجد أسطرا
فيا من لملوك يظل مليكه مطيعا له فيما أسر وأجهر
ويا من لعيني من رأى مثل جعفر سقى الله صوب المستهلات جعفرا
قال علي : وتغللت خواطري حتى كأني ما أحسن حرفا من الشعر ، قال : فقال لي المتوكل : ويلك يا علي !! ما أمرتك به ، فقلت : ياسيدي أقرني فوالله لقد عزب عن ذهني ، فلم يزل يضرب به على رأسي ويعيرني به إلى أن مات
قال علي : ودخلت إليه أيضا لأنادمه ، فقال لي : ويلك يا علي ، علمت أنني غاضبت محبوبة ، وأمرتها بلزوم مقصورتها ، ونهيت الحشم عن الدخول إليها واثقت من كلامها ، فقلت : ياسيدي ، إن كنت غاضبتها اليوم فصالحها غدا ويديم الله سرور أمير المؤمنين ، ويمد في عمره ، قال : فأطرق مليا ثم قال للندماء : انصرفوا ، وأمر برفع الشراب ، ورفع ، فلما كان من غد دخلت إليه فقال : ويلك يا علي ، إنني رأيت البارحة في النوم أنني قد صالحتها ، فقلت جارية يقال لها شاطر كانت تقف أمامه : والله لقد سمعت الساعة في مقصورتها هينمة لأدري ما هي ، فقال لي : قم ويلك حتى ننظر ما هي ، فقام حافيا وقمت أتبعه حتى قربنا من مقصورتها فإذا هي تحفق عودا وترنم بشيء كأنها تصوغ لحنا ، ثم رفعت عقيرتها وتغنت :

أدور في القصر لا أرى أحدا أشكو إليه ولا يكلمني
حتى كأني أتيتُ معصية ليس لها توبة تخلصني
فمن شفيع لنا إلى ملك قد زارني في الكرى وصالحني

حتى إذا ما الصباح عاد لنا عاد إلى هجره وصار منى
 قال : فصفق المتوكل طربا ، وصفقت معه ، فدخل إليها فلم تزل تقبل رجل
 المتوكل وتمرغ خديها على التراب حتى أخذ بيديها ، ورجعنا وهي ثالثتنا
 قال على : فلما قتل المتوكل ضمت هي وكثير من الوصائف إلى بغا الكبير
 فدخلت عليه يوما للمنادمة ، فأمر بهتك الستارة ، وأمر بالقينات فأقبلن يرفان في
 الحل والحلل ، وأقبلت محبوبة حاسرة من الحل والحلل عليها بياض ، فجلست
 مطرقة منكسة ، فقال لها وصيف : غنى ، قال : فاعتلت عليه ، فقال : أقسمت
 عليك ، وأمر بالعود فوضع في حجرها ، فلما لم تجد بدا من القول تركت العود في
 حجرها ، ثم غنت عليه غناء مرتجلا :

أى عيش يكدلى لا أرى فيه جعفرًا
 ملكٌ قد رأيته في نعيمٍ مُعَفَّرَا
 كل من كان ذا خبا ل وسقم فقد برا
 غير محبوبة التي لو ترى الموت يُشْتَرَى
 لا شَرَّتُهُ بما حوَّه يداها لتقبرا

قال : فغضب عليها وصيف وأمر بسجنها ، فسجنت ، وكان آخر العهد بها
 قال المسعودى : ومات في خلافة المتوكل جماعة من أهل العلم ونقله الآثار
 وحفاظ الحديث : منهم على بن جعفر المدنى بسامرا يوم الاثنين لثلاث بقين من
 ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وأشهر
 وقد تنوزع في السنة التي مات فيها ابن المدنى ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا
 الكتاب السنة التي قيل فيها إن وفاته كانت فيها

وفي هذه السنة مات أبو الريح بن الزهرى ، وقد تنوزع في السنة التي مات فيها
 يحيى بن معين : فمنهم من رأى ما قدمنا في هذا الكتاب ، ومنهم من رأى -
 وهو الأكثر - أنه مات في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، ويكنى بأبى زكريا
 مولى بنى مرة ، وقد بلغ من السن خمسا وسبعين سنة وأشهر ، بالمدينة ، وقيل :

وفاة جماعة
 من العلماء

إن في هذه السنة كانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد المدائني الأخباري ، وقيل :
 مات في أيام الواصل في سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وفيها كانت وفاة مسدد بن
 مسرهد ، واسمه عبد الملك بن عبد العزيز
 وفيها مات الحناني الفقيه ، وابن عائشة واسمه عبد الله بن محمد بن حفص
 ويكنى بأبي عبد الرحمن ، وهو من تيم قريش
 وفي خلافة المتوكل مات هذبة بن خالد ، وسفيان بن فرج الأيلي ، وإبراهيم
 ابن محمد الشافعي ، وذلك في سنة ست وثلاثين ومائتين
 وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين مات العباس بن الوليد الرسي بالبصرة ،
 وعبد الأعلى بن حماد الرسي ، وعبيد الله بن معاذ العبدى
 وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين مات إسحق بن إبراهيم المعروف بابن
 راهويه ، وبشر بن الوليد القاضي الكندي صاحب أبي يوسف ، وقد قيل : إن
 في هذه السنة مات العباس بن الوليد الرسي
 وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين مات عثمان بن أبي شيبة الكوفي بالكوفة ،
 والصلت بن مسعود الجحدري
 وفي سنة أربعين ومائتين مات هيب بن خليفة المصفرى ، وعبد الواحد
 ابن عتاب
 وفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين مات هشام بن عمار الدمشقي ، وحמיד بن
 مسعود الناجي ، وعبد الله بن معاوية الجمحي ، وفيها مات يحيى بن أكرم القاضي
 في الريزة ، ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب
 وفي سنة ست وأربعين ومائتين مات محمد بن المصطفى الحمصي ، وعنبسة
 ابن إسحق بن شمر ، وموسى بن عبد الملك
 قال المسعودي : والمتوكل أخبار وسير حسان غير ما ذكرنا ، وقد أتينا عليها
 على الشرح والاختصار في كتابنا في « أخبار الزمان » والله الموفق للصواب

ذكر خلافة المنتصر بالله

وبويع محمد بن جعفر المنتصر في صبيحة الليلة التي قتل فيها المتوكل ، وهي ليلة الأربعاء ثلثاء خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ، ويكنى بأبي جعفر ، وأمه أم ولد يقال لها حبشية رومية ، واستخلف وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وكانت بيعته بالناصر المعروف بالجعفرى الذى أحدث بناء المتوكل ، ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وكانت خلافته ستة أشهر

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولم مما كان في أيامه

كان الموضع الذى قتل فيه المتوكل هو الموضع الذى قتل فيه شيرويه أباه الموضع الذى كسرى أبرويز ، وكان الموضع يعرف بالماخورة ، وكان مقام المنتصر بعد أبيه في قتل فيه المتوكل الماخورة سبعة أيام ، ثم انتقل عنه ، وأمر بتخريب ذلك في الموضع وحكى عن أبى العباس محمد بن سهل قال : كنت أكتب لعتاب بن عتاب على ديوان جيش الشاكرية في خلافة المنتصر ، فدخلت إلى بعض الأروقة ، فإذا هو مفروش ببساط سوسجرد ومسند ومصلى ووسائد بالحمر والزرقة ، وحول البساط دارات فيها أشخاص ناس وكتابة بالفارسية ، وكنت أحسن القراءة بالفارسية ، وإذا عن يمين المصلى صورة ملك ، وعلى رأسه تاج كأنه ينطق ، فقرأت الكتابة فإذا هي صورة شيرويه القاتل لأبيه أبرويز الملك ملك ستة أشهر ، ثم رأيت صور ملوك شتى ، ثم انتهى بى النظر إلى صورة عن يسار المصلى عليا مكتوب صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قتل ابن عمه الوليد بن يزيد

ابن عبد الملك ملك ستة أشهر ، فتمعجبت من ذلك واتفاقه عن يمين مقعد المنتصر وعن شماله ، فقلت : لأرى يدوم ملكه أكثر من ستة أشهر ، فكان والله كذلك ، فخرجت من الرواق إلى مجلس وصيف وبغا ، وهما في الدار الثانية ، فقلت لوصيف : أعجز هذا القراش أن يفرش تحت أمير المؤمنين إلا هذا البساط الذي عليه صورة يزيد بن الوليد قاتل ابن عمه وصورة شيرويه قاتل أبيه أبرويز ، وعاشا ستة أشهر بعد ماقتلا ، فجزع وصيف من ذلك ، وقال : على أيوب بن سليمان النصراني خازن الفرش ، فقتل بين يديه ، فقال له وصيف : لم تجد ما يفرش في هذا اليوم تحت أمير المؤمنين إلا هذا البساط الذي كان تحت المتوكل ليلة الحادثة وعليه صورة ملك الفرس وغيره ، وقد كان ناله آثار الدماء ؟ قال : سألني أمير المؤمنين المنتصر عنه وقال : ما فعل البساط ؟ فقلت : عليه آثار دماء فاحشة ، وقد عذمت أن لا أفرشه من ليلة الحادثة ، فقال : لم لا تفعله وتطويه ، فقلت : خشيت أن يشيع الخبر عند من يرى ذلك البساط من أثر الحادثة ، فقال : إن الأمر أشهر من ذلك ، يريد قتل الأتراك لأبيه المتوكل ، فطويناه وبسطناه تحته ، فقال وصيف وبغا : إذا قام أمير المؤمنين من مجلسه فخذ وأحرقه بالنار ، فلما قام أحرق بحضرة وصيف وبغا ، فلما كان بعد أيام قال لي المنتصر : افرش ذلك البساط الفلاني ، فقلت : وأين ذلك البساط ؟ فقال : وما الذي كان من أمره ؟ فقلت : إن وصيفا وبغا أمراني باحراقه ، قال : فسكت ولم يعد في أمره شيئا إلى أن مات

وقد كان المنتصر طرب في هذه الأيام ، فدعا بينان بن الحرث العواد ، وكان

طرب المنتصر مطربا مجيدا ، وقد كان غضب عليه ، فأحضره فغناه :
وشعره

لقد طال عهدي بالإمام محمد وما كنت أخشى أن يطول به عهدي

فأصبحت ذا بعد وداري قريبة في أعجبا من قرب داري ومن بعدى

رأيتك في برِّ النبي محمد كبدر الدجا بين العامة والبرد

وكان ذلك ثانياً يوم الأضحى ، وقد كان المنتصر صلى بالناس في هذا العيد
ومما غنى به من الشعر للمنتصر في ذلك اليوم :

رأيتك في المنام أقل بخلا وأطوع منك في غير المنام
فليت الصبح باد ولا نراه وليت الليل آخر ألف عام
ولو أن النعاس يباع يباع لأغليت النعاس على الأنام
ومن شعر المنتصر أيضاً مما غنى بحضرته :

إني رأيتك في المنام كأنني أعطيتني من ريق فيك البارد
وكان كفك في يدي ، وكأنما بتنا جميعاً في لحاف واحد
ثم اتبعت ومعصاك كلاهما بيدي اليمين وفي يمينك ساعدي
فظلت يومى كله متراقدا لأراك في نومي ولست براقدا

وقد كان استوزر أحمد بن الحبيب وندم على ذلك ، وكان نعى عبد الله
ابن خافان ، وذلك أن أحمد ركب ذات يوم فتظلم إليه متظلم بقصة فأخرج رجله
من الركاب فزج بها في صدر المتظلم فقتله ، فتحدث الناس بذلك ، فقال بعض
شعراء ذلك الزمان :

قل للخليفة يا ابن عم محمد أشكل وزيرك إنه ركال
أشكله عن ركل الرجال ، فان ترد مالا فعند وزيرك الأموال

قال المسعودي : ولو لحق هذا الشاعر الوزير حامد بن العباس في وزارته
للمقتدر بالله لرأى منه قريبا مما ظهر من ابن الحبيب ، وذلك أنه خاطبه مخاطب
ذات يوم ، فقلب ثيابه على كتفه ولكم حلقه .

الوزير حامد
ابن العباس
وزير المقتدر

ولقد دخلت عليه ذات يوم أم موسى القهرمانة الهاشمية أو غيرها من
القهارمة ، فخاطبته في شيء من الأموال عن رسالة المقتدر ، فكان مما خاطبها به
أن قال :

اضرطى والتقطى واحسبى لا تغلطى

فأخجلها ذلك ، فقطعها عماله قصدت ، فمضت من فورها إلى المقتدر والسيدة فأخبرتتهما بذلك ، فأمر القيان يغنين ذلك اليوم بذلك الكلام ، وكانت يوم طرب وسرور .

وقد أتينا على خبره وأخبار غيره من وزراء بنى العباس وكتاب بنى أمية إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - فى الكتاب الأوسط .

أحمد بن
الخصيب أيضا أخبرت عن أبى العباس أحمد بن محمد بن موسى بن القرات قال : كان أحمد
الخصيب أيضا ابن الخصيب سبيء الرأى فى والده ، وكان عاملا له ، فجاءنى مخبر من خدم الخاصة فقال : إن الوزير قد ندب لأعمالكم فلانا ، وقد أمره فى والدك بكل مكروه ، وأن يصادره على جملة من المال غليظة ذكرها ، فقعدت وعندى بعض أصدقائنا من الكتاب أبادر بالكتاب إلى والدى بذلك ، فاشتغلت عن جليسى الكاتب فاتكأ على الوسادة وغفا ، فانتبه مرعوبا ، وقال : إني قد رأيت رؤيا عجيبة : رأيت أحمد بن الخصيب واقفا فى هذا الموضع وهو يقول : يموت الخليفة المنتصر إلى ثلاثة أيام ، قال : قلت له : الخليفة فى الميدان يلعب بالصولجان ، وهذه الرؤيا ضرب من البلغم والمرار وقد قدمنا الطعام ، فما استتممنا الكلام حتى دخل علينا داخل فقال : رأيت الوزير بدار الخاصة غير مسفر الوجه ، وإنى سألت عن سبب ذلك فقيل لى : إن الخليفة المنتصر انصرف من الميدان وهو عرق فدخل الحمام ونام فى الباذهنج فضربه الهواء ، وركبته حمى هائلة ، فدخل عليه أحمد بن الخصيب فقال : ياسيدى ، أنت متفلسف وحكيم الزمان ، تنزل من الركوب تبعاً فتدخل الحمام ثم تخرج عرقا فتنام فى الباذهنج ، فقال له المنتصر : أتخاف أن أموت ؟ رأيت فى المنام البارحة آتيا أثنانى فقال لى تعيش خمسا وعشرين سنة ، فعلمت أن ذلك بشارة فى المستقبل من عمرى ، وأنى أبقى فى الخلافة هذه

المدة ، قال : فمات في اليوم الثالث ، فنظروا فإذا هو قد استوفى خمسا وعشرين سنة

وقد ذكر جماعة من أصحاب التواريخ أن المنتصر ضربته الريح يوم الخميس لحس بقين من شهر ربيع الأول ، ومات مع صلاة العصر لحس ليال خلون من ربيع الآخر ، وصلى عليه أحمد بن محمد المستعين ، وكان أول خليفة من بني العباس أظهر قبره ، وذلك أن أمه حبشية سألت ذلك ، فأذن لها ، وأظهرته بسامرا

وقد قيل : إن الصنفوري الطبيب سمّه في مشراط حجمه به ، وقد كان عزم على طريق جمع الأتراك ، فأخرج وصيفا في جمع كثير إلى غزاة الصائفة بطرسوس ونظر يوما إلى بغا الصغير - وقد أقبل في القصر ، وحوله جماعة من الأتراك - فأقبل على الفضل بن المأمون ، فقال : قتلى الله إن لم أقتلهم وأفرق جمعهم ، يقتلهم المتوكل على الله ، فلما نظر الأتراك إلى ما يفعل بهم ، وما قد عزم عليه ؛ وجدوا منه الفرصة

وقد شكّا ذات يوم حرارة فأراد الحجامه ، فخرج له من الدم ثمانية درهم لما كان في الموضع ، وشرب شربة بعد ذلك فحلت قواه ، ويقال : إن السم كان في مبعض الطبيب حين فصدّه

وقد ذكر ابن أبي الدنيا ، عن عبد الملك بن سليمان بن أبي جعفر ، قال : رأيت في نومي المتوكل والفتح بن خاقان ، وقد أحاطت بهما نار ، وقد جاء محمد المنتصر ، فاستأذن عليهما ، فمنع الوصول ، ثم أقبل المتوكل على قتال : يا عبد الملك ، قل لحمد بالكأس الذي سقيتنا تشرب ، قال : فلما أصبحت غدوت على المنتصر فوجدته محمومًا ، فواظبت على عيادته ، فسمعته في آخر علته يقول : عجلنا فموجلنا ، فمات من ذلك المرض

خلق المنتصر

وكان المنتصر واسع الاحتمال ، راسخ العقل ، كثير المعروف ، راغباً في الخير ، سخياً ، أديباً ، عفيفاً ، وكان يأخذ نفسه بمكارم الأخلاق ، وكثرة الانصاف ، وحسن المعاشرة ، بما لم يسبقه خليفة إلى مثله

احمد بن
الحصيب

وكان وزيره أحمد بن الحصيب قليل الخير ، كثير الشر ، شديد الجهل

وكان آل أبي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة ، وخوف على دمائهم ، قد منعوا زيارة قبر الحسين والغرى من أرض الكوفة ، وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد ، وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين ، وفيها أمر المعروف بالذيريج بالسير إلى قبر الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ، وهدمه ومحو أرضه وإزالة أثره ، وأن يعاقب من وجد به ، فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر ، فكل خشى العقوبة ، وأحجم ، فتناول الذيريج مسحاة وهدم أعالي قبر الحسين ، فحينئذ أقدم الفعلة فيه ، وأنهم انتهوا إلى الحفرة وموضع اللحد فلم يروا فيه أثر رمة ولا غيرها ، ولم تزل الأمور على ما ذكرنا إلى أن استخلف المنتصر فأمن الناس ، وتقدم بالكف عن آل أبي طالب ، وترك البحث عن أخبارهم ، وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين رضي الله تعالى عنه ، ولا قبر غيره من آل أبي طالب ، وأمر برد فذك إلى ولد الحسن والحسين ، وأطلق أوقاف آل أبي طالب ، وترك التعرض لشيعتهم ، ودفع الأذى عنهم ، وفي ذلك يقول البحترى من أبيات له :

وإن علياً لأولى بكم وأزكى يداً عندكم من عمر

وكلُّ له فضله والحجو ل يوم التراهين دون الغرر

وفي ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبى - وكان من شيعة آل أبي طالب -

وما كان امتحن به الشيعة في ذلك الوقت وأغريت بهم العامة :

ولقد بررت الطالبية بعدما ذموا زمانا بعدها وزمانا

ورددت ألفة هاشم ؛ فرأيتهم بعد العداوة بينهم إخوانا
أنست ليلهم وجذت عليهم حتى نسوا الأحقاد والأضغانا
لو يعلم الأسلاف كيف بررتهم لرأوك أثقل من بها ميزانا

وفي سنة ثمان وأربعين ومائتين خلع المنتصر بالله أخويه المعتز وإبراهيم من ولاية العهد بعده ، وقد كان المتوكل بالله أخذ لهم العهد في كتب كتبها وشروط اشترطها ، وأفرد لكل واحد منهم جزءاً من الأعمال رسمه له وجعل ولى عهده والتالى ملكه محمداً المنتصر ، وتالى المنتصر وولى عهده المعتز ، وتالى المعتز وولى عهده إبراهيم المؤيد ، وأخذت البيعة على الناس بما ذكرنا ، وفرق فيها أموالاً وعم الناس بالجوائز والصلوات ، وتكلمت في ذلك الخطباء ، ونظمت به الشعراء فمما اختير من قولهم في ذلك قول مروان بن أبى الجنوب من قصيدة :

ثلاثة أملاك ؛ فأما محمد فنورهدى يهدى به الله من يهدى
وأما أبو عبد الإله فانه شبيهك في التقوى ويجدى كما تجدى
وذو الفضل إبراهيم للناس عصمة تقى وفي بالوعيد وبالوعد
فأولهم نور ، وثانيهم هدى ، وثالثهم رشد ، وكلهم مهدي
وقوله للمتوكل مما أجاد فيه وأحسن :

يا عاشر الخلفاء دمت ممتعا بالملك تعقد بعدهم للعاشر
حتى تكون أمامهم وكأنهم زهرُ النجوم دنت لبدر زاهر
وفي بيعة المتوكل لمن ذكرنا من ولده الثلاثة بولاية العهد يقول الشاعر المعروف بالسلمى :

لقد شدَّ ركن الدين بالبيعة الرضا وطائر سعد جعفر بن محمد
لمنتصر بالله أثبت ركنه وأكد بالمعتز قبل المؤيد
ومن قال في ذلك فأحسن القول ، وأجاد النظم ، إدريس بن أبى حفصة :

إن الخلافة مالها عن جعفر نور الهدى وبنيه من تحويل
فاذا قضى منها الخليفة جعفر للناس لا فقدوه خير بدليل
فبقاء ملكك وانتظار محمد خير لنا وله من التعجيل

الخوارج على
المنتصر

وقد كان خرج أيام المنتصر بناحية اليمن والبوازيج والموصول أبو العمود
الشارى ، فحكم واشتد أمره فيمن انضاف إليه من المحكمة من ربيعة وغيرهم
من الأكراد ، فصرح إليه المنتصر جيشا عليهم سما التركى ، فكانت له مع
الشارى حروب ، فأسر الشارى ، وأتى به المنتصر ، فجاد عليه بالعفو ، وأخذ
عليه العهد وخلق سبيله

وحكى عنه وزيره أحمد بن الخصيب بن الضحاك الجرجاني أنه قال حين
رضى عن الشارى : إن لذة العفو أعذب من لذة التشفى ، وأقبح أفعال المقتدر
الانتقام

وأخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، قال : رأى بعض الكتاب
فى المنام فى الليلة التى استخلف فى صبيحتها المنتصر كأن قائلا يقول :
هذا الامام المنتصر والمَلِكُ الحادى عشر
وأمره إذا أمر كالسيف مالاقي بتر
وطرفه إذا نظر كالدهر فى خير وشر

خلق المنتصر
أيضا

وقد كان أظهر الانصاف فى الرعية فالت إليه قلوب الخاصة والعامة ، مع
شدة الهيبة منها له

وحدثني أبو الحسن أحمد بن على بن يحيى المعروف بابن النديم ، قال :
حدثنا على بن يحيى المنجم ، قال : ما رأيت أحدا مثل المنتصر ولا أكرم أفعالا
بغير تبجح منه ، ولا تكلف ، لقد رآنى يوما وأنا مغموم شديد الفكر بسبب
ضبيعة مجاورة لضيعتى ، وكنت أحب شراءها ، فلم أزل أعمل الحيلة عند مالكا حتى

اجابني إلى بيعها ، ولم يكن عندى فى ذلك الوقت قيمة ثمنها ، فصرت إلى المنتصر وأنا على تلك الحال ، فتبين الانكسار فى وجهى ، وشغل القلب ، فقال لى : أراك مفكرا فما قضيتك ؟ فجعلت أزوى عنه خبرى ، وأستر قصتى ، فاستحلفنى ، فصدقته عن خبر الضيعة ، فقال لى المنتصر : فكم مبلغ ثمنها ؟ فقلت : ثلاثون ألف درهم ، قال : فكم عندك منها ؟ قلت : عشرة آلاف ، فأمسك عنى ولم يجبنى ، وتشاغل عنى ساعة ، ثم دعا بدواة وبطاقة ، ثم وقع فيها بشيء لأدرى ما هو ، وأشار إلى خادم كان على رأسه بما لم أفهم ، ففضى الغلام مسرعا ، وأقبل يشغفنى بالحديث ويطاعمنى الكلام ، إلى أن أقبل الغلام فوقف بين يديه ، فهض المنتصر وقال لى : يا على ، إذا شئت فانصرف إلى منزلك ؛ وقد كنت قدرت عند مسئلتك أنه سيأمر لى بالثمن أو نصفه ، فأتيت وأنا لأعقل غما ، فلما وصلت إلى دارى استقبلنى وكيلى فقال : إن خادم أمير المؤمنين صار إلينا ومعه بغل عليه بدرتان ، فسلمهما إلى وأخذ خطى بقبضهما ، قال : فداخلى من الفرج والسرور مالم أملك به نفسى ، ودخلت وأنا لا أصدق قول الوكيل ، حتى أخرج إلى البدرتين ، فحمدت الله تعالى على ما حباه لى ، ووجهت فى وقى إلى صاحب الضيعة فوفيته الثمن ، وتشاغلت سائر يومى بتسليمها والاشهاد بها على البائع ثم بكرت إلى المنتصر من الغد ، فما أعاد على حرفا ، ولا سألنى عن شيء من خبر الضيعة حتى فرق الموت بيننا

قال المسعودى : وذكر الفضل بن أبى طاهر فى كتابه فى أخبار المؤلفين قال :

حدثنى أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير مولى أمير المؤمنين ، قال : كان المنتصر فى أيام إمارته يناديه جماعة من أصحابه ، وفيهم صالح بن أحمد المعروف بالحريرى ، فجرى فى مجلسه ذات يوم ذكر الحب والعشق ، فقال المنتصر لبعض من فى المجلس : أخبرنى عن أى شيء أعظم عند النفس فقدأ ، وهى به أشد تفعجا ؟ قال : فقد خِلَّ مشاكل ، وموت شكل موافق ، وقال آخر من حضر : ما أشد جولة

حديث عن
العشق فى مجلس
المنتصر

الرأى عند أهل الهوى ، وفطام النفس عند الصبا ، وقد تصدعت أ كباد العاشقين من
لوم العاذلين فلولم العاذلين قرط في آذانهم ، ولوعات الحب نيران في أبدانهم ، مع دموع
المعاني ، كغروب السواني ، وإنما يعرف ما أقول ، من أبكته المغاني والطلول ،
وقال آخر : مسكين العاشق ، كل شيء عدوه : هبوب الرياح يقلقه ، ولمعان
البرق يؤرِّقه ، والعدل يؤلمه ، والبعد يُنخله ، والذكر يسقمه ، والقرب يهيجه ،
والليل يضاعف بلاءه ، والرقاد يهرب منه ، ورسوم الدار تحرقه ، والوقوف على
الطلول يبكيه ، ولقد تداوت منه العشاق بالقرب والبعد فما نجح فيه دواء ، ولا هدا
عزاء ، ولقد أحسن النى يقول :

وقد زعموا أن الحب إذا دنا يملُّ وأن النأى يشفى من الوجد
بكلِّ تداوينا فلم يُشَفَّ ما بنا على أن قُرب الدار خير من البعد

فكل قال وأكثر الخطب في ذلك ، فقال المنتصر لصالح بن محمد الحريري :
يا صالح ، هل عشقت قط ؟ قال : إى والله أيها الأمير ، وإن بقايا ذلك في صدري ،
قال : ويلك لمن ؟ قال : أيها الملك ، كنت آلف الرصافة في أيام المعتصم ، وكانت
لقينة أم ولد الرشيد جارية تخرج في جواربها وتقوم في أمرها ، وتلقى الناس عنها ،
وكانت قينة تتولى أمر القصر إذ ذاك ، وكانت تمر بي فأحتشمها وأعانيها ، ثم
راسلتها فطردت رسولى وهددتنى ، وكنت أقعد على طريقها لأكلها ، فإذا رأتنى
ضحكت وغمزت الجوارى بالعبث بى والهزء ، ثم فارقها وفي قلبى منها نار لا تخمد ،
وغليل لا يبرد ، ووجد يتجدد ، فقال له المنتصر : فهل لك أن أحضرها وأزوجكها
إن كانت حرة أو أشتريها إن كانت أمة ؟ فقال : والله أيها الأمير إن بى إلى
ذلك أعظم الفاقة وأشد الحاجة ، قال : فدعا المنتصر بأحمد بن الخصيب ، وسأله
أن يوجه له في ذلك غلاما من غلمانه منفردا ، ويكتب معه كتابا مؤكدا إلى
إبراهيم بن إسحق وصالح الخادم المتولى لأمر الحرم بمدينة السلام ، فمضى
الرسول وقد كانت أعتقتها وخرجت من حد الجوارى إلى حد النساء البوالغ ،

فحملها إلى المنتصر ، فلما حضرت نظر إليها فاذا عجوز قد حدثت وغست وبها
بقية من الجمال ، فقال لها : تحبين أن أزوجك ؟ قالت : إنما أنا أمتك أيها الأمير
ومولاتك فافعل ما بدا لك ، فأحضر صالحا وأملسه بها وأمهرها ، ثم مزح به
فأحضر حورا مرصصا وعركا مخلقا فنثره عليه ، وأقامت مع صالح مدة طويلة ثم
ملها ففارقها ، وقال يعقوب التمار في ذلك :

منح الله أبا الفض	ل حياة لا تنقص
وتولاه فقد با	لغ في الحب وأخلص
عاشقا كان على التز	ويج للعقد تخرص
من هوى من شعرها يخ	ضب بالحناء المفض
فتراه عند ما ين	صل كالبرد المحرص
فهي من أملح خلقا	لله في التاج المفض
رزق الصبر عليها	فتأني وتربص
شيخة هام بها من	وجده شيخ مفرص
قرنصت في عهد نوح	صاحب الفلك وقرنص
أى حظ نال لو لا ا	مرك والخور المرصص
ليته قد جعل الأم	ر إليها وتخلص
فأبو الجودن منها	حين يدنو يتقلص

وذكر أبو عثمان سعيد بن محمد الصغير قال : كان المنتصر في أيام إمارته قد
وجهني إلى مصر في بعض أموره للسلطان ، فعمشت جارية كانت لبعض النخاسين
عرضت للبيع بحسنة في الصنعة مقبولة في الخلقة قائمة على الوزن من الحسن
والكمال ، فساومت مولاه فأبى أن يبيعها إلا بألف دينار ، ولم يكن ثمنها متهيئا
معي ، فأزعجني السفر وقد علقها قلبي ، فأخذني المقيم المقعد من حبها ، وندمت
على ما فاتني من شرائها ، فلما قدمت وفرغت مما وجهني إليه وأديت إليه ما عملت

محمد آثرى فيه ، وسألنى عن حاجتى وخبرى ، فأخبرته بمكان الجارية وكلفى بها ، فأعرض عنى ، وجعل لايزداد إلاحدة ، وقلبى لايزداد إلا كلفا ، وصبرى لايزداد إلا ضعفا ، وسليت نفسى عنها بغيرها ، فكأنى أغريتها ، ولم تتسل عنها ، وجعل المنتصر كلما دخلت إليه وخرجت من عنده يذكرها ويهيج شوقى إليها ، وتحملت إليه بندماته وأهل الأنس به وخاص من يحظى من جواريه وأمها أولاده وجدته أم الخليفة أن يشتريها لى ، وهو لا يجيبنى إلى ذلك ، ويعيرنى بقلّة الصبر ، وكان قد أمر أحمد بن الخصيب أن يكتب إلى عامل مصر فى ابتياعها وحملها إليه من حيث لا أعلم ، فحملت إليه وصارت عنده ، فنظر إليها وسمع منها ، فعذرنى فيها ، ودفعها إلى قيّمة جواريه ، فأصلحت من شأنها ، فلما كان يوما من الأيام استجاسنى وأمرها أن تخرج إلى الستارة ، فلما سمعت غناءها عرفتها ، وكرهت أنى أعلمه أنى قد عرفتها ، حتى ظهر فى ما كتمت ، وغلب على صبرى ، فقال : مالك ياسعيد ؟ قلت : خيرا أيها الأمير ، قال : فأقترح عليها صوتا ، فأقترحت عليها صوتا كنت قد أعلمته أنى سمعته منها ، وأنى استحسنته من غنائها ، ففنته ، فقال : أتعرف هذا الصوت ؟ قلت : إى والله أيها الأمير ، وكنت أطمع فى صاحبته ، فأما الآن فقد أيست منها ، وكنت كالقاتل نفسه بيده ، وكالجالب الحتف إلى حياته ، فقال : والله ياسعيد ما اشتريتها إلا لك ، ويعلم الله أنى ما رأيت لها وجها إلا ساعة دخلت عليها ، وقد استراحت من ألم السفر ، وخرجت من شحوبة التبذل ، فهى لك ، فدعوت له بما أمكننى من الدعاء ، وشكره عني من حضره من الجلساء ، وأمر بها فبيئت وحملت إلى ، فردت إلى حياتى بعد أن أشرفت على الهلكة ، ولا أحد عندى أحظى منها

ومن ملاحظات أحاديث الملبين المجان ما ذكره أبو الفضل بن أبى طاهر قال : حدثنى أحمد بن الحرث الجزار ، عن أبى الحسن المدائني وأبى على الحرمازى ، قالا : كان بمكة سفينة يجمع بين الرجال والنساء على أغشى الريب ، وكان من أشرف قریش ، ولم يذكر اسمها ، فشكا أهل مكة ذلك إلى الوالى ، فغربه إلى

عرفات ، فأتخذها منزلا ، ودخل إلى مكة مستترا ، فلقى بها حرفاءه من الرجال والنساء ، فقال : وما يمنعكم مني ؟ فقالوا : وأين بك وأنت بعرفات ؟ فقال : حمار بدرهمين وصرنم إلى الأمن والنزهة والخلوة واللذة ، قالوا : نشهد إنك لصادق ، فكانوا يأتونه ، فكثرت ذلك حتى أفسد على أهل مكة أحداتهم وحواشيهم ، فعادوا بالشكية إلى أميرهم ، فأرسل إليه ، فأتى به ، فقال : أي عدو الله ، طردتك من حرم الله فصرت إلى المشعر الأعظم تفسد فيه وتجمع بين الخبائث ، فقال : أصلح الله الأمير ، إنهم يكذبون على ويحسدوني ، فقالوا للوالى : بيننا وبينه واحدة تجمع حمر المكارين وترسلها إلى عرفات ، فان لم تقصد إلى بيته لما تعودت من إتيان السفهاء والفجار فالقول ما قال ، فقال الوالى : إن فى هذا لدليلا ، وأمر بجمع الحمر ، فجُمعت ثم أرسلت فقصدت منزله ، وأتاه أمانؤه ، فقال : ما بعد هذا شئ ، جردوه ، فلما نظر إلى السياط قال : ولا بد من ضربى ؟ قال : لا بد ياعدو الله ، قال : اضرب فوالله ما فى هذا شئ بأشد من أن يسخر بنا أهل العراق ، ويقولون : أهل مكة يجيزون شهادة الحمير ، مع تقريرهم لنا بقبول شهادة الواحد مع يمين الطالب ، قال : فضحك الوالى ، وقال : لا أضربك اليوم ، وأمر بتخليته سبيله وترك التعرض له

قال المسعودى : وللمنتصر بالله أخبار حسان وأشعار وملح ومنادمات ومكاتبات ومراسلات قبل الخلافة ، وقد أتينا على مبسوطها وما استحسنناه منها مما لم نورده فى هذا الكتاب فى كتابنا « أخبار الزمان » من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة ، وكذلك فى الكتاب الأوسط ، إذ كنا ما ضمناه كل كتاب منها لم نتعرض لذكره فى الآخر ، ولو كان كذلك لم يكن بينها فرق ، وكان الجميع واحدا ، وسنورد بعد فراغنا من هذا الكتاب كتابا نضمنه فنونا من الأخبار ، ونخلله بالآداب وفنون الآثار ، تاليا لما سلف من كتبنا ومعتقبا لما تقدم من تصنيفنا ، إن شاء الله تعالى

ذكر خلافة المستعين بالله

بجمل تاريخه

وبويع أحمد بن محمد بن المعتصم في اليوم الذي توفي فيه المنتصر ، وهو يوم الأحد لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، ويكنى بأبي العباس ، وكانت أمه أم ولد صقلبية يقال لها مخارق ، وخلع نفسه ، وسلم الخلافة إلى المعتز ، فكانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر ، وقيل : ثلاث سنين وتسعة أشهر ، وكانت وفاته يوم الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وقتل وهو ابن خمس وثلاثين سنة

ذكر جمل من اخباره وسيره

ولم يملك في أيامه

وزراء
المستعين بالله

واستوزر المستعين بالله أبا موسى أوتامش ، وكان المتولى لأمر الوزارة والقيم بها كاتباً لأوتامش يقال له شجاع ، وبعد أن قتل أوتامش وكاتبه صار على وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد ، ولما قتل وصيف وبغا باغر التركي تعصبت الموالي ، وانحدر وصيف وبغا إلى مدينة السلام ، والمستعين معهما ، فأنزلاه دار محمد بن عبدالله بن طاهر ، وذلك في الحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، والمستعين لا أمر له ، والأمر لبغا ووصيف ، وكان من حصار بغداد ما ذكرناه في الكتاب الأوسط ، وفي المستعين بالله يقول بعض الشعراء :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قالوا له كما يقول البغاة

وقد كان المستعين نفي أحمد بن الخصيب إلى إقريطش سنة ثمان وأربعين

ومائتين ، ونفى عبد الله بن يحيى بن خاقان إلى برقة ، واستوزر عيسى بن فرحان شاه
وقلد سعيد بن حميد ديوان الرسائل .

وكان سعيد حافظا لما يستحسن من الأخبار ، ويستجد من الأشعار ، سعيد بن حميد
متصرفا في فنون العلم ، ممتعا إذا حدث ، مفيدا إذا جالس ، وله أشعار كثيرة
حسان ، فما يستحسن ويختار من شعره قوله :

وكننت أخوفه بالدعاء وأخشى عليه من المأثم
فلما أقام على ظلمه تركت الدعاء على الظالم

وقوله :

أسيدتي مالى أراك بخيلة مقيم على الحرمان من يستزيدها
فأصبحت كالدينا ندم صروفها وتبعها ذما ونحن عبيدها

وقوله :

الله يعلم والدينا مولية والعيش منتقل والدهر ذو دول
فللفراق وإن هاجت فجميعته عليك أخوف في قلبى من الأجل
وكننت أفرح بالدينا ولنتها واليأس يحكم للأعداء فى الأمل

وقوله :

وما كان حبيباً لأول نظرة ولا غمرة من بعدها فتجلت
ولكنها الدنيا تولت ، وما الذى يسكنى عن الدنيا إذا ما تولت ؟

وقوله :

كان انحدار الدمع حين تجميله على خدها الرِّيانِ دُرٌّ على در

إلا أن سعيدا على ما وصفنا عنه من الأدب كان يتنصب ، ويظهر التسنن
والتحيل ، وظهر عنه الانحراف عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله
عنه ، وعن الطاهرين من ولده ، وفى ذلك يقول بعض الشعراء :

ما رأينا لسعيد : ن حميد من شبيهه
 ماله يؤذى رسول الله في شتم أخيه
 إنه الزنديق مُستَو ل على دين أبيه

وكان سعيد بن حميد من أبناء المجوس ، وفيه يقول بعض الشعراء وهو أبو علي البصير :

رأس من يدعى البلاغة مني ومن الناس كلهم في حرامه
 وأخونا ولست أغنى سعيد بن حميد تورخ الكتب بأسمه

وكان لسعيد بن حميد وأبي علي البصير وأبي العيناء معانيات ومكاتبات ومداعبات ، وقد أتينا على ذكرها في الكتاب الأوسط

وكان أبو علي البصير من أطبع الناس في زمانه ، لا يزال يأتي بالبيت النادر ، والمثل السائر الذي لا يأتي به غيره ، وكان ابن ميادة بسوء اختياره يرى أنه أشعر من جرير ، ويحسبه مقدما على أهل عصره ، وهو فوق نظرائه في وقته ، ودون البحرى ، فمن مشهور شعره قوله في المعلى بن أيوب :

لعمر أبيك ما نسب المعلى إلى كرم ، وفي الدنيا كريم
 ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوح نبتها رعى الهشيم
 ومما استحسن له من شعره قوله :

إذا ما اغتدت طلبة العلم مالها من العلم إلا ما يخلد في الكتب
 غدوتُ بتشمير وجدٍ عليهم فحبرتي سمعى ودقترها قلبي

ومما استحسن من قوله وهو يريد الحج :

خرجنا نبتغي مكة حجاجا وعمارا
 فلما شارف الحيرة راعى إيلي حارا
 فقلت : احطط بهارحلى ولا تعباً بمن جارا

أبو علي
 البصير
 الشاعر

فصادفنا بها لها وبستانا وخمارا
وظبياً عاقدا بين الـ سنقا والخضر زُناً
فما ظنك بالحلفاء . إن أشعلتها ناراً

ظهور
يحيى بن عمر
العلوي
ومقتله

وظهر في هذه السنة - وهي سنة ثمان وأربعين ومائتين - بالكوفة أبو الحسن يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيار ، وقيل : إن ظهوره كان بالكوفة سنة خمسين ومائتين ، فقتل وحمل رأسه إلى بغداد ، وصلب ، فضج الناس من ذلك لما كان في نفوسهم من المحبة له ؛ لأنه استفتح أموره بالكف عن الدماء ، والتورع عن أخذ شيء من أموال الناس ، وأظهر العدل والانصاف ، وكان ظهوره لذل نزل به ، وجفوة لحقته ومحنة نالته ، من المتوكل وغيره من الأتراك ، ودخل الناس إلى محمد بن طاهر يهنؤونه بالفتح ، ودخل عليهم أبو هاشم الجعفري وهو داود بن القاسم بن إسحاق ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بينه وبين جعفر الطيار ثلاثة آباء ، ولم يكن يعرف في ذلك الوقت أقعد نسباً في آل أبي طالب وسائر بني هاشم وقريش منه وكان ذا زهد وورع ونسك وعلم ، صحيح العقل ، سليم الحواس ، منتصب القامة وقبره مشهور ، وقد أتينا على خبره وما روى عنه من الرواية عن أبيه ومن شاهد من سلفه في كتاب « حقائق الأذهان » في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لابن طاهر : أيها ، وخرج من داره وهو يقول : يا بني طاهر ، البيتين ، وقد كان المستعين أمر بنصب الرأس ، فأمر ابن طاهر بانهاله لما رأى من الناس وما هم عليه ، وفي ذلك يقول أبو هاشم الجعفري :

يا بني طاهر كلوه ويياً إن لحم النبي غير مري
إن وترا يكون طالبه الله لو تر بالقوت غير حري

وقد رثى أبو الحسن يحيى بن عمر بأشعار كثير ، وقد أتينا على خبر مقتله

ومارثي به من الشمر في الكتاب الأوسط ، ومارثي به ما قاله فيه أحمد بن
أبي طاهر الشاعر من قصيدة طويلة :

سلام على الاسلام فهو مودّع	إذا ما مضى آل النبي فودعوا
فقدنا العلا والمجد عند افتقارهم	وأضحت عروس المكرمات تضعع
أتجمع عين بين نوم ومضجع	ولابن رسول الله في الترب مضجع
فقد أفقرت دار النبي محمد	من الدين والاسلام فالدار بلقع
وقتل آل المصطفى في خلاها	وبدد شمل منهم ليس يجمع
ألم تر آل المصطفى كيف تصطفى	نفوسهم أم المنون فتنبع
بنى طاهر ، واللؤم منكم سحبة ،	ولفسدر منكم حاسر ومقنع
قواطعكم في الترك غير قواطع	ولكنها في آل أحمد تقطع
لكم كل يوم مشرب من دماهم	وغلّتها من شربها ليس تنقع
رماحكم للطالبين شرع	وفيكُم رماح الترك بالقتل شرع
لكم مرتع في دار آل محمد	وداركم للترك والجيش مرتع
أخلتُم بأن الله يرعى حقوقكم	وحق رسول الله فيكم مضيع ؟
وأضحوأ يرجون الشفاعة عنده	وليس لمن يرميه بالوتر يشفع
فيقلب مغلوب ويقتل قاتل	ويخفض مرفوع ويدنى المرفع

قال : وكان يحبي ديننا كثير التعطف والمعروف على عوام الناس ، باراً
بخواصهم ، واصلاً لأهل بيته ، مؤثراً لهم على نفسه ، مثقل الظهر بالطالبات يجهد
نفسه ببرهن والتحنن عليهن ؛ لم تظهر له زلة ، ولا عرفت له خزية ، ولما قتل يحبي
جزعت عليه نفوس الناس جزعاً كثيراً ، ورثاه القريب والبعيد ، وحزن عليه
الصغير والكبير ، وجزع لقتله المليء والدنيء ، وفي ذلك يقول بعض شعراء عصره
ومن جزع على فقده :

بكت الخليل شجواً هابداً يحبي وبكاه المهند المصقول

وبسكته العراق شرقا وغربا وبكاه الكتاب والتنزيل
 والمصلى والبيت والركن والحج ر جميعاً لهم عليه عويل
 كيف لم تسقط السماء علينا يوم قالوا أخو الحسين قتيل
 وبنات النبي يندبن شجواً موجعات دموعهن تسيل
 ويؤبن للرزية بدرا فقهه مفضع عزيز جليل
 قطعت وجهه سيوف الأعادي بأبي وجهه الوسيم الجميل
 وليحيى الفتى بقلبي غليل كيف يرضى بالجسم ذاك الغليل
 قتله مذكر لقتل على وحسين ويوم أودى الرسول
 فصلاة الإله وفقاً عليهم ما بكى موجع وحن شكول

وكان ممن رثاه على بن محمد بن جعفر العلوى الحمانى الشاعر، وكان ينزل
 بالكوفة فى حمان ، فأضيف إليهم ، فقال:

يا بقايا السلف الصا لح والتجر الرياح
 نحن للأيام من به ن قتيل وجريح
 خاب وجه الأرض كم غية ب من وجه صبيح
 آه من يومك ما أو داه للقلب القريح

وفيه يقول :

تضوع مسكاً جانب القبر إذ ثوى وما كان لولا شلوه يتضوع
 مصارع فتيان كرام أعزة أتيح ليحيى الخير منهن مصرع
 وقوله :

إني لقومى من أحساب قومكم بمسجد الخيف فى بحبوحة الخيف
 معلق السيف منا بابن عشرة إلا وهمة أمضى من السيف

وقد كان علي بن محمد بن جعفر العلوي هذا - وهو أخو إسماعيل العلوي لأمه -
لما دخل الحسن بن إسماعيل الكوفة - وهو صاحب الجيش الذي لقي يحيى بن عمر -
قعد عن سلامه ، ولم يمض إليه ، ولم يتخلف عن سلامه أحد من آل علي بن أبي
طالب الهاشميين ، وكان علي بن محمد الحناني مفتيهم بالكوفة وشاعرهم
ومدرسهم ولسانهم ، ولم يكن أحد بالكوفة من آل علي بن أبي طالب يتقدمه
في ذلك الوقت ، فتفقده الحسن بن إسماعيل ، وسأل عنه ، وبعث بجماعة فأحضره
فأنكر الحسن تخلفه ، فأجابه علي بن محمد بجواب مستقل آيس من الحياة ،
فقال : أردت أن آتيك مهثماً بالفتح ، وداعياً بالظفر ، وأنشد شعراً لا يقوم على
مثله من يرغب في الحياة :

قتلت أعز من ركب المطايا وجئتكَ أَسْتَلِينُكَ في الكلام
وعَزَّ عليَّ أن ألقاك إلا وفيما يَننَا حَدَّ الحسام
ولكن الجناح إذا أهيضت قوادمه يَرِفُّ على الأكام
فقال له الحسن بن إسماعيل : أنت موتور ، فليست أنكر ما كان منك ،
وخلع عليه وحمله إلى منزله

قال : وكان أبو أحمد الموفق بالله حبس علي بن محمد العلوي لأمر شنع به عليه
من أنه يريد الظهور ، فكتب إليه من الحبس :

قد كان جدك عبد الله خير أب لأُبْنَى عليَّ حَسَيْنَ الخير والحسن
فالكف يوهن منها كل أئمة ما كان من أختها الأخرى من الوهن
فلما صل هذا الشعر إليه كفل وخلي إلى الكوفة

وله أشعار ومراث في أخيه إسماعيل وغيره من أهله ، وفي ذم الشيب ، قد
أتينا على كثير من ذكرها في كتابنا « أخبار الزمان » عند ذكر أخبار الطالبين ،
وفي كتاب « مظاهر الأخبار ، وظرائف الآثار » ، في أخبار النبي صلى الله
عليه وسلم »

ومما رثى به على بن محمد أيضاً أبا الحسن يحيى بن عمر فأجاد فيه وافتخر على غيرهم من قریش قوله :

لعمري لئن سرت قریش بهلكه
فان مات تلقاء الرماح فإنه
فلا تسمتوا فالقوم من يبق منهم
لهم معكم إما جدعتم أنوفكم
تراث لهم من آدم ومحمد
وفيه يقول أيضاً في الشيب :

قد كان حين علا الشباب به
وكانه قمر تمنطق في
يابن الذي جعلت فضائله
من أسرة جعلت مخايلهم
تتهيب الأقدار قدراً
والموت لا تشوى رميته
ومن مرأثيه المستحسنة في أخيه :

هذا ابن أمي عدل الروح في جسدي
فاليوم لم يبق شيء أستريح به
أو مقلة بحياء الهم باكية
تري أناجيك فيها بالدموع وقد
من لي بمثلك يا نور الحياة ويا
من لي بمثلك أدعوه لحادثة

شق الزمان به قلبي إلى كبدي
إلا تفتت أعضائي من الكمد
أو بيت مرثية تبقى على الأبد
نام الخلى ولم أجمع ولم أكد
يمني يدي التي شكت من العضد
تُشكى إليه ولا أشكو إلى أحد

قد ذقت أنواع مُكَلِّ كنت أبلغها علي القلوب وأجناها على كبد
قل للردى لا تغادر بعده أحدا وللمنية من أحببت فاعتمدى
إن الزمان تقصَّى بعد فرقه والعيش آذن بالتفريق والنكد
وكانت وفاة محمد العلوى فى خلافة المعتمد فى سنة ست ومائتين

وفى خلافة المستعين - وذلك فى سنة خمسين ومائتين - ظهر ببلاد طبرستان
الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسن بن
على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة
وقتل شديد ، وما زالت فى يده إلى أن مات سنة سبعين ومائتين ، وخلفه أخوه
محمد بن زيد فيها إلى أن حاربه رافع بن هرثمة ، ودخل محمد بن زيد إلى الديلم
فى سنة سبع وسبعين ومائتين ، فصارت فى يده ، وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمة
وصار فى جملته ، واتقاد لدعوته ، والقول بطاعته ، وكان الحسن بن زيد ومحمد بن
زيد يدعوان إلى الرضا من آل محمد ، وكذلك من طراً بعدهما ببلاد طبرستان ،
وهو الحسن بن على الحسنى المعروف بالأطروش وولده ، ثم الداعى الحسن بن
القاسم الذى قتله التتار بطبرستان ، وكان الحسن بن القاسم من ولد الحسن بن
على بن أبى طالب ، وقد أتينا على خبر سائر آل أبى طالب بطبرستان ومن ظهر
منهم بالمشرق والمغرب وغير ذلك من بقاع الأرض إلى هذا الوقت - وهو سنة
اثنيتين وثلاثين وثلثمائة - فى كتابنا « أخبار الزمان » وإنما نذكر فى هذا الكتاب
لمعا من سائر ما يجب ذكره ، لئلا يخلو هذا الكتاب من ذكرهم

وظهر فى هذه السنة - وهى سنة خمسين ومائتين - بالرى محمد بن جعفر بن
جعفر العلوى الحسن ، ودعا للحسن بن زيد صاحب طبرستان ، وكانت له حروب بالرى مع
أهل خراسان من المسودة ، فأُسروهم إلى نيسابور إلى محمد بن عبد الله بن
ظاهر ، فمات فى معبسه بنيسابور
ظهور أحمد
ابن عيسى

ودعا إلى الرضا من آل محمد ، وحارب محمد بن طاهر ، وكان بالرى ، فانهزم عنها
وسار إلى مدينة السلام ، فدخلها العلوى

وفي هذه السنة - وهى سنة خمسين ومائتين - ظهر بقزوين الكركى ، ظهور الكركى
العلوى بقزوين وهو الحسن بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين بن على بن
أبى طالب رضى الله عنهم ، وهو من ولد الأوسط ، وقيل : إن اسم الكركى
الحسن بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن على بن الحسين
ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فخار به موسى وبغا ، وصار الكركى إلى
الدليم ، ثم وقع إلى الحسن بن زيد الحسنى فهلك قبله

وظهر بالكوفة الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسن بن علي ظهور الحسين
ابن محمد بن حمزة العلوى بالكوفة ابن خاقان ، فأنكشف الطالبى واختفى أ صحابه له ، وتخلفهم عنه ، وكان ذلك
فى سنة إحدى وخمسين ومائتين

وفى سنة تسع وأربعين ومائتين عقد المستعين لابنه العباس على مكة والمدينة المستعين بهم
والبصرة والكوفة ، وعزم على البيعة له فأخراها لصفر سنه ، وكان عيسى بن أن يعقد لابنه
فرخان شاه قال لأبى [على] البصير الشاعر أن يقول فى ذلك شعرا يشير فيه بالبيعة له ،
فقال فى ذلك قصيدة طويلة يقول فيها :

بك الله حاط الدين وانتاش أهله من الموقف الذى مثله يردى
قول ابنك العباس عهدك ؛ إنه له موضع واكتب إلى الناس بالعهد
فان خلفته السن فالعقل بالغ به رتبة الشيخ الموفق للرشد
فقد كان يحى أوقى العلم قبله صبيا ، وعيسى كلم الناس فى المهد
وقال أبو العباس المكى : كنت أنادم محمد بن طاهر بالرى قبل مواقته
الطالبين ، فما رأيته فى وقت من الأوقات أشد سرورا منه ولا أكثر نشاطا قبل

ظهور العلوى بالرى ، وذلك فى سنة خمسين ومائتين ، ولقد كنت عنده ليلة
أتحدث ، والخير وافد والستر مسبل ، إذ قال : كفى أشتهى الطعام فما آكل ؟
قلت : صدر دراج أو قطعة من جدى باردة ، قال : يا غلام ، هات رغيفا وخلا
وملحا ، فأكل من ذلك ، فلما كان فى الليلة الثانية قال : يا أبا العباس ، كفى
جائع فما ترى أن آكل ؟ قلت : ما أكلت البارحة ، فقال : أنت لا تعرف فرق
ما بين الكلامين ، قلت البارحة كفى أشتهى الطعام ، وقلت الليلة كفى جائع ،
وبينهما فرق ، فدعا بالطعام ، ثم قال لى : صف لى الطعام والشراب والطيب
والنساء والخيل ، قلت : أيكون ذلك منشورا أو منظوما ؟ قال : لا ، بل منشورا ،
قلت : أطيب الطعام ما لى الجوع بطعم وافق شهوة ، قال : فما أطيب الشراب ؟
قلت : كأس مدام تبرد بها غليلك وتعاطى بها خليلك ، قال : فأى السماع
أفضل ؟ قلت : أوتار أربعة ، وجارية متربعة ، غناؤها عجيب ، وصوتها مصيب ،
قال : فأى الطيب أطيب ؟ قلت : ريح حبيب تحبه ، وقرب ولد تُرَبِّه ، قال :
فأى النساء أشهى ؟ قلت : من تخرج من عندها كارها وترجع إليها ولها ؟ قال :
فأى الخيل أفره ؟ قلت : الأشدق الأعين الذى إذا طُلب سبق ، وإذا طُلب
لحق ؛ قال : أحسنت ، يا بشر أعطه مائة دينار ، قلت : وأين تقع منى مائتا دينار ؟
قال : أو قد زدت نفسك مائة دينار ؟ يا غلام أعطه المائة كما ذكرنا ، والمائة
الأخرى لحسن ظنه بنا ، فانصرفت بمائتى دينار ، فما كان بين هذا الحديث
وبين تنحيه من الرى إلا جمعة

وكان المستعين حسن المعرفة بأيام الناس وأخبارهم ، لهجا بأخبار الماضين

وحدث محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنى أبو البيضاء مولى جعفر
الطيار ، وكان طيب الحديث ، قال : وفدنا فى أيام المستعين من المدينة إلى سامرا
وفينا جماعة من آل أبى طالب وغيرهم من الأنصار ، فأقمنا ببابه نحو من شهر ، ثم
وصلنا إليه ، فكل تكلم وعبر عن نفسه فقرب وآنس ، وابتدأ بذكر المدينة

معرفة المستعين
وعلمه بالأخبار

ومكة وأخبارها ، وكنت أعرف الجماعة بما شرع فيه ، فقلت : يا أبا ذر أمير المؤمنين في الكلام ؟ قال : ذلك إليك ، فشرعت معه فيما قصد إليه ، وتسلسل بنا الكلام إلى فنون من العلم في أخبار الناس ، [ثم] انصرفنا ، وأقيم لنا الانزال والافصال ، فلما كان في أول الليل أتانا خادم ومعه عدة من الأتراك فرسان ، فحملت على جنبية كانت معهم ، وأتى بي إلى المستعين ، فإذا هو جالس في الجوسق ، فقرئني وأداني ، ثم أخذ بعد أن آتسنى في أخبار العرب وأيامها ، وأهل التميم ، فأنهى بنا الكلام إلى أخبار العذريين والمثيمين ، فقال : ما عندك من أخبار عروة بن حزام ، وما كان منه مع عفراء ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن عروة بن حزام لما انصرف من عند عفراء بنت عقال توفي وجدا بها وصباة إليها ، فمر به ركب ففرقه ، فلما انتهوا إلى منزل عفراء صاح صائح منهم

ألا أيها القصر المغفل أهله نعيمنا إليكم عروة بن حزام
فهمت صوته ، وأشرفت عليه ، وقالت :

ألا أيها الركب المجدون ويحكم بحق نعيم عروة بن حزام
فأجابها رجل من القوم فقال :

نعم تركناه بأرض بعيدة مقيماً بها في سبب وأكام
فقلت لهم :

فإن كان حقاً ما تقولون فاعلموا بأن قد نعيم بذر كل ظلام
فلا تقي الفتیان بعدك لذة ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت أنى شريفاً كمثل ولا فرحت من بعده بغلام
ولا لا بلغتم حيث وجهتم له ونعصم لذات كل طعام

ثم سألتهم أين دفنوه ، فأخبروها ، فصارت إلى قبره فلما قاربته قالت :
أزولوني فاني أريد قضاء حاجة ، فأنزلوها فأنسلت إلى قبره فأكبت عليه فما

حديث
للمستعين مع
أبي البيضاء في
شأن عروة بن
حزام العذري

راهم إلا صوتها ، فلما سمعوه بادروا إليها ، فاذا هي ممتدة على القبر قد خرجت
نفسها فدفنوها إلى جانب قبره ، قال : فقال لي : فهل عندك من خبره غير ما ذكرت ؟
قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، هذا ما أخبرنا به مالك بن الصباح العدوي ، عن
الهيثم بن عدي بن عروة ، عن أبيه ، قال : بعثنى عثمان بن عفان مصدقا في بنى
عذرة في بلاد حى منهم يقال لهم بنو منبذة ، فاذا بييت جديد منحاش عن الحى
فملت إليه ، فاذا بشاب قائم في ظل البيت ، وإذا عجوز جالسة في كسر البيت
فلما رأني ترنم بصوت ضعيف يقول :

جَعَلْتُ لِعَرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ	وَعَرَافُ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَقِيَايَ
فَقَالَا : نَعَمْ ، نَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كُلِّهِ	وَقَامَا مَعَ الْعَوَادِ يَبْتَدِرَانِ
فَمَا تَرَ كَالِي رُقِيَّةَ يَعْرِفَانِهَا	وَلَا شَرِبَةَ إِلَّا بِهَا سَقِيَايَ
وَقَالَا : شَفَاكَ اللَّهُ ، وَاللَّهِ مَا لَنَا	بِمَا حُمِّلَتْ مِنْكَ الضُّلُوعُ يَدَانِ
فَلَمْ يَفِ عَلَى عَفْرَاءَ لَهْفًا كَأَنَّهُ	عَلَى النَّحْرِ وَالْأَحْشَاءِ حَدَّ سَنَانِ
فَعَفْرَاءُ أَحْضَى النَّاسَ عِنْدِي مَوَدَّةً	وَعَفْرَاءُ عَنَى الْمُعْرِضَ الْمُتَدَانِي
وَإِنِّي لِأَهْوَى الْحَشَرَ إِذْ قِيلَ إِنِّي	وَعَفْرَاءُ يَوْمَ الْحَشْرِ مَلْتَقِيَانِ
أَلَا لَمَنْ اللَّهُ الْوَشَاةَ وَقَوْلَهُمْ	فُلَانَةٌ أَضَحَتْ خُلَّةً لِفُلَانِ

ثم شق شقة خفيفة فنظرت في وجهه فاذا هو قد مات ، فقلت : أيها العجوز
ما أظن هذا النائم بفناء بيتك إلا قد مات ، قالت : وأنا والله أظن ذلك ،
فنظرت في وجهه ، وقالت : فاض ورب الكعبة ، فقلت : من هذا ؟ فقالت :
عروة بن حزام العذري ، وأنا أمه ، والله ما سمعت له أنه من سنة إلا في صدر
يومي هذا فإني سمعته يقول :

مَنْ كَانَ مِنْ أَمَهَاتٍ بِأَكْيَا أَبَدًا	فَالْيَوْمُ إِنِّي أُرَانِي فِيهِ مَقْبُوضَا
تَسْمِعِيهِ فَنَانِي غَيْرَ سَامِعِهِ	إِذَا عَلُوتُ رِقَابَ الْقَوْمِ مَعْرُوضَا

قال : فأقمت حتى شهدت غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، قال : فقال عثمان : ومادعاك إلى ذلك ؟ قلت : اكتساب الأجر فيه والله ، قال : فوصل الجماعة وفضلني عليهم في الجائزة

بعض
احاديث
المحبين

قال السعودي : ولئن سلف من التميمين أخبار عجيبه ، وأشعار حسان ، فمن ذلك ما حدثنا به أبو خليفة الفضل بن الحباب^(١) الجمحي القاضي ، قال : حدثنا محمد ابن سلام الجمحي ، قال : أخبرني أبو الهياج بن سابق النجدي ، ثم الثقفى ، قال : خرجت إلى أرض بنى عامر ، لا شئ إلا للقاء المجنون ، فإذا أبوه شيخ كبير ، وإذا إخوته رجال ، وإذا نعم ظاهرة وخير كثير ، فسألته عن المجنون ، فاستعبروا وقال الشيخ : كان والله أبر هؤلاء عندي ، فهو امرأة من قومه ، والله ما كانت تطعم في مثله ، فلما عرف أمره وأمرها كره أبوها أن يزوجها منه ، فزوجها من رجل آخر ، فقيدناه ، فكان يعض شفثيه ولسانه حتى خشينا أن يقطعهما ، فلما رأينا ذلك خيلنا سبيله ، فر في هذه الفياق يذهب إليه في كل يوم بطعامه فيوضع له بحيث يراه فإذا عاينه جاء فأكل ، وإذا خلقت ثيابه جاءه بثياب فوضعت بحيث يراها ، فسألته أن يدلوني عليه ، فدلوني على قتي من الحى ، وقالوا : إنه لم يزل صديقا له ، وليس يأنس بأحد سواه ، فسألته أن يدلني عليه ، فقال : إن كنت تريد شعره فكل شعره عندي إلى أمس ، وأنا ذاهب إليه غدا ، فان كان قد ذكر شيئا أتيتك به ، قلت : أريد أن تدلني عليه ، قال : إن رآك يفر منك ، وأخاف أن يذهب مني فيما بعد فيذهب شعره ، فأبيت إلا أن يدلني ، فقال : اطلبه في هذه الصحراء ، فإذا رأيته فادن منه مستأنسا ، فانه يتهددك ويتوعذك أن يرميك بشئ في يده ، فاجلس كأنك لا تنظر إليه والحظه ، فإذا رأيته قد سكن فاجهد أن تروى لقيس بن الذريح شيئا فانه معجب به ، قال : فخرجت إليه يومى فوجدته بعد العصر جالسا على تل يخط بأصبعه خططا ، فدنوت منه غير

منقبض ، ففر والله كما يفر الوحش من الانسان ، وإلى جانبه أحجار فتناول منها واحدا ، فأقبلت حتى جاست قريبا منه ، فسكت ساعة وهو كأنه نافر ، فلما طال جلوسى سكن وأقبل يعث بأصبعه ، فنظرت إليه وقالت : أحسن والله قيس بن الذريح حيث يقول :

وإني لَمُفْنٍ دَمَعٌ عَيْنِي بِالْبِكا حِذَارًا لما قد كان أو هو كائن

وقالوا : غدا أو بعد ذاك ليلة فراق حبيب لم بين وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكفى إلا أن ما حان حائن

قال : فبكى والله حتى سالت دموعه ، ثم قال : أنا والله أشعر منه حيث أقول :

أبى القلب إلا حُبَّها عامرية لها كُنْيَةُ عمرو وليس لها عمرو

تكاد يدي تَنْدَى إذا ما لمستها وينبت في أطرافها الورق الخضر

عجبت لسعى الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فيا حُبَّها زدني جَوَى كل ليلة ويا سَكْوَةَ الأيام موعداك الحشر

قال : ثم نهض ، فانصرفت ، ثم عدت من الغد ، فأصبت ، ففعلت فعلى

بالأمس ، وفعل مثل فعله ، فلما أنس قلت : أحسن والله قيس بن الذريح حيث

يقول ، قال : ماذا ؟ قلت :

هبوني امرأ إن تحسنوا فهو شاكر لذاك ، وإن لم تحسنوا فهو صافح

فإن يك قوم قد أشاروا بهجرنا فإن الذى بيني وبينك صالح

قال : فبكى ، وقال : أنا والله أشعر منه حيث أقول :

وأدنيني حتى إذا ما سبيتني بقول يحل العُصَمَ سهل الأباطح

تجافيت عني حيث مالى حيلة وخلفت ما خلفت بين الجوانح

ثم ظهرت لنا ظبية ، فوثب في إثرها ، فانصرفت ، ثم عدت في اليوم الثالث

فلم أصادفه ، فرجعت فأخبرتهم ، فوجهوا الذى كان يذهب بطعامه ، فرجع

وأخبرهم أن الطعام على حاله ، ثم غدوت مع إخوته فطلبناه يومنا وليلتنا فلما

أصبحنا أصبناه في واد كثير الحجارة وإذا هو ميت فاحتمله إخوته ورجعت إلى بلدى .

وفاة
بغا الكبير
التركي

قال : وفي سنة ثمان وأربعين ومائتين كانت وفاة بغا الكبير التركي ، وقد نيف على التسعين سنة ، وقد كان باشر من الحروب ما لم يباشره أحد ، فما أصابته جراحة قط ، وتقلد ابنه موسى بن بغا ما كان يتقلده ، وضم إليه أصحابه ، وجعلت له قيادته ، وكان بغا دينيا بين الأتراك ، وكان من غلمان المعتصم يشهد الحروب العظام ويباشرها بنفسه فيخرج منها سالما ، ويقول : الأجل جوشن .

ولم يكن يلبس على بدنه شيئا من الحديد ، فعذل في ذلك ، فقال : رأيت في نومى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من أصحابه قتال لي : يا بغا ، أحسنت إلى رجل من أمتي فدعا لك بدعوات استجيبت له فيك ، قال : فقلت : يا رسول الله ومن ذلك الرجل ؟ قال : الذى خلصته من السباع ، فقلت : يا رسول الله ، سل ربك أن يطيل عمرى ، فرفع يديه نحو السماء وقال : اللهم أطل عمره ، وأنم أجله ، فقلت : يا رسول الله ، خمس وتسعون سنة ، فقال رجل كان بين يديه : ويوقى من الآفات ، فقلت للرجل : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب ، فاستيقظت من نومى ، وأنا أقول : على بن أبى طالب .

وكان بغا كثير التعطف والبر للظالمين ، فقيل له : من كان ذلك الرجل الذى خلصته من السباع ؟ قال : كان أتى المعتصم برجل قد رُمى ببدة ، فخرت بينهم في الليل مخاطبة في خلوة ، فقال لي المعتصم : خذ فآلقه إلى السباع ، فأثيت بالرجل إلى السباع لألقيه إليها وأنا مفتاظ عليه ، فسمعته يقول : اللهم إنك تعلم ما تكلمت إلا فيك ، ولم أرد بذلك غيرك ، وتقربا إليك بطاعتك ، وإقامة الحق على من خالفك ، أقتسلمني ؟ قال : فارتعدت ودخلتني له رقة ، وملى قلبي له رعبا ، فحذبتني عن طرف بركة السباع ، وقد كدت أن أزج به فيها ، وأثيت به حجرتي ، فأخفيتني فيها ، وأثيت المعتصم فقال : هيه ، قلت : ألقيته ، قال : فما سمعته يقول ؟

قلت : أنا عجمي وهو يتكلم بكلام عربي ما أدري ما يقول ، وقد كان الرجل أغلظ فلما كان في السحر قلت للرجل : قد فتحت الأبواب وأنا مخرجك مع رجال الحرس ، وقد آثرتك على نفسي ، ووقيتك بروحي ، فاجهد أن لا تظهر في أيام المعتصم ، قال : نعم ، قلت : فما خبرك ؟ قال : هجم رجل من عماله في بلدنا على ارتكاب المكاره والفجور وإمالة الحق ونصر الباطل ، فسرى ذلك إلى فساد الشريعة ، وهدم التوحيد ، فلم أجد عليه ناصرا ، فوثبت عليه في ليلة فقتلته لأن جرمه كان يستحق به في الشريعة أن يفعل به ذلك .

قال المسعودي : ولما انحدر المستعين ووصيف وبقا إلى مدينة السلام اضطربت الأتراك والفراعنة وغيرهم من الموالى بسامرا ، وأجمعوا على بعث جماعة إليه يسألونه الرجوع إلى دار ملكه ، فصار إليه عدة من وجوه الموالى ومعهم البرد والقضيب وبعض الخزائن ومائتا ألف دينار ، ويسألونه الرجوع إلى دار ملكه ، واعترفوا بذنوبهم ، وأقروا بخطئهم ، وضمنوا أن لا يعودوا ولا غيرهم من نظرائهم إلى شيء من ذلك مما أنكره عليهم ، وتذللوا وخضعوا ، فأجيبوا بما يكرهون ، وانصرفوا إلى سر من رأى ، فأعلموا أصحابهم وأخبروهم بما نالهم ، وإياسهم من رجوع الخليفة

اضطراب
الأتراك

وقد كان المستعين اعتقل المعتز والمؤيد حين انحدر إلى بغداد ، ولم يأخذها معه ، وقد كان حذر من محمد بن الواثق حين انحدره فأخذه معه ، ثم إنه هرب منه مع رجال الحرب ، فأجمع الموالى على إخراج المعتز والمبايعه له والانتقياد إلى خلافته ومحاربة المستعين وناصريه ببغداد ، فأنزله من الموضع المعروف بلؤلؤة الجوسق ، وكان معتقلا فيه مع أخيه المؤيد ، فبايعوه ، وذلك يوم الأربعاء عشرة ليلة خلت من المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، وركب من غد ذلك اليوم إلى دار العامة ، فأخذ البيعة على الناس ، وخلع على أخيه المؤيد ، وعقد له عقدين أسودا أبيض ، فكان الأسود لولاية العهد بعده ، والأبيض لولاية الحرمين

عزل
المستعين
وتولية
المعتز

وتقلدهما ، وانبثت الكتب في سامرا بخلافة المعتز بالله من سائر الأمصار ، وأرخت باسم جعفر بن محمد الكاتب ، وأحدر أخاه أبا أحمد مع عدة من الموالي لحرب المستعين إلى بغداد ، فنزل عليها ، فكان أول حرب جرت بينهم ببغداد بين أصحاب المعتز والمستعين ، وهرب محمد بن الواثق إلى المعتز بالله ، ولم تنزل الحرب بينهم وبين أهل بغداد للنصف من صفر من هذه السنة ، فلما نشبت الحرب بينهم كانت أمور المعتز تقوى ، وحالة المستعين تضعف ، والفتنة عامة ،

فلما رأى محمد بن عبد الله بن طاهر ذلك كاتب المعتز وجنح إليه ، ومال إلى الصلاح على خلع المستعين ، وقد كانت العامة ببغداد حين علمت ما قد عزم عليه من خلع المستعين ثارت منكرة لذلك ، متحيزة إلى المستعين ، ناصرة له ؛ فأظهر محمد بن عبد الله المستعين على أعلى قصره ، فخطبته العامة وعليه البردة ، فانسكر ما بلغهم من خلعه ، وشكر محمد بن عبد الله بن طاهر ، ثم التقى محمد ابن عبد الله بن طاهر وأبو أحمد الموفق بالشماسية ، فاتفقا على خلع المستعين على أن له الأمان ولأهله وولده وما حوته أيديهم من أملاكهم ، وعلى أنه ينزل مكة هو ومن شاء من أهله ، وأن يقيم بواسط العراق إلى وقت مسيره إلى مكة ، فكتب له المعتز على نفسه شروطا أنه متى نقض شيئا من ذلك فالله ورسوله منه براء ، والناس في حل من بيعته ، وعهودا يطول ذكرها ، وقد خذل المعتز بعد ذلك لخالفها حين عالج في نقضها ، فخلع المستعين نفسه من الخلافة ، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين فكان له مذ وافي مدينة السلام إلى أن خلع سنة كاملة ، وكانت خلافته منذ تقلد الأمر على ما بيناه آتفا إلى أن زال عنه ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما على ما ذكرناه من الخلاف ، وأحدر إلى دار الحسن بن وهب ببغداد ، وجمع بينه وبين أهله وولده ، ثم أحدر إلى واسط ، وقد وكل به أحمد بن طولون التركي ، وذلك قبل ولايته مصر ، وعلم عجز محمد بن عبد الله بن طاهر عن قيامه بأمر المستعين حين

استجار به وخذلانه إياه وميله إلى المعتز بالله ، وفي ذلك يقول بعض شعراء
العصر من أهل بغداد :

أطافت بنا الأتراك حَوْلًا مُجَرَّمًا وما برحت في جحرها أم عامر
أقامت على ذل بها ومهانة فلما بدت أبدت لنا لؤم غادر
ولم ترعَ حق المستعين فأصبحت تعين عليه حادثات المقادر
لقد جمعت لؤما وخبثًا وذله وأبقت لها عارا على آل طاهر

ولما كان من الأمر ما قدمنا من خلع المستعين انصرف أبو أحمد الموفق من
بغداد إلى سامرا ، فخلع عليه المعتز ، وتوج ، ووشح بوشاحين ، وخلع على من
كان معه من قواده ، وقدم على المعتز عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن
عبد الله بالبرد والقضيب والسيف وبجوهر الخلافة ، ومعه شاهك الخادم ،
وكتب محمد بن عبد الله إلى المعتز في شاهك : إن من أتك بارث رسول الله صلى الله
عليه وسلم لجدير أن لا تخفر ذمته ،

وخلع المستعين وعلى وزارته أحمد بن صالح بن شيرزاد

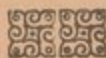
ولما كان في شهر رمضان من هذه السنة - وهي سنة اثنتين وخمسين
ومائتين - بعث المعتز بالله سعيد بن صالح الحاجب ليلقى المستعين ، وقد كان في
جملة من حمله من واسط ، فلقيه سعيد وقد قرب من سامرا فقتله واحتز رأسه
وحمله إلى المعتز بالله ، وترك جثته ملقاة على الطريق حتى تولى دفنها جماعة
من العامة

وكانت وفاة المستعين بالله يوم الأربعاء لست خلون من شوال سنة اثنتين
وخمسين ومائتين ، وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، على ما قدمنا في صدر
هذا الباب

وذكر شاهك الخادم قال : كنت عديلا للمستعين عند إشخاص المعتزلة

إلى سامرا ، ونحن في عمارية ، فلما وصل إلى القاطول تلقاه جيش كثير ، فقال :
يا شاهك انظر من رئيس القوم ؟ فان كان سعيدا الحاجب فقد هلك ، فلما
عاینته قلت : هو والله سعيد ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهبت والله
نفسی ، وجعل يبکی ، فلما قرب سعيد منه جعل یقنعه بالسوط ثم أضجعه وقعد
على صدره واحتز رأسه وحمله على ما ذكرنا ، واستقامت الأمور للمعتز ،
 واجتمعت الكلمة عليه

وللمستعين أخبار غير ما ذكرناه في هذا الكتاب ، وأوردناه في هذا الباب
قد أتينا على ذكرها في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وإنما ذكرنا
ما أوردناه في هذا الكتاب لثلاث يتوهم أنا أغفلنا ذكرها أو عذب عنا فهمها ؛ فانا
بحمد الله لم نترك شيئا من أخبار الناس وسيرهم وما جرى في أيامهم إلا وقد
ذكرناه وأوردناه في كتبنا أحسنه ، وفوق كل ذي علم عليم ، والله الموفق للصواب



ذكر خلافة المعتز بالله

بجمل تاريخه

بويج المعتز بالله ، وهو الزبير بن جعفر المتوكل ، وأمه أم ولد يقال لها فتية
ويكنى أبا عبد الله ، وله يومئذ ثمان عشرة سنة ، بعد خلع المستعين لنفسه ، وذلك
يوم الخميس لليلتين خلتا من المحرم ، وقيل : ثلاث خلون منه ، سنة اثنتين
وخمسين ومائتين على ما قدمنا ، وبايعه القواد والموالي والشاكرية وأهل بغداد
وخطب له في المسجد الجامع ببغداد في الجانبين
ثم خلع المعتز نفسه يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين
ومائتين ، ومات بعد أن خلع نفسه بستة أيام
فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر ، ودفن بسامرا ، فجعله أيامه منذ
بويج بسامرا قبل خلع المستعين إلى اليوم الذي خلع فيه أربع سنين وستة أشهر
وأياما ، ومنذ بويج له بمدينة السلام ثلاث سنين وسبعة أشهر ، وتوفي وله أربع
وعشرون سنة

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولمعه مما كان في أيامه

ما قيل في خلع
المستعين

ولما خلع المستعين بالله وأحدر إلى واسط - بعد أن أشهد على نفسه أنه قد
برئ من الخلافة وأنه لا يصلح لها ، لما رأى من الخلاف الواقع ، وأنه قد جعل
الناس في حل من بيعته - قالت في ذلك الشعراء فأكثر ، ووصفته في شعرها
فأغرقت ، فقال في ذلك البحري من قصيدة طويلة :
إلى واسط خلب الدجاج ولم يكن لينبت في لحم الدجاج مخالب
وفي ذلك يقول الشاعر المعروف بالكناني من قصيدة :

إني أراك من الفراق جزوعا أمسى الامام مسيرا مخلوعا
وغدا الخليفة أحمد بن محمد بعد الخلافة والبهاء خليعا
كانت به الأيام تضحك زهرة وهو الربيع لمن أراد ربيعا
فأزاله المقدور من رتب العلا فتوى بواسط لا يحس رجوعا

وكان بين خلع المستعين وقتله تسعة أشهر ويوم

ومات في خلافة المستعين جماعة من أهل العلم والمحدثين : منهم أبو هاشم
محمد بن زيد الرفاعي ، وأيوب بن محمد الوراق ، وأبو بكر محمد بن العلاء الهمداني
بالكوفة ، وأحمد بن صالح المصري ، وأبو الوليد السري الدمشقي ، وعيسى بن
حماد زغبة المصري بمصر ، ويكنى أبا موسى ، وأبو جعفر بن سوار الكوفي ،
وذلك في سنة ثمان وأربعين ومائتين

وفي خلافة المستعين - وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين - كانت وفاة
الحسن بن صالح البزار ، وكان من عليّة أصحاب الحديث ، وهشام بن خالد
الدمشقي ، ومحمد بن سليمان الجهنّي بالمصيصة ، والحسن بن محمد بن طلوت ،
وأبو جعفر الصيرفي بسامرا ، ومحمد بن زنبور المكي بمكة ، وسليمان بن أبي طيبة
وموسى ابن عبد الرحمن البرقي

وفي خلافة المستعين - وذلك في سنة خمسين ومائتين - مات إبراهيم بن
محمد التميمي قاضي البصرة ، ومحمود بن خدّاش ، وأبو مسلم أحمد بن شعيب
الحراني ، والحرث بن مسكين المصري ، وأبو طاهر أحمد بن عمرو بن السرح ،
وغير هؤلاء ممن أعرضنا عن ذكره من شيوخ المحدثين ونقله الآثار ، ممن قد
أتينا على ذكرهم من أول زمن الصحابة إلى وقتنا هذا - وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلثمائة - في سنة ست من كتابنا المترجم بالأوسط ، وإنما نذكر لمعا
من وفاة من ذكرنا لئلا نخلى هذا الكتاب من نبذ مما يحتاج إلى ذكره على
قدر الطالب له

قصّة فص من
الياقوت الاحمر

وقد كان المستعين في سنة ثمان وأربعين ومائتين أخرج من خزانة الخلافة فص ياقوت أحمر يعرف بالحلي ، وكانت الملوك تصونه ، وكان الرشيد اشتراه بأربعين ألف دينار ، ونقش عليه اسمه أحمد ، ووضع ذلك الفحص في أصبعه ، فتحدث الناس بذلك ، وقد ذكر أن ذلك الفص قد تداولته الملوك من الأكاكسرة وقد نقش في قديم الزمان ، وذكر أنه لم ينقشه ملك إلا مات قتيلا ، وكان الملك إذا مات وجلس تاليه في الملك حك النقش ، فتداولته في اللبس الملوك وهو غير منقوش ، فيقع النادر من الملوك فينقشه ، وكان ياقوتا أحمر يضيء بالليل كضياء المصباح : إذا وضع في بيت لا مصباح فيه أشرق ، ويرى فيه بالليل تماثيل تلوح ، وله خبر طويل ظريف قد ذكرناه في كتابنا « أخبار الزمان » في ذكر خواتم ملوك الفرس ، وقد كان هذا الفص ظهر في أيام المقتدر ثم خفي أثره بعد ذلك

بعض ما قيل
في رجوع
الامر للمعتز

وقد كان جماعة من الشعراء قالوا في المعتز — حين استتم له الأمر واستقامت له الخلافة وخلعها المستعين — أقوالا كثيرة ، فمن ذلك قول مروان بن أبي الجنوب من قصيدة طويلة :

إن الأمور إلى المعتز قد رجعت والمستعين إلى حالاته رجعا
قد كان يعلم أن الملك ليس له وأنه لك لكن نفسه خدعا
وفي ذلك يقول رجل من أهل سامرا ، وقد قيل إنه البحترى :

لله در عصابة تركية ردوا نوائب دهرهم بالسيف
قتلوا الخليفة أحمد بن محمد وكسوا جميع الناس ثوب الخوف
وظفوا فأصبح ملكنا متقسما وإمامنا فيه شبيه الضيف
وفي المعتز ورجوع الأمر إليه واتفاق الكلمة عليه يقول أبو علي البصير :

آب أمر الاسلام خير مآبه وغدا الملك ثابتا في نصابه
مستقرا قراره مطمئنا أهلا بعد نأيه واغترابه

فاحمد الله وحده والتمس بالامفو عن هفا جزيل ثوابه

وكان على وزارة المعتز جعفر بن محمد ، ثم استوزر جماعة : فكانت الكتب يخرج باسم صالح بن وصيف كأنه مرسوم بالوزارة وكانت وفاة أبي الحسن على بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد في خلافة المعتز بالله

وذلك في يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين ، وهو ابن أربعين سنة ، وقيل : ابن اثنتين وأربعين ، وقيل : أكثر من ذلك ، وسمع في جنازته جارية تقول : ماذا لقينا في يوم الاثنين قديما وحديثا ؟ وصلى عليه أحمد بن المتوكل على الله في شارع أبي أحمد ، في داره بسمرا ، ودفن هناك

حدثنا أبو الأزهر ، قال : حدثني القاسم بن عباد ، قال : حدثني يحيى بن هرثة ، قال : وجهني المتوكل إلى المدينة لأشخاص على بن محمد بن علي بن موسى ابن جعفر شيء بلغه عنه ، فلما صرت إليه ضجَّ أهلها وعَجُّوا ضجيجا وعجيجا ما سمعت مثله ، فجعلت أسكنهم وأحلف لهم أني لم أؤمر فيه بمكروه ، وقشيت بيته فلم أجد فيه إلا مصحفا ودعاء وما أشبه ذلك ، فأشخصته وتوليت خدمته وأحسنيت عشرته ، فبينما أنا نائم يوما من الأيام والسماء صاحية والشمس طالعة إذ ركب وعليه مطر وقد عقب ذنب دابته ، فعجبت من فعله ، فلم يكن بعد ذلك إلا هنيهة حتى جاءت سحابة فأرخت عزاليها ونالنا من المطر أمر عظيم جدا ، فالتفت إلى وقال : أنا أعلم أنك أنكرت ما رأيت ، وتوهمت أني علمت من الأمر ما لا تعلمه ، وليس ذلك كما ظننت ، ولكن نشأت بالبادية فأنا أعرف الرياح التي يكون في عقبها المطر ، فلما أصبحت هبت ريح لا تخلف وشممت منها رائحة المطر فتأهبت لذلك ، فلما قدمت مدينة السلام بدأت بأسحق بن إبراهيم

الطاهري - وكان على بغداد - فقال : يا يحيى ، إن هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمتوكل من تعلم ، وإن حرصته على قتله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك ، فقلت : والله ما وقفت له إلا على كل أمر جميل ؛ فصرت إلى سامرا فبدأت بوصيف التركي ، وكنت من أصحابه ، فقال : والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شجرة لا يكون المطالب بها غيري ، فعجبت من قولها ، وعرفت المتوكل ماوقفت عليه ، وما سمعته من الثناء عليه ، فأحسن حائزته وأظهر بره وتكرمه

وحدثني محمد بن الفرج بمدينة جرجان في الحلة المعروفة سراى غسان ، قال : حدثني أبو دعامة ، قال : أتيت على بن محمد بن علي بن موسى عائدا في علته التي كانت وفاته منها في هذه السنة ، فلما هممت بالانصراف قال لي : يا أبا دعامة ، قد وجب حقتك ، أفلا أحدثك بمحدث تسريه ؟ قال : فقلت له : ما أحوجني إلى ذلك يا ابن رسول الله ، قال : حدثني أبي محمد بن علي ، قال : حدثني أبي علي بن موسى ، قال : حدثني أبي موسى بن جعفر ، قال : حدثني أبي جعفر بن محمد ، قال : حدثني أبي محمد بن علي ، قال : حدثني أبي علي بن الحسين ، قال : حدثني أبي الحسين بن علي ، قال : حدثني أبي علي بن أبي طالب ، رضى الله عنهم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكتب » قال : قلت : وما أكتب ؟ قال لي « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، الايمان ما قرّته القلوب ، وصدقته الأعمال ، والاسلام ما جرى به اللسان ، وحلت به المناكحة » قال أبو دعامة : فقلت : يا ابن رسول الله ، ما أدري والله أيهما أحسن : الحديث أم الاسناد ؟ فقال : إنها لصحيفة بخط علي بن أبي طالب باملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نتوارثها صاغرا عن كابر

قال المسعودي : وقد ذكرنا خبر علي بن محمد بن موسى رضى الله عنه مع زينب الكذابة بحضرة المتوكل ، ونزوله إلى بركة السباع ، وتذللها له ، ورجوع زينب عما ادعته من أنها ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

وأن الله تعالى أطال عمرها إلى ذلك الوقت، في كتابنا « أخبار الزمان » وقيل :
إنه مات مسموما عليه السلام

قال المسعودي : وفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين - وذلك في خلافة المعتز - وفاة محمد بن
عبد الله بن طاهر
مات محمد بن عبد الله بن طاهر ، للنصف من ذى القعدة ، بعد قتل وصيف
بثلاثة عشر يوما ، والقمر مكسوف ، وكان من الجود والكرم ، وغزارة الأدب ،
وكثرة الحفظ ، وحسن الإشارة ، وفصاحة اللسان ، وملوكية المجاسة ، على
مالم يكن عليه أحد من نظرائه ، وفيه يقول الحسن بن علي بن طاهر من
قصيدة له :

كسف البدر والأمير جميعا فأنجلى البدر والأمير غميد
عاود البدر نوره لتجلى ه ونور الأمير ليس يعود
يا كسوفين في ليلة الأحد النحس أحلتكما هناك السعود
واحد كان حده مثل حد الـ سيف والنار شُبَّ فيها الوُفُودُ

وذكر أبو العباس المبرد قال : ارتاح محمد بن عبد الله بن طاهر يوما للمنادمة
وقد حضره ابن طالوت ، وكان وزيره وأخص الناس به وأحضرهم خلواته ، فأقبل
عليه ، وقال : لا بد لنا اليوم من ثالث تطيب لنا به المعامرة ، وتلد بمنادمته المؤانسة ،
فمن ترى أن يكون ؟ وأعفنا أن يكون شرير الأخلاق ، أو دنس الأعراق ، أو
ظاهر الأملاق ، قال : فأعملت الفكر ، وقلت : أيها الأمير ، خطر ببالي رجل
ليس علينا من مجالسته من مؤونة ، وقد برىء من إرام المجالس ، وخلا من ثقل
المؤانس ، خفيف الوطأة إذا أحببت ، سريع الوثبة إذا أردت ، قال : ومن ذلك ؟
قلت : ماني الموسوس ، قال : أحسنت والله ، فليتقدم إلى أصحاب الثمانية ماني الموسوس
والعشرين الرابع في طلبه يرفعه رفعة ^(١) ، فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب
الكرخ ، فصار به إلى باب الأمير ، فأخذ وحذف ونظف وأدخل الحمام وألبس
(١) كذا، وفي العبارة قلق واضطراب، ولم تقدم على إصلاحها لعدم ظهور المراد منها

ثياباً نظافاً وأدخل عليه ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ، فقال محمد : وعليك السلام
يامانى ، أما آن لك أن تزورنا على حين توفان منا إليك ومنازعة قلوب منا نحوك ؟
فقال مانى : الشوق شديد ، والحب عتيد ، والمزار بعيد ، والحجاب صعب ،
والبواب فظ ، ولو سهل لنا فى الإذن لسهلت علينا الزيارة ، فقال : ألفت فى
الاستئذان فليطف لك فى الأذن ، لا يمنع مانى أى وقت ورد من ليل أو نهار ،
ثم أذن له فى الجلوس ، فجلس ، ودعا بالطعام فأكل ، ثم غسل يديه وأخذ مجلسه
وكان محمد قد تشوق إلى السماع من مؤسسة جارية بنت المهدي ، فأحضرت ،
فكان أول ما غنت به :

ولست بناسٍ إذ غدّوا فتحملوا دموعى على الأحباب من شدة الوجد
وقولى وقد زالت بلبيل حوهم : بواكر نجد لا يكن آخر العهد

فقال مانى : أحسنت ، وبحق الأمير إلا ما زدت فيه

وقت أناجى الفكر والدمع حائر بمقلة موقوف على الضر والجهد
ولم يعدنى هذا الأمير بغيرة على ظالم قد لجج فى الهجر والصد

فاندفعت تغنيه ، فقال له محمد : أعاشق أنت يامانى ؟ فاستحيى ، وغمره ابن
طالوت أن لا يباح له بشىء فيسقط من عينيه ، فقال : مبلغ طرب وشوق كان
كامنا فظهر ، وهل بعد الشيب صبوة ؟ ثم اقترح محمد على مؤسسة هذا الصوت :

حجبوها عن الرياح لأنى قلت : ياريح بلغها السلاما

لورضوا بالحجاب هان ولكن ممنعوها عن الرياح الكلاما

فغنته ، فطرب محمد ، ودعا برطل فشرب ، فقال مانى : ما على قائل هذا

الشعر لو زاد فيه

فتتنعت ثم قلت لطيفى : آه إن زرت طيفها إلما

خصه بالسلام منى فأخشى يمنعوها لشتوتى أن تناما

لكان أثقب لزند الصبابة بين الأحشاء ، وأشد تغلغلا إلى الكبد الصدياً
من زلال الماء ، مع حسن تأليف نظامه ، والانتهاه بالمعنى إلى نهاية تمامه ، فقال
محمد : أحسنت يامانى ، ثم أمر مؤنسة بالحاقهما بالبيتين الأولين والغناء بهما ،
ففعلت ، ثم غنت بهذين البيتين :

ياخلىلى ساعة لاتريما وعلى ذى صبابة فأقما
ما مررنا بدار زينب إلا هتَكَ الدمعُ سرِّنا المكتوما
فاستحسنه محمد ، فقال مانى : لولا رهبة التعدى لأضفت إلى هذين
البيتين بيتين لا يردان على سمع ذى لب فيصدران إلا عن استحسان لها ،
فقال محمد : يامانى ، الرغبة فى حسن ما تأتى به حائلة دون كل رهبة ، فهات
ما عندك ، فقال :

ظبية كالهلال لو تلعظ الصخ ر بطرف لفادرت هشيا
وإذا ما تبسمت خلت إيماء ض بروق أو لؤلؤا منظوما
فقال : أحسنت يامانى ، فأجز هذا الشعر :

لم تطب اللذات إلا بمن طابت بها اللذات مأنوسه
غنت بصوت أطلقت عبرة كانت بسجن الصبر محبوسه

فقال مانى :

وكيف صبر النفس عن غادة أظلمها إن قلت طاووسه
وجرت إن سميتها بانه فى جنة الفردوس مغروسه
وغير عدل إن عدلنا بها جوهرة فى البحر مغموسه
ثم سكت فقال محمد : ما عدا فى وصفه لها ، فقال مانى :

جالت عن الوصف فما فكرة تلحقها بالنعث محبوسه

فقال محمد : أحسنت ، فقالت مؤنسة : وجب شكرك يا ماني ، فساعدك دهرك ، وعطف عليك إلفك ، وقارنك سرورك ، وفارقك محذورك ، والله يديم لنا ذلك ببقاء من به اجتمع شملنا ، فقال لها ماني عند قولها « وعطف عليك إلفك » مجيبا :

ليس لي إلفٌ فيعطفني فارقَتْ نفسي الأباطيل

أنا موصول بنعمة من حبله بالمجد موصول

أنا مغبوط بنعمة من طبعه بالمجد مأمول

فأوماً إليه ابن طالوت بالقيام ، فنهض وهو يقول :

ملك قل النظر له زانه الفـر البها ليل

ظاهري في مواكبه عُرِفُهُ في الناس مبذول

دم من يشقى بصارمه مع هبوب الريح مطلول

يا أبا العباس صن أدبا حده بالدهر مفلول

فقال محمد : وجب جزاؤك لشكرك على غير نعمة سبقت ، ثم أقبل على ابن طالوت فقال : ليست خساسة المرء ، ولا اتضاع الدهر ، ولا نبو العين عن الظاهر ؛ بمذهب جوهرية الأدب المركب في الانسان ، وما أخطأ صالح بن عبيد القدوس حيث يقول :

لا يعجبنيك من يصون ثيابه خوف الغبار وعرضه مبذول

فلربما افتقر الفتى فرايته دنس الثياب وعرضه مغسول

قال ابن طالوت : فما رأيت أحضر ذهنا منه ، إذ تقول الجارية «عطف عليك إلفك» وإنشاده عند قولها ذلك :

ليس لي إلفٌ فيعطفني فارقَتْ نفسي الأباطيل

قال : فلم يزل محمد مجريا عليه رزقه حتى توفي .

ونعى إلى المعتز أن المؤيد يدبر عليه ، وأنه قد استمال جماعة من الموالي ، فحبس المؤيد وأبا أحمد - وهما لأب وأم - وطولب المؤيد بأن يخلع نفسه من ولاية

المعتز
والمؤيد

العهد ، فضرب أربعين عصا إلى أن أجاب ، وأشهد على نفسه بذلك ، ثم اتصل بالمعتز أن جماعة من الأتراك اجتمع رأيهم على إخراج المؤيد من حبسه ؛ فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة اثنتين وخمسين ومائتين أخرج المؤيد ميّتا ، وأحضر القضاة والفقهاء حتى رأوه ولا أثر فيه ، فيقال : إنه أدرج في لحاف مسموم وشد طرفاه حتى مات فيه ، وضيق حبس أبي أحمد ، فكان بين دخوله سر من رأى وما لقي بها من الأكرام وبين حبسه ستة أشهر وثلاثة أيام ، ثم أشخص إلى البصرة لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان بعد قتل المؤيد بخمسين يوما ، ورتب إسماعيل بن فتيحة - وهو أخو المعتز لأبيه وأمه - مكان المؤيد في ولاية العهد ، واجتمع قواد الموالي إلى المعتز فسألوه الرضا عن وصيف وبغافأجابهم إلى ذلك وفي هذه السنة مات زرافة صاحب دار المتوكل بمصر .

جماع الحوادث
في عهد المعتز

وقد كان يوسف بن إسماعيل العلوي غاب على مكة فأت في هذه السنة ، فخلّفه بعد وفاته أخوه محمد بن يوسف ، وكان أسن منه بعشرين سنة ، فنال الناس في هذه السنة جهد شديد ، فبعث المعتز بآبن الساج الأشروسي إلى الحجاز فهرب محمد بن يوسف ، وقتل خلق من أصحابه .

وفيهما أوقع الحسن بن زيد الحسيني بسليمان بن عبد الله بن طاهر ، فأخرجه عن طبرستان .

وفي هذه السنة قدم إلى سامرا عيسى ابن الشيخ الشيباني مصر ، ومعه مال كثير ، وستة وسبعون رجلا من سائر ولد أبي طالب من ولد علي وجعفر وعقيل كانوا خرجوا من الحجاز خوف الفتنة والجهد النازل بالحجاز إلى مصر ، فحملوا منها ، فأمر المعتز بتكفيلهم ، والتخليفة عنهم ، لما وقف عليه من أمرهم .

وولى عيسى ابن الشيخ فلسطين .

وفي هذه السنة - وهى سنة ثلاث وخمسين ومائتين - مات صفوان العقيلي صاحب ديار مصر في حبس سامرا .

وفي هذه السنة [كان] قتل أهل كرخ سامرا من الفراعنة والأتراك لوصيف
التركي ، وتخلص بغامتهم ، واشتد أمر شاوور الشاري ، ورتب صالح بن وصيف في
موضع وصيف

وفي سنة أربع وخمسين ومائتين خرج بغا من سامرا إلى ناحية الموصل ،
فاتهبته الموالي داره ، وانقض من كان معه من الجيش ، وانحدر في زورق ،
فوقع به بعض المغاربة بجسر سامرا ، فقتل ونصب رأسه بسامرا ، وهو بغا الصغير ،
ثم أخذ الرأس إلى مدينة السلام فنصب على الجسر ، وكان المعتز في حياة بغا
لا يلتذ بالنوم ، ولا يخلع سلاحه ، لافي ليل ولا في نهار ، خوفا من بغا ، وقال :
لأزال على هذه الحالة حتى أعلم لبغا رأسي أو رأسه لي ، وكان يقول : إني لأخاف
أن ينزل على بغا من السماء أو يخرج على من الأرض ، وقد كان بغا عزم على
أن ينحدر سرا فيصل إلى سامرا في الليل ويصرف الأتراك عن المعتز ويفيض
فيهم الأموال ، فكان من أمره ما وصفنا

ولما رأى الأتراك من إقدام المعتز على قتل رؤسائهم ، وإعماله الحيلة في فناءهم ،
وأنه قد اصطنع المغاربة والفراعنة دونهم ؛ صاروا إليه بأجمعهم ، وذلك لأربع
بقيين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وجعلوا يقرعونه بذنوبه ، ويوبخونه
على أفعاله ، وطالبوه بالأموال ، وكان المدبر لذلك صالح بن وصيف مع قواد
الأتراك ، فليجَّ وأنكر أن يكون قبله شيء من المال ، فلما حصل المعتز في
أيديهم بعث إلى مدينة السلام في محمد بن الواثق الملقب بالمهتدي ، وقد كان المعتز
نقاه إليها واعتقله فيها ، فأتى به في يوم وليلة إلى سامرا ، فتلقاه الأولياء في الطريق ،
ودخل إلى الجوسق ، وأجاب المعتز إلى الخلع ، على أن يعطوه الأمان أن لا يقتل
وأن يؤمنوه على نفسه وماله وولده ، وأبى محمد بن الواثق أن يقعد على سرير الملك
أو يقبل البيعة حتى يرى المعتز ويسمع كلامه ، فأتى بالمعتز وعليه قميص مدنس

وعلى رأسه منديل ، فلما رآه محمد بن الوائق وثب إليه فماتقه ، وجلسا جميعا على السرير ، فقال له محمد بن الوائق : يا أخى ، ما هذا الأمر ؟ قال المعتز : أمر لا أطيعه ، ولا أقوم به ، ولا أصالح له ، فأراد المهتدى أن يتوسط أمره ، ويصلح الحال بينه وبين الأتراك ، فقال المعتز : لا حاجة لى فيها ، ولا يرضونى لها ، قال المهتدى : فأنا فى حل من بيعتك ، قال : أنت فى حل وسعة ، فلما جعله فى حل من بيعته حول وجهه عنه ، فأقيم عن حضرته ، ورد إلى محبسه ، فقتل فى محبسه بعد أن خلع بستة أيام على ما قدمنا فى صدر هذا الباب

وقد قالت الشعراء فى خلع المعتز وقتله فأكثرته ، ورثته فأحسنته ؛ فمن رثاء المعتز ذلك قول بعض أهل ذلك العصر من قصيدة له :

عين لا تبخلى بسفح الدموع	واندبى خير فاجع مفجوع
خاناه الناصح السفية ونالت	ه أكف الردى بحتف سريع
بكر الترك ناقلين عليه	خلعته أفيده من مخلوع
قتلوه ظلما وجورا فأنفوا	ه كريم الأخلاق غير جزوع
كان يغشى بحسنه بهجة البد	ر فتلقيه مظهرا للخضوع
وترى الشمس تستكين فلا تش	رق إما رآته وقت الطلوع
لم يهابوا جسدا ولا رهبوا السي	ف فلفنى على القتل الخليع
أصبح الترك مالكي الأمر والعيا	لم ما بين سامع ومطيع
وترى الله فيهم مالك الأم	ر سيجزيهم بقتل ذريع

وقال فيه آخر من قصيدة طويلة :

أصبحت مقاتلى بدمع سفوحا	حين قالوا : أضحى الامام ذبيحا
قتلوه ظلما وجورا وغدرا	حين أهدوا إليه حتفا مريحا
نصر الله ذلك الوجه وجها	وسقى الله ذلك الروح روحا

أيها الترك سوف تلقون للده ر سيوفا لا تستبل الجريحا
فاستعدوا لل سيف عاقبة الأم ر فقد جثم فعلا قبيحا
وقال آخر من قصيدة طويلة أيضا :

أصبحت مقلتي تسح الدموعا إذ رأت سيد الأنام خليعا
لحف نفسى عليه ما كان أملا ه وأسراه تابعاً متبوعا
ألزموه ذنبا على غير جرم فتوى فيهم قتيلا صريعا
وبنو عمه وعم أبيه أظهروا ذلة وأبدوا خضوعا
ما بهذا يصح ملك ، ولا يغزى عدو ، ولا يكون جميعا

أحدث المعتز الركوب بحلية الذهب
وكان المعتز أول خليفة أظهر الركوب بحلية الذهب ، وكان من سلف قبله
من خلفاء بني العباس وكذلك جماعة من بنى أمية يركبون بالحلية الخفيفة من
الفضة والمناطق واتخاذ السيوف والسروج واللجم ، فلما ركب المعتز بحلية الذهب
اتبعه الناس في فعل ذلك .

أحدث المستعين ادكالم الواسعة
وكذلك المستعين قبله أحدث لبس الأكام الواسعة ، ولم يكن يعهد ذلك ،
فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك ، وصغر القلائس ، وكانت قبل ذلك طوالا
كأقباع القضاة

الخوارج على المعتز
وفي سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر بالكوفة على بن زيد وعيسى بن
جعفر العلوي ، فسرح إليهما المعتز سعيد بن صالح المعروف بالحاجب في جيش
عظيم فانهزم الطالبان لتفرق أحبابهما عنهما

وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وفاة إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم
ابن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
رضى الله عنه ، وما ناله أهل المدينة وغيرهم من أهل الحجاز في أيامه من الجهد
والضيق ، وما كان من أمر أخيه بعد وفاة محمد بن يوسف مع أبي الساج وحر به
إياه ، ولما انكشف من بين يدي أبي الساج سار إلى اليمامة والبحرين فغلب عليها

وخلفه بها عقبة المعروف يبنى الأخيضر إلى اليوم ، وقد كان ظهر بناحية المدينة بعد ذلك ابن لموسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

قال المسعودي : وقد ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان » سائر أخبار من ظهر من آل أبي طالب ، ومن مات منهم في الحبس وبالسّم ، وغير ذلك من أنواع القتل : منهم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ، وهو أبو هاشم ، سقاه عبد الملك بن مروان السم ، ومحمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، حمله سعيد الحاجب من البصرة ، فحبس حتى مات ، وكان معه ابنه علي ، فلما مات الأب خلى عنه ، وذلك في أيام المستعين ، وقيل غير ذلك ، وجعفر بن إسماعيل بن موسى بن جعفر ، قتله ابن الأغلب بأرض المغرب ، والحسن بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، قتله العباس بمكة ، وحمل في أيام المعتز من الرى على بن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد ومات في حبسه ، وحمل سعيد الحاجب من المدينة موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان من النسك والزهد في نهاية الوصف ، وكان معه إدريس بن موسى ، فلما صار سعيد بناحية زباله من جادة الطريق اجتمع خلق من العرب من بني فزارة وغيرهم لأخذ موسى من يده ، فسمه ، فمات هنالك ، وخلصت بنو فزارة ابنه إدريس بن موسى

وفي خلافة المعتز في سنة اثنتين وخمسين ومائتين كان بدوالفتنة بين الملالية والسعدية بالبصرة ، وما نتج من ذلك من ظهور صاحب الزنج وللمعتز أخبار حسان غير ما ذكرنا قد أتينا على مبسوطها في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وبالله التوفيق

بعض قتلى آل
أبي طالب

ذكر خلافة المهتدي بالله

بجمل تاريخه
وبويع المهتدي محمد بن هرون الوائق قبل الظهر من يوم الأربعاء ليلة بقيت
من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وأمه أم ولد رومية يقال لها قرب ،
ويكنى بأبي عبدالله ، وله يومئذ سبع وثلاثون سنة ، وقيل : تسع وثلاثون سنة ،
وإنه قتل ولم يستكمل الأربعين سنة في سنة ست وخمسين ومائتين ، فكانت
ولايته أحد عشر شهرا ، ودفن بسامرا ، وقيل : إن مولده كان في سنة ثمانى
عشرة ومائتين

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولم مما كان في أيامه

وزراء المهتدي واستوزر المهتدي بالله جماعة على قصر مدته فسلموا منه من قتل وغيره :
منهم عيسى بن فرخان شاه

جمل المهتدي
الناس على
الجادة
وبنى المهتدي قبة لها أربعة أبواب ، وسماها قبة المظالم ، وجلس فيها للعام
والخاص للمظالم ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وحرم الشراب ، ونهى عن
القيان ، وأظهر العدل ، وكان يحضر كل جمعة إلى المسجد الجامع ، ويخطب الناس
ويؤم بهم ، فتقلت وطأته على العامة والخاصة بحمله إياهم على الطريق الواضحة ،
فاستطالوا خلافته ، وسئموا أيامه ، وعملوا الحيلة عليه حتى قتله ، وذلك أن
موسى بن بغا الكبير كان عاملا غائبا بالرى مشغلا بحرب آل أبي طالب ،
كالحسن بن زيد الحسنى ، وما كان من الديلم ببلاد قزوين ودخو لهم إياها
عنوة وقتلهم أهلها ، فلما نعى إلى موسى بن بغا قتل المعتز ، وما كان من أمر

صالح بن وصيف والأثرak ذلك قفل من تلك الديار متوجها إلى سامرا ، منكرها لما جرى على المعتز

وقد قدمنا فيا سلف من هذا الكتاب في أخبار المعتز قتل المعتز مجلا ، ولم كيفية قتل المعتز نبين كيفية قتله ، وتنازع الناس في ذلك مفصلا ، ورأيت أصحاب السير والتواريخ وذوى العناية بأخبار الدول قد تباينوا في مقتله : فمنهم من ذكر أن المعتز مات في حبسه في خلافة المهتدى بالله ، على ما قدمنا من التاريخ ، حتف أنفه ، ومنهم من ذكر أنه منع في حبسه من الطعام والشراب ، فمات عند قطع مواد الغذاء عنه من الماء كل والمشب ، ومنهم من رأى أنه حقن بالماء الحار المغلى ، فمن أجل ذلك حين أخرج إلى الناس وجدوا جوفه وارما ، والأشهر في الأخباريين ممن عني بأخبار العباسيين أنه أدخل حماما وأكره في دخوله إياه ، وكان الحمام محميا ومنع الخروج منه ، ثم تنازع هؤلاء : فمنهم من قال : إنه ترك في الحمام حتى فاضت نفسه ، ومنهم من ذكر أنه أخرج بعد أن كادت نفسه تقتلف للحمى ، ثم أسقى شربة ماء مقراة بثلج ، فنثرت السكبد وغيره ، فحمد من فوره ، وذلك ليومين خلوا من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقد أتينا على مبسوط هذه الأخبار في كتابنا « أخبار الزمان »

ولما اتصل بالمهتدى مسير موسى بن بفا إلى دار الخلافة أنكر ذلك ، وكتبه بالمقام في موضعه وأن لا يحل عن مركزه للحاجة إليه فأبى موسى بن بفا إلا إغذاذ المسير والسرعة فيه ، حتى وافى سامرا ، وذلك سنة ست وخمسين ومائتين ، وصالح ابن وصيف يدبر الأمر مع المهتدى ، فلما دنا موسى من سامرا صاحت العامة في مواضعها والغوغاء في طرقاتها : يافرعون ، قد جاء موسى ، وكان صالح بن وصيف قد نقر عن المهتدى حين علم بموفاة موسى ، وقال : إن المهتدى راسل موسى في السر في المسير إلى سامرا ، والشخص إلى إليها ، وكتبه في ظاهر الأمر وراسله أن لا يقدم ، وكان رجل من قواد الأثرak يقال له بايكيال قد غلب على الأمر أيضا ،

موسى بن بفا
والمهتدى

وترأس ، فدخل موسى سامرا حتي انتهى إلى مجلس المهتدى وهو جالس للمظالم ، والدار غاصة بنحواص الناس وعوامهم ، فشرع أصحاب موسى فدخلوا الدار ، وجعلوا يخرجون العامة منها بأشد ما يكون من الضرب بالدبابيس والطبرزيينات والعسف ، فضجت العامة ، فقام المهتدى منكرا عليهم فعلمهم بمن في الدار ، فلم يرجعوا عما هم عليه ، فتنحى مغضبا ، فقدم إليه فرس وقد استشعر منهم الغدر ، فمضى به إلى دار مارجوج ، وقد كان موسى بن بغا انصرف عن دار المهتدى لما نظر إلى ضجة العامة فيها ، فنزل تلك الدار ، فسير بالمهتدى إليها فأقام فيها ثلاثا عند موسى بن بغا ، وكان فيه ديانة وتكشف ، حتى إن الجند تأسوا به ولم يكن يشرب النبيذ ، وكان المهتدى في أخلاقه شراسة ، فنافر موسى ، وكاد الأمر أن ينفرج والحال أن يتسع ، غير أن موسى تعطف عليه ، وأعمالا الخيلة في قتل صالح بن وصيف ، وخاف موسى أن يكون صالح بن وصيف يعمل الخيلة عليهم في حال اختفائه ، فبث في طلبه العيون ، حتى وقع عليه ، فقاتل ومانع عن نفسه فقتل واحتز رأسه وأتى به إلى موسى بن بغا ، ومنهم من رأى أنه أحس له حمام وأدخل إليه فمات ، على حسب ما فعل بالمعز ، وقوى أمر شاور الشارى ، ودنا في عسكره من سامرا ، وعم الناس بالأذى ، وانقطعت السابلة ، وظهرت الأعراب فأخرج المهتدى بالله موسى بن بغا وبايكيال إلى حرب الشارى ، وخرج معهما فشييعهما ، ثم قفلا من غير أن يلقيا شرا ، فلما استشعر المهتدى رجوعهما خرج فمسكر بجسر سامرا في جمع من المغاربة والفراغة وغيرهم من الرسوم ليحارب بايكيال ، فانصرف موسى على ظهر سامرا متحرجا لقتال المهتدى ، فكانت بين المهتدى وبين بايكيال حرب عظيم قتل فيها خلق كثير من الناس وانكشف بايكيال ، واستظهر المهتدى عليه ، فخرج كمين بايكيال على المهتدى وفيه مارجوج التركى ، فولى المهتدى وأصحابه ، ودخل سامرا مستغيثا بالعامة مستنصرًا بالناس يصيح في الأسواق فلا مغيث ، وقدامه أناس من الأنصار ، فمضى مؤيسا من النصر

إلى دار ابن خيمونة بسامرا مختفيا ، فهجموا عليه وعزلوه ، وحملوه منها إلى دار
مارجوج ، وقيل له : أتريد أن تحمل الناس على سيرة عظيمة لم يعرفوها ؟ فقال :
أريد أن أحملهم على سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والخلفاء
الراشدين ، فقيل له : الرسول صلى الله عليه وسلم كان مع قوم قد زهدوا في الدنيا
ورغبوا في الآخرة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ، وأنت إنما رجالك
تركي وجزري ومغربي وغير ذلك من أنواع الأعاجم لا يعلمون ما يجب عليهم من
أمر آخرتهم ، وإنما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنيا ، فكيف تحملهم على
ما ذكرت من الواضحة ؟ فكثرت منهم ومنه الكلام والمراجعة في هذا المعنى
وأشباهه ، ثم انقادوا إليه على حسب ما ظهر للناس من ذلك ، فلما كاد الأمر أن يتم
قام فيهم سليمان بن وهب الكاتب ، وقيل : غيره ، وقال : هذا سوء رأي منكم ،
وخطأ في تدبيركم ، إن أعطاكم بلسانه فنيته فيكم غير هذا ، قال : وسيأتي عليكم
جميعا ، ويفرق جمعكم ، فلما سمعوا هذا القول استرجعوا وجأؤهم بالخناجر ، فكان
أول من جرحه ابن عم لبياكيال ، جرحه بخنجر في أوداجه ، وانكب عليه
فالتقم الجرح والدم يفور منه ، وأقبل يمص الدم حتى روى منه ، والتركي سكران ،
فلما روى من دم المهتدي قام قائما وقدمات المهتدي ، فقال : يا أصحابنا قد رويت
من دم المهتدي كما رويت في هذا اليوم من الخمر

وقد تنوزع فيما ذكرنا من قتل المهتدي ، والأشهر ما ذكرناه من قتله بالخناجر ،
ومنهم من رأى أنه عصرت مذا كيره حتى مات ، ومنهم من رأى أنه جعل بين
لوحين عظيمين وشد بالحبال إلى أن مات ، وقيل : خنقا ، وقيل : كبس عليه
بالبسط والوسائد حتى مات

فلما مات داروا به ينوحون ويبكون عليه ، وندموا على ما كان منهم من قتله
لما تبينوا من نسكه وزهده ، وقيل : إن ذلك كان يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقية

تألم الـدم بعد
قتل المهتدي

من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وكان موسى بن بغا ومارجوج التركي غير داخلين في فعل الأتراك ،

وكان حنق الأتراك على المهتدي بسبب قتله بايكيال ، وذلك أن بايكيال وقع بيد المهتدي فضرب عنقه ، ورمى به إلى أصحابه ، ومنهم من رأى أنه قتل في الحرب المتقدم ذكرها في الموضع المعروف بجسر سامرا .

وقد كان المهتدي لما أفضت الخلافة إليه أخرج أحمد بن إسرائيل الكاتب وأبا نوح الكاتب إلى باب العامة بسامرا يوم الخميس لثلاث خلون من شهر رمضان فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط ، فماتا ، وذلك لأموركانت منهما استحقا عند المهتدي فيما يجب في حكم الشريعة أن يفعل بهما ذلك .

وقتل المهتدي وله من الولد سبعة عشر ذكرا وست بنات

وقد كان المهتدي ولي أحمد بن المدبر خراج فلسطين ، وكانت له معه أخبار قد أتينا على جميعها فيما سلف من كتبنا ، وأخبار ابن المدبر لما وصل إلى فلسطين وما حمل إلى سامرا ، وقيل : إن المعتز بالله كان أخرجه إلى الشام ، ولأحمد بن المدبر أخبار حسان ، ولأبراهيم بن المدبر أخيه مع صاحب الزنج أخبار حين أسره . قال المسعودي : فمن أخبار أحمد بن المدبر المستحسنة مما دونها الناس في أخبار الطفيليين أن أحمد كان قليل الجلوس للمنادمة ، وكان له سبعة ندماء لا يأنس بغيرهم ولا ينبسط إلى سواهم ، قد اصطفاهم لعشرته ، وأخذهم لمنادمتهم ، كل رجل منهم قد انفرد بنوع من العلم لا يساويه فيه غيره ، وكان طفيلي يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا ، وأخفهم روحا ، وأشدهم في كل مليحة افتنانا ، فلم يزل يحتال إلى أن عرف وقت جلوس أحمد بن المدبر للندماء ، فتزيّا في زى ندمائه ، ودخل في جملةهم ، وظن حاجبه أن ذلك يعلم من صاحبه ومعرفة من أولئك الندماء ، ولم ينكر شيئا من حاله ، وخرج أحمد بن المدبر فنظر إليه بين القوم ، فقال لحاجبه : اذهب إلى ذلك الرجل فقل له : ألك حاجة ؟ فسقط في يد

سبب حنق
الأتراك على
المهتدي

أحمد بن
المدبر

الحاجب وعلم أن الحيلة قد تمت عليه ، وأن ابن المدير لا يرضى في عقوبته إلا بقتله ، فمر وهو يجر برجليه ، فقال له : الأستاذ يقول لك : ألك حاجة ؟ فقال : قل له : لا ، فقال له : ارجع إليه فقل له : ماجلوسك ؟ فقال : الساعة جلسنا يا بغيض ، فقال : ارجع إليه فقل له : أى شئ أنت ؟ فقال : قل له طفيلي يرحمك الله ، فقال له ابن المدير : أنت طفيلي ؟ قال : نعم أعزك الله ، قال : إن الطفيلي يحتمل على دخوله بيوت الناس وإفساده عليهم ما يريدونه من الخلوة بئدماهم والخوض في أسرارهم لخصال : منها أن يكون لاعبا بالشطرنج أو بالنرد ، أو ضاربا بالعود أو الطنبور ، فقال : أيدك الله أنا أحسن هذه الأشياء كلها ، قال : وفى أى وظيفة أنت منها ؟ قال : فى العليا من جميعها ، قال لبعض ندمائه : لاعبه بالشطرنج ، فقال الطفيلي : أصلح الله الأستاذ فان قُمرت ؟ قال : أخرجناك من ديارنا ، قال : فان قُمرت ؟ قال : أعطيناك ألف درهم ، قال : فان رأيت أيدك الله أن تحضر الألف درهم فان فى حضورها قوة للنفس والايقان بالظفر ، فأحضرت فلعبا فغلب الطفيلي ومد يده ليأخذ الدراهم ، فقال الحاجب لينفى عن نفسه بعض ما وقع فيه : أعز الله الأستاذ إنه زعم أنه فى الطبقة العليا ، وابن فلان غلامك يغلبه ، فأحضر الغلام ، فغلب الطفيلي ، فقال له : انصرف ، فقال : أحضروا النرد ، فأحضرت ، فلوعب فغلب ، فقال الحاجب : ولا هذا ياسيدى فى الطبقة العليا من النرد ، ولكن بوابنا فلان يغلبه ، فأحضر البواب ، فغلب الطفيلي ، فقال له : اخرج ، فقال : ياسيدى فالعود ، فأتى بالعود ، فضرب فأصاب ، وغنى فأطرب ، فقال الحاجب : ياسيدى فى جوارنا شيخ هاشمى يعلم القيان أحذق منه ، فأحضر الشيخ فكان أطرب منه ، فقال له : اخرج ، فقال : فالطنبور ، فأعطى طنبورا فضرب ضربا لم ير الناس أحسن منه ، وغنى غناء فى النهاية ، فقال الحاجب : أعز الله الأستاذ فلان المحتكر فى جوارنا أحذق منه ، فأحضر المحتكر

فكان أحذق منه وأطيب ، فقال له ابن المدير : قد تقصينا لك بكل جهد فأبت
حرفتك إلا طردك عن منزلنا ، فقال : ياسيدي بقيت معي بابة حسنة ، قال :
ماهي : قال : تأمر لي بقوس بندق مع خمسين بندقه رصاص ، ويقام هذا
الحاجب على أربع وأرميه في دبره بهن ، وإن أخطأت بواحدة منهن ضربت
رقتي ، فضج الحاجب من ذلك ، ووجد ابن المدير في ذلك شفاء لنفسه وعقوبة
ومكافأة له على ما فرط منه في إدخال الطفيلي إلى مجلسه فأمر باثنين فأحضرا
وجعل أحدهما فوق الآخر وشد الحاجب فوقهما ، وأمر بالقوس والبندق ، فدفع
إلى الطفيلي ، فرمى به فما أخطأه ، وخلي عن الحاجب وهو يتأوه لما به ، فقال له
الطفيلي : أعلى باب الأستاذ من يحسن مثل هذا ؟ فقال : يا قرآن مادام البرجاس
استى فلا

والطفيليين أخبار حسان مثل خبر ساسان الطفيلي مع المتوكل في اللوزنيج ،
وما ابتدأ من العدد من الواحد إلى مافوقه من القران ، ولغيره منهم ما قد أتينا
على ذكره في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط على الشرح والتمام والكمال ،
وإنما نورد في هذا الكتاب لمعالم مما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من كتبنا في
هذا المعنى .

وقد كان المهتدي بالله ذهب في أمره إلى القصد والدين ، ف قرب العلماء ،
ورفع من منازل الفقهاء ، وعظم بهم ، وكان يقول : يا بني هاشم ، دعوني حتى
أسلك مسلك عمر بن عبد العزيز فأكون فيكم مثل عمر بن عبد العزيز في بني
أمية ، وقلل من اللباس والقرش والمطعم والمشرب ، وأمر باخراج آنية الذهب
والفضة من الخزان فكسرت وضربت دنانير ودرهم ، وعمد إلى الصور التي
كانت في المجالس فمحييت ، وذبح الكباش التي كان يناطح بها بين يدي الخلفاء
والديوك ، وقتل السباع المحبوسة ، ورفع بسط الديباج وكل فرش لم ترد الشريعة
باباخته ، وكانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها في كل يوم عشرة آلاف درهم ،

بعض أعمال
المهتدي
المحمودة

فأزال ذلك وجعل لماندته وسائر مؤنه في كل يوم نحو مائة درهم ، وكان يواصل الصيام ، وقيل : إنه لما قتل أخرج رحل من الموضع الذي كان يأوى إليه ، فأصيب له سفت مقفل ، فتوهموا أن فيه مالا أو جوهرا فلما فتح وجد فيه جبة صوف وغل ، وقيل : جبة شعر ، فسألوا من كان يخدمه ، فقال : كان إذا جن الليل لبسها ، وغل نفسه ، وكان يركع ويسجد إلى أن يدركه الصباح ، وإنه كان ينام من الليل ساعة من بعد العشاء الآخرة ثم يقوم ، وإنه سمعه بعض من كان يأنس إليه قبل أن يقتل وقد صلى المغرب وقد دنا من إفطاره وهو يقول : اللهم إنه قد صحَّ عن نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال : ثلاثة لا تحجب لهم دعوة عن الله : دعوة الامام العادل ، وقد أجهدت نفسي في العدل على رعيتي ، ودعوة المظلوم ، وأنا مظلوم ، ودعوة الصائم حتى يفطر ، وأنا صائم ، وجعل يدعو عليهم وأن يكفي شرهم .

وذكر صالح بن علي الهاشمي قال : حضرت يوما من الأيام جلوس المهتدي للمظالم فرأيت من سهولة الوصول إليه ونفوذ الكتب عنه إلى النواحي فيما يتظلم به إليه ما استحسنته ، فأقبلت أرمقه ببصري ، إذ نظر في القصص فاذا رفع طرفه إلى أطرقت ، فكأنه علم ما في نفسي ، فقال : يا صالح ، أحسب أن في نفسك شيئا تحب أن تذكره ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، فأمسك فلما فرغ من جلوسه أمرني أن لا أبرح ونهض ، فجلست جلوسا طويلا ثم دعاني فدخلت إليه وهو على حصير الصلاة ، فقال لي : يا صالح ، أتحدثني بما في نفسك أو أحدثك به ؟ قلت : بل هو من أمير المؤمنين أحسن ، فقال : كأني بك قد استحسنيت ما رأيت من مجالسنا ، فقلت : أي خليفة إن لم يكن يقول بخلق القرآن ، فقلت : نعم ، فقال : قد كنت على ذلك برهة من الدهر حتى أقدم على الواثق شيخ من أهل الفقه والحديث من أهل أذنة من الثغر الشامي مقيد طوال حسن الهيئة فسلم عليه غير هائب ودعا فأوجز ، فرأيت الحياء منه في حماليق عين الواثق والرحمة

سبب عدول
المهتدي عن
القول بخلق
القرآن

له ، فقال له : يا شيخ أجب أبا عبد الله أحمد بن أبي دواد فيما يسألك عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أحمديقل ويضعف عن المناظرة ، فرأيت الواثق قد صار في مكان الرقة والرحمة له غضبا ، فقال له : أبو عبد الله يضعف عن المناظرة ؟ فقال له : هون عليك يا أمير المؤمنين ، أتأذن في كلامه ؟ فقال له الواثق : قد أذنت لك ، فأقبل الشيخ على أحمد فقال له : يا أحمد ما ذا دعوت الناس إليه ؟ فقال : إلى القول بخلق القرآن ، فقال الشيخ : مقاتلتك هذه التي دعوت الناس إليها من القول بخلق القرآن ، داخلته في الدين فلا يكون الدين تاما إلا بالقول بها ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إليها وتركهم ؟ قال : تركهم ، قال : فعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يعلمها ؟ قال : علمها ، قال فلم دعوت الناس إلى ما لم يدعهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم منه ؟ فأمسك أحمد ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، هذه واحدة ، ثم قال له بعد ساعة : يا أحمد ، قال الله في كتابه العزيز (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا) فقلت أنت : لا يكون الدين تاما إلا بمقاتلتكم بخلق القرآن ، فالله أصدق في إكماله وإتمامه أو أنت في نقصانك ؟ فأمسك ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين وهذه ثانية ، ثم قال له بعد ساعة : أخبرني يا أحمد عن قول الله عز وجل في كتابه (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - الآية) فمقاتلتك هذه التي دعوت الناس إليها مما بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم للامة أم لا ؟ فأمسك ، فقال الشيخ : يا أمير المؤمنين ، وهذه ثالثة ، ثم قال بعد ساعة : أخبرني يا أحمد ما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقاتلتك هذه التي دعوت الناس إليها وإلى القول بها من خلق القرآن أو سعه أن أمسك عنهم أم لا ؟ قال أحمد : بل اتسع له ذلك ، فقال : وكذلك لأبي بكر وعمر ، وكذلك لعثمان ، وكذلك لعلي ، رضي الله عنهم ! قال : نعم ، فصرف وجهه إلى الواثق وقال : يا أمير المؤمنين ، إذا لم يتسع لنا ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه فلا وسع الله علينا ، فقال الواثق : نعم لا وسع الله علينا إن لم يتسع لنا ما اتسع

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه ، ثم قال الواصل : اقطعوا قيده ، فلما فكوا قيده جاذب عليه ، فقال الواصل : دعوه ، ثم قال للشيخ : لم جاذبت عليه ؟ قال : لأني عقدت في نيتي أن أجاذب عليه ، فإذا أخذته أوصيت أن يجعل بين كفي وبدني حتى أقول : يارب ، سل عبدك هذا لم قيدي ظلما وأراع في أهلي ، فبكى الواصل ، وبكى الشيخ وكل من حضر ، ثم قال له الواصل : يا شيخ ، اجعلني في حل ، فقال : يا أمير المؤمنين ما خرجت من منزلي حتى جعلتك في حل إعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقرابتك منه ، فتهلل وجه الواصل وسره ، ثم قال له : أقم عندي آسبك ، فقال : مكاني في ذلك الثغر أنفع ، أنا شيخ كبير ولي حاجة ، قال : سل ما بدالك ، قال : يأذن أمير المؤمنين لي في الرجوع إلى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم ، قال : قد أذنت لك ، وأمر له بجائزة . فلم يقبلها ، فرجعت من ذلك الوقت ، وأحسب أن الواصل رجع عنها

قال : وعرض على المهدي يوما دفاتر خزائن الكتب ، فإذا على ظهر كتاب منها هذه الأبيات قالها المعتز بالله وكتبها بخطه . وهي :

إني عرفت علاج الطب من وجمي وما عرفت علاج الحب والحدع
جزعت للحب والحمى صبرت لها إني لأعجب من صبري ومن جزعي
من كان يشغله عن إلفه وجمي فليس يشغاني عن حبكم وجمي
وما أمل حبيبي ، ليتني أبدا مع الحبيب ، وياليت الحبيب معي
فتطرب وجه المهدي بالله وقال : حدث وسلطان الشباب ، وكان المهدي كثيرا ما ينشد البيت الأول من هذا الشعر

وكان محمد بن علي الربيعي ممن يكثر ملازمة المهدي ، فقال لي ذات ليلة : أتعرف خبر نوف الذي حكاه عن علي بن أبي طالب حين كان يأتيه ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكر نوف قال : رأيت عليا رضى الله عنه قد أكثر

الخروج والدخول والنظر إلى السماء ، ثم قال لي : يا نوف ، أنا نائم أنت ؟ قال : قلت : بل راق أرمق بعيني منذ الليلة يا أمير المؤمنين ، فقال لي : يا نوف ، طوبى للزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطا ، وترابها ثيابا ، وماءها طيبا ، والكتاب شعارا ، والدعاء دثارا ، ثم قرصوا الدنيا قرصا على منهاج المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، يا نَوْفُ ! إن الله تعالى أوحى إلى عبده عيسى عليه السلام أن قل لى إسرائيل أن لا يدخلوا إلى إلا بقلوب وجلة وأبصار خاشعة ، وأكف نقية ، واعلم أنى لأجيب لأحد منهم دعوة ولأحد من خلقى قبلهم مظلمة ، قال محمد بن على الربيعى : فوالله لقد كتب المهتدى هذا الخبر بخطه ، ولقد كنت أسمعه فى جوف الليل وقد خلا بربه فى بيت كان خلوته وهو يبكى ويقول : يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة ويمر فى الخبر إلى آخره ، إلى أن كلف من أمره ما كان مع الأتراك وقتلهم إياه

جواب المهتدى
وقد سئل عن
سرحب الناس
للدنيا

قال محمد بن على : قلت للمهتدى ذات يوم - وقد خلوت به وقد أكثرنا من ذكر آفات الدنيا ومن رغب فيها ومن انحرف عنها - : يا أمير المؤمنين ، ما للانسان العاقل المميز مع علمه بجميع آفات الدنيا وسرعة انتقالها وزوالها وغرورها لطلابها يحبها ويأنس إليها ؟ قال المهتدى : حق ذلك له : منها خلق فىه أمه ، وفيها نشأ فىه عيشه ، ومنها قدر رزقه فىه حياته ، وفيها يعاد فىه كفاته ، وفيها اكتسب الجنة فىه مبدأ سعادته ، والدنيا ممر الصالحين إلى الجنة ؛ فكيف لا يجب طريقا تأخذ بسالكها إلى الجنة فيها نعيم مقيم خالدا إن كان من أهلها ؟! وقيل : إن هذا الكلام فى جواب على بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وأجاب به سائلا سألته عن ذلك ، وهو مأخوذ من كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، حين مدح الدنيا وذم الزمان لها ، على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من باب ذكر زهده وأخباره

قال المسعودي : وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة في خلافة المهدي ، خروج صاحب
وذلك في سنة خمس وخمسين ومائتين ، وكان يزعم أنه علي بن أحمد بن عيسى الزنج وعقيدته
ابن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وأكثر الناس يقول : إنه
دعي آل أبي طالب ، وكان من أهل قرية من أعمال الري يقال لها وزريق ،
وظهر من فعله ما دل على تصديق ما رمى به أنه كان يرى رأى الأزارقة من الخوارج ،
لأن أفعاله في قتل النساء والأطفال وغيرهم من الشيخ الفاني وغيره ممن لا يستحق
القتل يشهد بذلك عليه ، وله خطبة يقول في أولها الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله
والله أكبر ألا لا حكم إلا الله ، وكان يرى الذنوب كلها شركا ، وكان أنصاره الزنج ،
وكان ظهوره ببرغيل بين مدينة الفتح وكرخ البصرة في ليلة الخميس لثلاث بقين
من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ، وقيل : ليلة السبت لليلتين خلتا من صفر
سنة سبعين ومائتين ، وذلك في خلافة المعتمد على الله ، وقد صنف الناس في أخباره
وحر و به وما كان من أمره كتب كثيرة ، وكان أول من صنف أخباره وما كان من
بدو أمره ووقوعه إلى بلاد البحرين وما كان من خبره مع الأعراب محمد بن الحسن
ابن سهل ابن ذى الرياستين الفضل بن سهل صاحب المأمون ، وهو الرجل الذي
كان من أمره مع المعتضد بالله ما قد ذكرناه واشهر قبل ذلك في الناس وما كان
من أمره إلى أن جعله كدجاج على النار وجلده ينتفخ ويتقرقع
وقد ذكر الناس صاحب الزنج في أخبار المبيضة وكتبهم ، وقد أتينا على
جميع خبره وبدو خبر البلاية والسعدية بالبصرة في الكتاب الأوسط فأغنى
ذلك عن إعادته ، وإنما أوردنا في هذا الكتاب في الموضع المستحق له لمعا من
ذكره وما كان من أمره في مقتله

قال المسعودي : وفي هذه السنة سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقيل :
سنة ست وخمسين ومائتين ، كانت وفاة عمرو بن بحر الجاحظ بالبصرة في الحرم ،
ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه ، مع قوله بالعمانية ، وقد كان
الجاحظ
وكتبه
ومنزلها

أبو الحسن المدائني كثير الكتب ، إلا أن أبا الحسن المدائني كان يؤدي ماسمع ، وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلوصدا الأذهان ، وتكسف واضح البرهان ، لأنه نظمها أحسن نظم ، ورصفها أحسن رصف ، وكساها من كلامه أجزل لفظ ، وكان إذا تخوف مَلَّلَ القاريء وسامة السامع خرج من جد إلى هزل ، ومن حكمة بليغة إلى نادرة ظريفة ، وله كتب حسان : منها كتاب البيان والتبيين ، وهو أشرفها ، لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم ، وغرر الأشعار ، ومستحسن الأخبار ، وبلغ الخطب ، مالوا اقتصر عليه مقتصر عليه لا كتفى به ، وكتاب الحيوان ، وكتاب الطفيليين ، والبخلاء ، وسائر كتبه في نهاية الكمال ، مالم يقصد منها إلى نصب ولا إلى دفع حق ، ولا يعلم ممن سلف وخلف من المعتزلة أفصح منه ، وكان غلامَ إبراهيم بن يسار النظام ، وعنه أخذ ، ومنه تعلم

وحدث يموت بن المزرع - وكان الجاحظ خاله - قال : دخل إلى خالي أناس من البصرة من أصدقائه في العلة التي مات فيها فسألوه عن حاله ، فقال : عليل من مكانين : من الأسقام ، والدين ، ثم قال : أنا في هذه العلة المتناقضة التي يتخوف من بعضها التلف وأعظمها نيف وسبعون سنة ، يعني عمره

قال يموت بن المزرع : وكان يطلى نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدة حرارته ، والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ماشعر به من خدره وبرده

قال ابن المزرع : وسمعتة يقول : رأيت رجلاً يروح ويغدو في حوائج الناس ؛ فقلت له : قد أتعبت بذلك بدنك ، وأخلقت ثيابك ، وأعجفت برذونك ، وقتلت غلامك ، فمالك راحة ولا قرار ، فلو اقتصدت بعض الاقتصاد ، قال : سمعت تغريد الأطيوار فما طربت طربي لنغمة شاكر أوليته معروفا أو سعيت له في حاجة وكان يموت لا يعود مريضاً خوفاً من أن يتطير باسمه ، وله أخبار حسان ، وأشعار جياذ ، وقد كان سكن طبرية من بلاد الأردن من الشام مات بها ، وذلك بعد الثمانئة ، وكان من أهل العلم والنظر والمعرفة والجدل ، وله ولد يقال

يموت بن
المزرع

له مهلهل بن يموت بن المزرع ، وهو شاعر مجيد من شعراء هذا الوقت ، وهو سنة
اثنيتين وثلاثين وثمانائة ، وفيه يقول أبوه يموت بن المزرع :

مهلهلُ قد حَلَبْتُ شَطُورَ دَهْرٍ فكأخى بها الزمن العنوت
وجاريت الرجال بكل ربع فما دعت الحباله والذموت
فأوجع ما أجن عليه قلبي كريم عَصَّه زمن عنوت
كفى حزنا بغيبة ذى وداع وإبقاء العتيد لها النحوت
وقد أسهرت عيني بعد غمض مخافة أن يضع إذا فنيت
وفى لطف المهيمن لى عزاء بمثلك إن فَنَيْتُ وإن بَقَيْتُ
وإن يشتد عظمك بعد موتى فلا تقطعك جائحة سيوت
وقل : بالعلم كان أبى جوادا ، يقال : ومن أبوك ؟ فقل : يموت
تقر لك الأبعاد والأداني بعلم ليس يحجده البهوت

وللمهتدى أخبار حسان قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا ، والله

ولى التوفيق



ذكر خلافة المعتمد على الله

وبويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل ، يوم الثلاثاء لأربع عشر ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ويكنى أبا العباس ، وأمه أم ولد كوفية يقال لها فتيان ، ومات في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين ، وهو ابن ثمان وأربعين سنة ، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة

مجل
تاريخه

ذكر جملة من أخباره وسيره

ولم يملك ما كان في أيامه

ولما أفضت الخلافة إلى المعتمد على الله استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ثم استوزر الحسن بن مخلد ، ثم صارت الوزارة إلى سليمان بن وهب ، ثم صارت إلى صاعد ، وخلع المعتمد على أخيه أبي أحمد الموفق ، وعلى مفلح ، يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وأشخصهما إلى البصرة لمحاربة صاحب الزنج ، فأوقع مفلح التركي بصاحب الزنج يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين ومائتين ، فأصاب مفلحاً سهم في صدغه ، فأصبح يوم الأربعاء ميتاً ، وحمل إلى سامرا فدفن بها ، وانصرف أبو أحمد عن محاربة صاحب الزنج

وزراء
المعتمد

وفي سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، في خلافة المعتمد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة ، وهو أبو المهدي المنتظر ، والامام الثاني عشر عند القطعية من الامامية ، وهم جمهور الشيعة ، وقد تنازع في الامامة

وفاة الحسن
ابن محمد العلوي
ورأى القطعية
من المعتزلة
في الامامة

هؤلاء في المنتظر من آل النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة الحسن بن علي
عشرين فرقة وقد ذكرنا حجاج كل طائفة منهم لما أحبته نفسها واختارته لمذهبها ،
في كتابنا المترجم : « سر الحياة » وفي كتاب « المقالات في أصول الديانات »
وما ذهبوا إليه من الغيبة وغير ذلك

وقد كان المهتدى سير بفتيحة أم المعتز وعبد الله بن المعتز وإسماعيل بن
المتوكل وطامحة بن المتوكل وعبد الوهاب بن المنتصر إلى مكة فلما أفضت الخلافة
إلى المعتمد بعث بحملهم إلى سامرا

وفي سنة اثنتين وستين ومائتين كان مسير يعقوب بن الليث الصفار نحو
العراق في جيوش عظيمة ، فلما نزل دير العاقول على شاطئ دجلة بين واسط
وبغداد ، وقد أتينا في كتابنا « أخبار الزمان » على بدو خبر يعقوب بن الليث
ببلاد سجستان ، وكونه في حال صغره صفارا ، وخروجه من مطوعة سجستان
إلى حرب الشراة ، واتصاله برمریم بن نصر ، وخبر شاروق مدينة الشراة مما يلي
بلاد سجستان المعروفة بابوق وترقى الأمر بيعقوب إلى أن كان من أمره ودخوله
بلاد زياستان - وهي بلاد فيروز بن كيک بن زياستان - وما كان من أمره مع
زميل ملاك السند على جسر نسط ودخوله بلاد هراة ثم بلخ ، وإعماله الحيلة إلى
أن دخل بلاد نيسابور ، وقبضه على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن
الحسين ، ثم دخوله إلى بلاد طبرستان ، ومواقفته الحسن بن زيد الحسيني ، مع
ما قدمنا قبل وصفنا من خبر حمزة بن أدرك الخارجي ، وما كان من أمره في
أيام عبد الله بن طاهر ، وإليه تضاف الحمزية من الخوارج ، وانهينا بأخبار
يعقوب بن الليث من بدئه إلى غايته ووفاته ببلاد جندي سابور من كور الأهواز ،
فلما نزل يعقوب بن الليث دير العاقول خرج المعتمد فسكر يوم السبت لثلاث
خلون من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين في الموضع المعروف بالقائم
بسامرا ، واستخلف ابنه المفوض ووصل المعتمد إلى سبت بني کرمان يوم الخميس

خروج يعقوب
الصفار

لخمس خلون من رجب من هذه السنة فواقع الصفار يوم الأحد لتسع خلون من رجب من السنة في الموضع المعروف باضطر تر بين السبت ودير العاقول ، فهزم الصفار ، واستباح عسكره ، وأخذ من أصحابه نحو عشرة آلاف رأس من الدواب ، وذلك أنه فجر عليه النهر المعروف بالسبت ، فغشى الماء الصحراء ، وعلم الصفار أن الحيلة قد توجهت عليه ، وقد كان حمل على أصحاب السلطان في ذلك اليوم بضع عشرة حملة ، وغرق إبراهيم بن سبا ، وقتل بيده خلقا كثيرا ، وطعن محمد بن أوتامش التركي ، وكان يقوم أنه خادم ، وقال لأصحابه : مارأيت في عسكرهم مثل هذا الخادم ، وقد كان الصفار في هذا اليوم قصد الميمنة - وكان عليها موسى بن بغا - وقتل خلقا كثيرا من الناس ، منهم المغربي المعروف بالمبرقع ، ونجا الصفار بنفسه والخواص من أوليائه ، واتبعه جيش المعتمد وأهل القرى والسواد ، فغنم الأكثر من ماله وعدده ، واستنقذ محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وكان مقيدا ، كان أسره من نيسابور على ما قدمنا ، ومعه الحسن بن قريش ، وأتى الموفق - وكان في القلب - محمد بن طاهر ففك قيوده وخلع عليه ، وردّه إلى مرتبته ، وقيل : إن السبب في هزيمة الصفار في ذلك اليوم - مع ما ذكرنا من فجر النهر وانتظام الخيول فيه - أن بصيرا الديلمي مولى سعيد بن صالح الحاجب كان في الشدوات في بطن دجلة ، فوافي مؤخر عسكر الصفار وسواده ، فخرج من الشدوات فطرح النار في الابل والبغال والخيول ، وكان في عسكره خمسة آلاف رجل ينحى من حمر وغيرها ففرقت الابل في العسكر ، وشردت البغال والخيول ، واضطرب الناس في مصاف الصفار لما سمعوه ورأوه في عسكره وسواده من ورائهم ، فكانت الهزيمة على الصفار بما ذكرنا ، ويقال : إن يعقوب بن الليث قال في سفرته هذه أيبساتا ، وفي مسيره ، وأنه خرج منكرا على المعتمد ومن معه من الموالى إضاعتهم الدين وإهمالهم أمر صاحب الزنج فقال :

خراسان أحويتها وأعمال فارس وما أنا من ملك العراق بآيس
إذا ما أمور الدين ضاعت وأهملت ورثت فصارت كالرسوم الدوارس
خرجت بعون الله يمنا ونصرة وصاحب رايات الهدى غير حارس
وكانت وفاة الصفار يوم الثلاثاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وستين

سياسة الصفار

وأثرها في
رعيته

ومائتين ، على ما ذكرنا بجندی سابور

وخلف في بيت ماله خمسين ألف ألف درهم وثمانمائة ألف دينار ، وخلفه أخوه
عمرو بن الليث مكانه

وكانت سياسة يعقوب بن الليث لمن معه من الجيوش سياسة لم يسمع
بمثلا فيمن سلف من الملوك من الأمم الغابرة من الفرس وغيرهم ممن سلف
وخلف ، وحسن انقيادهم لأمره ، واستقامتهم على طاعته لما كان قد
شملهم من إحسانه ، وغمرهم من بره ، وملا قلوبهم من هيئته

فما ذكر من ظهور طاعتهم له أنه كان بأرض فارس ، وقد أباح الناس أن
يرتعدوا ، ثم حدث أمر أراد النقلة والرحيل من تلك السكورة ، فنأدى مناديه
بقطع الدواب عن الرتم وأنه رؤى رجل من أصحابه قد أسرع إلى دابته والحشيش
في فمها فأخرجه من فيها مخافة أن تلوكه بعد سماعه النداء ، وأقبل على الدابة مخاطبا
فقال بالفارسية : أمير المؤمنين دوا برا أتر بریدند ؛ وتفسير ذلك اقطعوا الدواب عن
الرطبة ، وأنه رؤى في عسكره في ذلك الوقت ، رجل من قواده ذو مرتبة والدرع
الحديد على بدنه لاثوب بينه وبين بشرته ، فقيل له في ذلك ، فقال : نادى منادى
الأمير ألبسوا السلاح ، وكنت أغتسل من جنابة فلم يسعني التشاغل بلبس الثياب
عن السلاح ، وكان الرجل إذا أتاه راغبا في خدمته مؤثرا للانقطاع إليه تفرس
فيه فاذا أعجبه منظره امتحن خبره واستبر ما عنده من رمى أو طعان أو غير
ذلك من ثقافة ، فاذا رأى منه ما يعجبه سأل عن خبره وحاله ، ومن أين أقبل
ومع من كان ، فاذا وافقه ما سمعه منه قال له : أصدقني عما معك من المال والمتاع

والسلاح ، فيقف على جميع مامعه ، ثم يبعث أناسا قد رتبوا لذلك فيبيعون جميع ذلك ويحملونه عينا أو ورقا ، ويدفع إليه ، ويثبت في الديوان ، ثم يزيح عنه في اللباس والسلاح والمأكل والمشرب والدواب والبغال والحير من إصطبله حتى لا يفقد الرجل جميع ما يحتاج إليه من أمره على قدر مكانه ومرتبته ، فان تقم عليه بعد ذلك مذهبه ولم يرض اختياره سلبه جميع ما أنعم به عليه ، حتى يخرج من عسكره نحو ما دخل إليه محتملا بما معه من ذلك العيين والورق ، إلا أن يكون ذلك الرجل معتزدا فيصير له فضل من أرزاقه ، فلا يمنعه ما كان له من متقدم ماله ، وكان جميع دوابه ملكا له وإن أعلافها من قبله ، ولها سياسة ووكلاء يقومون بأمرها إلا خصوص دوابهم التي تكون عندهم إلا أن ملكها له ، واتخذ لنفسه عريشا من خشب يشبه السرير حينا توجه من مسيره ، فيكثر الجلوس عليه ، ويشرف منه على أهل معسكره ، وعلى قضيم دوابه ، ويؤمن الخلل من وكلائه ، فاذا رأى شيئا يكرهه بادر بتغييره ، وقد كان انتخب من أصحابه ألف رجل على اختيار لهم والغنى الظاهر منهم والنكاية في حروبهم ، فجعلهم أصحاب الأعمدة الذهب كل عمود منها فيه ألف مثقال من الذهب ، ثم يليهم في اللباس والغنى فوج ثاني أصحاب الأعمدة الفضة فاذا كان في الأعياد أوفى الأيام التي يحتاج فيها إلى مباهاة الأعداء والاحتفال دفع إليهم تلك الأعمدة ، وإنما ضربت هذه الأعمدة عدة للنواب وسئل بعض ثقاته ممن ينظر حاله عن أشغاله في خلواته وعن مجالسته مع أهل بطانته وهل يسير مع أحد أو يجالسه ، فذكر أنه لا يطلع أحدا على سره ، ولا يعرف أحد بتدييره وعزمه ، وأكثر نهاره خاليا بنفسه يفكر فيما يريد ، ويظهر غير ما يضره ، ولا يشرك أحدا فيما يريد برأى ولا غيره ، وإن تفرجه واشتغاله بغلمان صغار يتخذهم ويؤدبهم ويخرجهم ويدعوهم ويدفع لهم ما قد عمله لهم من السيور يتضاربون بها بين يديه ، ففي هذا أكثر شغله إذا فرغ من تدييره

ولما واقع الصفار الحسن بن زيد الحسيني بطبرستان - وذلك في سنة ستين ومائتين ، وقيل : سنة تسع وخمسين ومائتين - وانكشف الحسن بن زيد ، وأمن يعقوب في الطلب ، وكانت معه رسل السلطان قد قصدوه بكتب ورسالة من المعتمد ، وهم راجعون في طلب الحسن بن زيد ؛ قال له بعضهم لما رأى من طاعة رجاله وما كان منهم في تلك الحرب : ما رأيت أيها الأمير كاليوم ، قال له الصفار : وأعجب منه ما أريك إياه ، ثم قربوا من الموضع الذي كان فيه عسكر الحسن بن زيد ، فوجدوا البدر والكرع والصلاح والعدد وجميع ما خلف في العسكر حين الهزيمة على حاله : لم يلتبس أحد من أصحابه منه بشيء ، ولا دنوا إليه ، معسكرين بالقرب منه من حيث يرونه بالموضع الذي خلفهم فيه الصفار ، فقال له الرسول : هذه سياسة ورياضة راضهم الأمير بها إلى أن تأتي له منهم ما أراد ، وكان لا يجلس إلا على قطعة مسح يشبه أن يكون طوله سبعة أشبار في عرض ذراعين أو أرجح ، وإلى جانبه ترسه وعليه اتكاؤه ، وليس في مَضْرِبِهِ شيء غيره ، فإذا أراد أن ينام من ليله أو نهاره اضطجع على ترسه ونزع راية فيجعلها مخدته ، وأكثر لباسه خفتان مصبوغ فاختي .

وكان من سُنَنِهِ للقواد والرؤساء والعطاء عنده مراتب في الدخول بيباب مضربه بحيث تقع عينه عليهم ، ويرى مداخلهم ؛ فيمرون مع أطناب الشقاق إلى خيمة مضروبة بحيث لا يرى هو موضعها ، لكنه يرى مداخلهم إليها ومخرجهم منها ؛ فمن احتاج إليه منهم واحتاج إلى كلامه أو أمره أو نهيه دعاه فأمره ، وكان دخولهم بحيث يقع نظره عليهم عوضا من السلام عليه ، ولم يكن لأحد أن يتقدم إلى باب مجلسه إلا رجل من خواصه يعرف بالعزير وإخوته ، وله من وراء خيمته خيمة تقرب من أطناب مجلسه فيها غلمان من خواصه ، فإذا احتاج إلى أمر يأمره به صاح بهم فخرجوا إليه ، وإلا فهو في أكثر نهاره وليله في ذلك الموضع لا يقومون على رأسه ، وخيمته من داخل أخبية مُطَنَّبَةٌ

كلها يدور فيها خمسمائة غلام يبيتون من داخل مضربه ، على كل نفس منهم ثقة قد وكل بتفقد أحواله لئلا يكون منهم عبث أو فساد ، فهو المأخوذ به ، ويذبح له في كل يوم عشرون شاة ، فتطبخ في خمس قدور من الصفر الكبير ، وله قدور حجارة يتخذ له فيها بعض ما يشتهي ، وله إوزة في كل يوم وخبيصة وفالودج مع القدور الخمس ، وهى ألوان غليظة ، فىأكل منها ، ويفرق الباقي فى الغلمان الذين فى داخل مضربه ، ثم أهل عسكره حول مضربه وقربهم منه على حسب مراتبهم عنده

وقال بعض من ورد إليه برسالة السلطان : أيها الأمير ، أنت فى رياستك ومجاسك ليس فى خيمتك إلا سلاحك ومسح أنت عليه ، قال : إن رئيس القوم يأتهم به أصحابه فى أفعاله وسيرته ، فلو استعملت ما ذكرت من الأثاث لأنقلنا البهائم ، ولأتممّ بى فى فعلى من فى عسكرى ، ونحن نقطع فى كل يوم المهامه والمفاوز والأودية والقيعان ، ولا يصلح لنا إلا التخفيف

وكان قليل الاستعمال للبالغ فى عسكره ، وكان فى عسكره خمسة آلاف رجل بخت وأضعاف عددها حمير شهب كالبالغ ، وهى الحمير المعروفة بالصغارية تحمل الأثقال عوضا من البالغ ، وكان السبب فى ذلك أنه إذا نزل خلعت الجبال والحمير للراعى ، وليس فى وسع البالغ ذلك

قال المسعودى : وليعقوب بن الليث الصغار وعمرو بن الليث أخيه سيروسياسات عجيبة ، وحيل ومكايد فى الحروب ، قد أتينا على ذكرها وما انتظم لنا فى وصفها فى كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وإنما نذكر فى هذا الكتاب منها لما لم نعرض لذكرها فيما سلف من كتبنا

وفى سنة أربع وستين ومائتين - وذلك فى خلافة المعتمد - كانت وفاة

وفاة موسى بن

موسى بن بغا ، وفيه يقول بعض الشعراء وكان قد امتدحه فلم يصله بشيء :

بغا

مات موسى فهانَ ذاكَ عَلَيْنَا لم يَضُرَّنِي إِذْ قِيلَ قَدْ مَاتَ شَيْئاً
وكذا لا يَضُرُّنِي مَنْ^(١) مَنْ لَمْ يُسَدِّ خَيْراً إِلَى إِذْ كَانَ حَيَاً

وفي هذه السنة - وهي سنة أربع وستين ومائتين - مات أبو إبراهيم إسماعيل
ابن يحيى المزني صاحب المختصر من علم محمد بن إدريس الشافعي ، يوم الخميس
لست بقين من شهر ربيع الأول من هذه السنة بمصر

وفيهما مات أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن أخى عبد الله بن
وهب ، وهو صاحب مالك بن أنس ، وقد روى عن عمه عبد الله بن وهب
عن مالك
وفيهما مات يونس بن عبد الأعلى الصدفي بمصر ، وهو ابن اثنتين
وتسعين سنة

وفيهما مات أبو خالد يزيد بن سنان بمصر وصلى عليه بكار بن قتيبة القاضي
وشخص الموفق لمحاربة صاحب الزنج في صفر سنة سبع وستين ومائتين ، الموفق وصاحب
وقدم الموفق ابنه أبا العباس في ربيع الآخر إلى سوق الخميس ، وقد كان الشعراني
صاحب العلوى قد تحصن بها في جمع كثير من الزنج ، ففتح هذا الموضع ، وغنم
جميع ما كان فيه ، وفتح مواضع كثيرة ، وقتل من كان فيها من الزنج ، وسار
الموفق إلى الأهواز فأصلح ما أفسده الزنج ، ثم عاد إلى البصرة فلم يزل منازل
لصاحب الزنج حتى قتل ، فكانت مدة أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر ،
يقتل الصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، ويحرق ويخرب ، وقد كان أتى بالبصرة
في وقعة واحدة على قتل ثمانمائة ألف من الناس

وقد كان المهلبى من عليّة أصحاب علي بن محمد بعد هذه الوقعة بالبصرة ،
فنصب منبراً بالموضع المعروف بمقبرة بنى يشكر ، وكان يصلى يوم الجمعة بالناس ،
ويخطب على ذلك المنبر لعلى بن محمد ، ويترحم بعد ذلك عليّ أبى بكر وعمر ،

(١) كذا ، ولعله • وكذا لا يضرني موت من لم •

ولا يذكر عثمان ولا عليا في خطبته ، و يلعن جبارة بنى العباس وأبا موسى الأشعري وعمر بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ، على ما قدمنا من قوله في هذا الكتاب وأنه كان يذهب إلى رأى الأزارقة من الخوارج

ولما ركن من بقى بالبصرة إلى هذا الفعل من المهابة فاجتمعوا فى بعض الجمع فوضع فيهم السيف : فمن ناج سالم ، ومن مقتول ، ومن غريق ، واختفى كثير من الناس فى الدور والآبار ، فكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب فيذبونها ويأكلونها ، والفيران والسنانير ، فأفنها حتى لم يقدرها منها على شىء ، فكانوا إذا مات منهم الواحد أكلوه ، وعدموا مع ذلك الماء العذب وذكر عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة تنازع ومعهما أختها ، وقد احتوشوها ينظرون أن تموت فيأكلون لحمها ، قالت المرأة : فما ماتت حتى ابتدرنا قطعناها وأكلناها ، ولقد حضرت أختها وقد جاءت على النهر وهى تبكى ومعهما رأس أختها ، فقيل لها : ويحك !! مالك تبكين ؟ قالت : اجتمعوا على أختى فما تركوها حتى تموت موتا حسنا حتى قطعوها ، فظلموني فلم يعطوني من لحمها شيئا إلا رأسها هذا ، وهى تشتكى ظلمهم لها فى أختها ، ومثل هذا كثير وأعظم مما وصفنا

وبلغ من أمر عسكره أنه كان ينادى فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس ، تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة ، وينادى عليها بنسبها هذه ابنة فلان الفلاني ؛ لكل زنجى منهم العشرة والعشرون والثلاثون : يطوئن الزنج ، ويخدم النساء الزنجيات ، كما تخدم الوصائف ، ولقد استغاثت إلى على بن محمد امرأة من ولد الحسن بن على بن أبي طالب كانت [عند] بعض الزنج ، وسألته أن ينقلها منه إلى غيره من الزنج أو يعتقها مما هى فيه ، فقال : هو مولاك وأولى بك من غيره وقد تكلم الناس فى مقدار ما قتل فى هذه السنين من الناس فمكث

ومقلل : فأما المكثّر فانه يقول : أفنى من الناس مالا يدركه العد ، ولا يقع عليه الاحصاء ، ولا يعلم ذلك إلا عالم الغيب ، فيا فتح من هذه الأمصار والبلدان والضياع وأباد [من] أهلها ، والمقلل يقول : أفنى من الناس خمسمائة ألف ألف ، وكلا الفريقين يقول في ذلك ظنا وحدساً ، إذ كان شيئاً لا يدرك ولا يضبط

وكان مقتله [على] ما بينا آتفا سنة سبعين ومائتين ، وذلك في خلافة المعتمد

وقد كان الموفق بعد ذلك وجّه بصاعد بن مخلد في سنة اثنتين وسبعين حرب الموفق
للصفار ومائتين إلى حرب الصفار ، فأمره على من معه من الجيوش ، وشيعه الموفق ، فلما صار إلى بلاد فارس تجبر واشتد سلطانه ، وانصرف من المدائن في بعض الأيام فاحتجم في حفة وأذنة عليه ، ونمى ذلك إلى الموفق وما هو عليه من التجبر ، فقال في ذلك أبو محمد عبد الله بن الحسن بن سعيد القطر بلى الكاتب في قصيدة طويلة اقتصرنا منها على ما ذكره ، وهو :

بكتعم لما ظعن ودان بدين المعجم

وأصبح في حفة وفي أذنة محتجم

فأشخصه الموفق إلى واسط ، فكان مدة مقامه في الوزارة سبع سنين إلى أن قبض عليه وعلى أخيه عبدون النصراني

وماتت جارية لصاعد بعد حبسه ، وكانت الغالبة على أمره ، وكان يقال لها جعفر ، وماتت بعدها بأيام أم الموفق ، ففي ذلك يقول عبد الله بن الحسين بن سعيد من أبيات له :

أخذت جعفر برأس القطار ثم قالت : آذنتكم بالبور

فأجابت أم الأمير وقالت : قد أتيناك أول الزوار

وسياتيك صاعد عن قريب كتبه للتلاق والاشكدار

وأحصى ما وجد لصاعد من الرقيق والمتاع والكسوة والسلاح والآلات

في خاصة نفسه ، دون ما وجد لأخيه عبدون ؛ فكان مبلغه ثلثمائة ألف دينار ، وكان مبلغ غلته في سائر ضياعه ألف ألف وثلثمائة ألف

ومات صاعد في الحبس وذلك في سنة ست وسبعين ومائتين

وفى سنة سبعين ومائتين كانت وفاة أبي سليمان بن وهب الكاتب ، وأحمد بن طولون ، وذلك بمصر يوم السبت لعشر خلون من ذي القعدة من سنة سبعين ومائتين ، وله خمس وستون سنة

وفاة أحمد بن طولون

وكانت ولاية أحمد بن طولون سبع عشرة سنة ، وكان ابن المظفر يصاحب الزنج ، ومرض أحمد بن طولون عشرة أشهر ، ولما يئس أحمد بن طولون من نفسه بايع لابنه أبي الجيش بالأمر من بعده ، فلما توفى جدد أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون العهد لنفسه

ووجه الموفق ابنه أبا العباس لمحاربة أبي الجيش خمارويه في سنة إحدى وسبعين ومائتين ، فكانت الوقعة بينهما بالطواحين من أعمال فلسطين يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال في هذه السنة ، فكانت الهزيمة على أبي الجيش ، واحتوى أبو العباس على جميع عسكره ، وأفلت أبو الجيش في جماعة من قواده حتى أتى القسطنطينية ، وتخلف غلامه سعيد الأعشر فواقع أبا العباس ، فهزمه واستباح عسكره ، وقتل رؤساء قواده وجملة أصحابه ، ومضى أبو العباس لايولى على شيء حتى أتى العراق ، وقلد أبو الجيش أمر وزارته على بن أحمد المادرائي ، وأبو بكر محمد بن علي بن أحمد المادرائي هو المعتقل في يد الاخشيدي أحمد بن طُغْج في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - وقد كان على وزارته بمصر هو وولده الحسن بن محمد ، فلما استوزر الاخشيدي أبا الحسن على بن خلف بن طباب واقفل من دمشق إلى القسطنطينية قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم ابن خلف ، واستوزر أبا الحسن محمد بن عبد الوهاب

الموفق وأبو الجيش خمارويه

وفي سنة سبعين ومائتين كانت وفاة الربيع بن سليمان المرادي المؤذن ،
 صاحب محمد بن إدريس الشافعي ، والراوي لأكثر كتبه عنه بمصر
 وأخبرنا أبو عبد الله الحسن بن مروان المصري وغيره ، عن الربيع بن سليمان
 قال : استعار الشافعي من محمد بن الحسن الكوفي شيئا من كتبه ، فلم يبعث
 بها إليه ، فقال الشافعي :

يا ، قل لمن لم تر عيه ن من رآه مثله
 من كان من قدراه ما قد رأى من قبله
 ومن كَلَامُنَا له حيث عقلنا عقله
 لأن ما يجنبه فاق الكمال كله
 العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله
 لعله يبذله لأهله لعله

فبعث إليه محمد بن الحسن بأكثر كتبه التي سأل عنها .

وباع المتمد لابنه جعفر ، وسماه المفوض إلى الله ، وقد كان المتمد آثر
 اللذة ، وغلب الملاهي ، وغلب أخوه أبو أحمد الموفق على الأمور يدبرها ، ثم
 حصر على المتمد وحبسه ، فكان أول خليفة قهر وحجر عليه ، و وكل به فم
 الصلح ، وقد كان قبل ذلك هرب وصار إلى حديثة الموصل ، فبعث الموفق بصاعد
 إلى سامرا وكتب إلى إسحق بن كنداج فردّه من الموصل .

وفي سنة أربع وستين ومائتين كان خروج أحمد بن طولون من مصر مظهرا
 للغزو في عساكر كثيرة وخلق من المطوعة قد انجذبوا معه من مصر وفلسطين ،
 فقبل وصوله إلى دمشق مات ماجور التركي ، وقد كان عليها ، فدخلها أحمد
 واحتوى على جميع تركته من الخزائن وغيرها ، وسار منها إلى حمص ، وسار منها
 إلى بلاد أنطاكية ، ووصلت مقدمته إلى الاسكندرية من شاطئ بحر الروم ،

بيعة
 المتمد
 لابنه

استيلاء
 ابن طولون
 على دمشق
 وحمص
 وأنطاكية

ووصل هو إلى الموضع المعروف بسفواس من جبل الأكام ، وقد تقدمته المطوعة والغزاة إلى الثغر الشامي ، ثم عطف هو راجعا من غير أن يكون تقدم إلى الناس معرفة ذلك منه حتى نزل مدينة أنطاكية ، وفيها يومئذ سبى الطويل في عدة منيعة من الأتراك وغيرهم ، وقد قدمنا فيما تقدم من هذا الكتاب الخبر عن كيفية بناء أنطاكية وقصة سورها والمالك الباني لها وصفة سورها في السهل والجبل ، وقد كان قبل نزول أحمد بن طولون على أنطاكية وقع بين سبى وبين أحمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم من أرض الشام ، وكان سبى الطويل قد عم أذاه أهلها من قتل وأخذ مال ، وكان نزول ابن طولون على باب من أبوابها يعرف بباب البحر ، وقد كان لؤلؤ بعد ذلك انحدر إلى السلطان مستأمنا ، فأتى الموفق وهو منازل لصاحب الزنج ، فكان من أمره وقتل صاحب الزنج ما قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من وقوع المشاجرة بين أصحاب لؤلؤ وأصحاب الموفق كما قدمنا أيهم القاتل لصاحب الزنج ، وكادت الحال أن تنفرج بينهم في ذلك اليوم حتى قيل في عسكر الموفق :

كيفما شئتم فقولوا إنما الفتح للولو

فكان ابن طولون على أنطاكية في آخر سنة أربع وستين ومائتين ، وكان افتتاحه إياها في سنة خمس وستين ومائتين بالخيالة من داخلها من بعض أهلها بالليل ، وقد أخذوا بحراسهم سورها فتحدر بعضهم مما يلي الجبل وباب فارس ، فأتى ابن طولون وقد يئس من فتح المنعتها وحصانة سورها ؛ فوعده وفتحها ، فضم إليه عدة من رجاله ، فتمسلقوا من حيث نزلوا ، واستعد هو في عسكره ، وأخذ أهبطه ، وسيافى داره ، فأنفجر عمود الصبح إلا وال طولونية قد كبروا على سورها ، ونزلوا منحدرين إليها ، وارتفع الصوت ، وكثر الضجيج ، وركب سبى فيمن يسرع معه من خواصه فأرسلت عليه امرأة من أعالي سطح حجر رَحًا فأتت عليه ، وأخذ بعض من

عرفه رأسه فأتى به ابن طولون ، وقد دخل من باب فارس ونزل على عين هنالك ومعه الحسين بن عبد الرحمن القاضي المعروف بابن الصابوني الأنطاكي الحنفي ، فعث أصحاب ابن طولون ساعة بأنطاكية ، وشمل الناس أذاهم ، ثم رفع ذلك ساعتين من النهار ، وارتحل ابن طولون يؤم الثغر الشامي ، فأتى المصيصة وأذنة وامتنع منه أهل طرسوس ، وفيها مازنار الخادم ، فلم يكن له في فتحها حيلة ، فرجع عنها وقد أراد الغزو على ما قيل ، والله أعلم ، لأمر بلغه أن العباس ولده قد عصى عليه ، وفزع أن يحال بينه وبين مصر ، فحث في السير ودخل القسطنطينية ، ولحق العباس ببرقة من بلاد المغرب خوفا من أبيه ، وقد حمل معه ما أمكنه حمله من الخزائن والأموال والعدد ، وقد أتينا على ما جرى بين أحمد ابن طولون وولده العباس من المراسلات في كتابنا « أخبار الزمان »

وكانت وفاة مازنار الخادم في أرض النصرانية غازيا في جيش الاسلام تحت مازنار الخادم
الحسن المعروف بكوكب ، وكان مولى للفتح بن خاقان ، فحمل إلى طرسوس ،
فدفن ببياب الجهاد ، وذلك للنصف من رجب سنة ثمان وسبعين ومائتين ،
وكان معه في تلك الغزاة من أمراء السلطان المعروف بالعجيف وابن أبي عيسى ،
وكان على إمرة طرسوس ، وكان مازنار في نهاية البلاغة في الجهاد في البر والبحر
وكان معه رجال من البحرين لم ير مثله ولا أشد منهم ، وكان له في العدو
نكاية عظيمة ، وكان العدو يهابه ، وتفزع منه النصرانية في حصونها ، ولم ير
في الثغور الشامية والحورية بعد عمرو بن عبيد الله^(١) الأقطع صاحب ملطية وعلى
ابن يحيى الأرمني صاحب الثغور الشامية أشد إقداما على الروم من مازنار الخادم
وكانت وفاة عمرو بن عبيد الله الأقطع وعلى بن يحيى الأرمني في سنة
واحدة استشهدا جميعا ، وذلك في سنة تسع وأربعين ومائتين في خلافة
المستعين بالله

(١) في بعض الأصول « بعد عمرو بن عبد العزيز بن مروان »

وقد كان عمرو بن عبيد الله غازيا في تلك السنة في المطلبين ، فأتى ملك الروم في خمسين ألفا فصبر الفريقان جميعا ، فاستشهد عمرو بن عبيد الله ومن كان معه من المسلمين إلا اليسير ، وذلك يوم الجمعة للنصف من رجب من هذه السنة وقد كان على بن يحيى الأرمني انصرف عن الثغر الشامي وولى أرمينية ، ثم صرف عنها ، فلما صار إلى بلاد ميفارقين من ديار بكر عدل إلى ضياع له هنالك ، ووقع النفير ، فخرج مسرعا ، وقد أغارت جيوش الروم فقتل على بن يحيى مقدار أربعمائة نفس ، والروم لا تعلم أنه على بن يحيى الأرمني وأخبرني بعض الروم - ممن كان قد أسلم وحسن إسلامه - أن الروم صورت عشرة أنفس في بعض كنائسها من أهل البأس والنجدة والمكاييد في النصرانية والحيلة من المسلمين ، منهم الرجل الذي بعث به معاوية حين احتال على البطريق فأسره من القسطنطينية ، فأقاد منه بالضرب ، وردّه إلى القسطنطينية ، وعبد الله البطال ، وعمرو بن عبيد الله ، وعلى بن يحيى الأرمني ، والعربيل بن بكار ، وأحمد بن أبي قطيعة ، وقرماس السلقي صاحب مدينة إيريق - وهي اليوم للروم - وكان بطريق البيالقة ، وكانت وفاته في سنة تسع وأربعين ومائتين ، وحرس حارس أخت قرماس ، وما زنا الخادم في موكبها ، والرجال حوله ، وأبو القاسم بن عبد الباقي ، وقد أتينا على وصف مذهب البيالقة واعتقاداتهم - وهو مذهب بين النصرانية والمجوسية - وقد دخلوا في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - في جملة الروم ، وقد فسرنا خبرهم في كتابنا « أخبار الزمان »

فأما خبر معاوية وما ذكرناه من خبر الرجل الذي أسر البطريق من مدينة القسطنطينية فهو أن المسلمين غزوا في أيام معاوية فأسر جماعة منهم ، فأوقفوا بين يدي الملك ، فتكلم بعض أسارى المسلمين ، فدنا منه بعض البطارقة ممن كان واقفا بين يدي الملك ، فلطم حُرَّ وجهه ، فألمه ، وكان رجلا من قریش فصاح : وإسلاماه ، أين أنت عنا يا معاوية ؟ إذ حملتنا ، وضيعت ثغورنا ، وحكمت

معاوية
وبطريق من
بطارقة الروم

العدو في ديارنا ودمائنا وأعراضنا ، فتمى الخبر إلى معاوية فألمه ، وامتنع من
لذيذ الطعام والشراب ، فخلا بنفسه وامتنع من الناس ، ولم يظهر ذلك لأحد من
الخلوقين ، ثم أجعل الأمر في إعمال الحيلة باقامة الغداء للمسلمين ، فلما صار الرجل
إلى دار الاسلام دعاه معاوية فبره وأحسن إليه ، ثم قال له : لم نهملك ولم نضيعك
ولا أبجنادك وعرضك ، ومعاوية مع ذلك يجيل الرأي ويعمل الحيلة ، ثم بعث إلى
رجل من ساحل دمشق من مدينة صور ، وكان به عارفا ، كثير الغزوات في البحر ،
مبل من الرجال مرطان بالرومية ، فأحضره وخاله وأخبره بما قد عزم عليه وسأله
إعمال الحيلة فيه والتأني له ، فتوافقا على أن يدفع للرجل مالا عظيما يبتاع به أنواعا من
الطُرف والمُلح والجهاز والطيب والجوهر وغير ذلك ، وابتنى له مركب لا يلحق
في جريه سرعة ولا يدرك في مسيره بنيانا عجيبا ، فسار الرجل حتى أتى مدينة
قبرس ، فاتصل برئيسها ، وأخبره أن معه جارية للملك ، وأنه يريد التجارة إلى
القسطنطينية فأصدا إلى الملك وخواصه بذلك ، فروسل الملك بذلك وأعلم بحال الرجل
فأذن له في الدخول ، فدخل خليج القسطنطينية ، وسار فيه حتى انتهى إلى
القسطنطينية ، وقد أتينا على مقدار مسافة هذا الخليج واتصاله بالبحر الرومي وبحر
مانطس عند ذكرنا البحار فيما سلف من هذا الكتاب ، فلما وصل إلى القسطنطينية
أهدى للملك وجميع بطارفته وبايعهم وشاراهم ولم يعط للبطريق الذي لطم وجهه
القرشي شيئا ، وقصده إلى ذلك البطريق الذي لطم الرجل القرشي ، وتأنى الصوري
في الأمر على حسب مارسمه معاوية ، وأقبل الرجل من القسطنطينية إلى الشام ،
وقد أمره البطارقة والملك بابتياح حوائج ذكروها ، وأنواع من الأمتعة وصفوها ،
فلما صار إلى الشام سار إلى معاوية سرا ، وذكر له من الأمر ما جرى ، فابتاع له
جميع ما طلب منه وما علم أن رغبته فيه ، وتقدم إليه فقال : إن ذلك البطريق
إذا عدت إلى كرتك هذه سيعذلك عن تخلفك عن بره واستهانتك به فاعتذر إليه
ولا طفه بالتصديق والهدايا ، واجعله القيم بأمرك ، والمتفقد لأحوالك ، وانظر ماذا يطلب

منك حين أوبك إلى الشام ، فان منزلتك ستعلو ، واحوالك تزداد عندهم ، فاذا أتقنت جميع ما أمرك به وعلمت غرض البطريق منك وأى شئ يأمر بك باتباعه لتكون الحيلة بحسب ذلك ، فلما رجع الصورى إلى القسطنطينية ومعه جميع ما طلب منه والزيادة على ما لم يطلب منه زادت منزلته وارتفعت أحواله عند الملك والبطارقة وسائر الحاشية ، فلما كان فى بعض الأيام وهو يريد الدخول إلى الملك قبض عليه ذلك البطريق فى دار الملك ، وقال له : ما ذنبى إليك ؟ وبماذا استحق غيرى أن تقصده وتقتضى حوائجه وتعرض عني ؟ فقال له الصورى : أكثر من ذكرت ابتدأتى وأنا غريب أدخل إلى هذا الملك والبلد كالمبتكر من أسارى المسلمين وجواسيسهم لئلا ينموا بخبرى ويعنوا بأمرى إلى المسلمين ، فيكون فى ذلك فقدى ، وإذ قد علمت ميلك إلى فلست أحب أن يعتنى بأمرى سواك ، ولا يقوم به عند الملك وغيره غيرك ، فأمرنى بجميع حوائجك ، وجميع ما يعرض من أمورك بأرض الاسلام ، وأهدى إلى البطريق هدية حسنة من الزجاج المخروط والطيب والجواهر والطرائف والثياب ، ولم يزل هذا فعلة يتردد من الروم إلى معاوية ، ومن معاوية إلى الروم ، ويسأل الملك والبطريق وغيره الحوائج ، والحيلة لاتتوجه لمعاوية ، حتى مضى على ذلك سنين^(١) ، فلما كان فى بعضها قال البطريق للصورى وقد أراد الخروج إلى دار الاسلام : قد اشتبهت أن تغمرنى بقضاء حاجة وتمنّ بها على : أن تتنازع لى بساطا سوسجحرى بمخاده ووسائده يكون فيه من أنواع الألوان من الحمرة والزرقة وغيرهما ، ويكون من صفته كذا وكذا ، ولو بلغ ثمنه كل مبلغ ، فأنعهم له بذلك ، وكان من شأن الصورى إذا ورد إلى القسطنطينية تكون مركبه بالقرب من موضع ذلك البطريق ، وللبطريق ضيعة سرية وفيها قصر مشيد ومنزله حسن على أميال من القسطنطينية راكبة على الخليج ، وكان البطريق أكثر أوقاته فى ذلك المنزله وكانت الضيعة مما يلي فم الخليج مما يلي بحر الروم والقسطنطينية ، فانصرف الصورى

(١) كذا ، وهو وجه فى العربية

إلى معاوية سرا ، وأخبره بالخال ، فأحضر معاوية بساطا بوسائد ومخاد ومجلس ، فانصرف به الصوري مع جميع ما طلب منه من دار الاسلام ، وقد تقدم إليه معاوية بالحيلة وكيفية إيقاعها ، وكان الصوري فيها وصفنا من هذه المدة قد صار كأحد من في المؤانسة وفي العشرة ، وفي الروم طمع وشره ، فلما دخل من البحر إلى خليج القسطنطينية وقد طابت له الريح وقد قرب من ضيعة البطريق أخذ الصوري خبر البطريق من أصحاب القوارب والمراكب ، فأخبر أن البطريق في ضيعته ، وذلك أن الخليج طوله نحو من ثلثمائة ميل وخمسين ميلا بين هذين البحرين وهما الرومي ومانطس ، على حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ، والضياع والعمائر على هذا الخليج من حافته ، والمراكب تختلف والقوارب بأنواع المتاع والأقوات إلى القسطنطينية وهذه المراكب لا تخص في هذا الخليج كثرة ، فلما علم الصوري أن البطريق في ضيعته فرش ذلك البساط ونصّب ذلك الصدر والمجلس بالوسائد والمخاد في محن المركب ومجلسه ، والرجال تحت المجلس بأيديهم المجاذف مشكلة قائمة غير قاذفين بها ، ولا يعلم بهم أنهم في بطن المركب إلا من ظهر منهم في المركب عمله ، والريح في القلع ، والمركب مار في الخليج كأنه سهم قد خرج من كبده قوس لا يستطيع القائم على الشط أن يملأ بصره منه لسرعة سيره واستقامته في جريه ، فأشرف على قصر البطريق وهو جالس في مستشفه مع حرمه وقد أخذت منه الخمر وعلاه الطرب وذهب به الفرح والسرور ، فلما رأى البطريق مركب الصوري غنى طربا ، وصاح فرحا وسرورا وابتهاجا بقدمه ، فدنا من أسفل القصر ، وحط القلع ، وأشرف البطريق على المركب ، فنظر إلى ما فيه من حسن ذلك البساط ونظم ذلك الفرش كأنه رياض تزهر ، فلم يستطع اللبث في موضعه حتى نزل قبل أن يخرج الصوري من مركبه إليه ، فطلع المركب ، فلما استقرت قدمه في المركب ودنا من المجلس ضرب الصوري بعقبه على من تحت البساط من الوقوف ، وكانت علامة بينه وبين الرجال الذين في بطن المركب

فما استقر دقه بقدمه حتى اختطف المركب بالمجاذيف فاذا هو في وسط البحر لا يلوى على شيء ، وارتفع الصوت ، ولم يدرك ما الخبر لمعالجة الأمر ، فلم يكن الليل حتى خرج من الخليج وتوسط البحر ، وقد أوثق البطريق كتفا ، وطابت له الرياح ، وأسعده الجد ، وحمله المجاذيف في ذلك الخليج ، فتعلق اليوم السابع بساحل الشام ، ورأى البر ، وحمل الرجل ، فكانوا اليوم الثالث عشر حضورا بين يدي معاوية بالفرح والسرور لاثلاجه بالأمر وتمام الخيلة ، وأيقن معاوية بالظفر وعلو الجد ، فقال : على بالرجل القرشي ، فأتى به ، وقد حضره خواص الناس ، فأخذوا مجالسهم ، وانفص المجلس بأهله ، فقال معاوية : انظر لا تتعد ما جرى عليك منه ، واقتص منه على حسب ما صنع بك ، ولا تتعد ، وراع ما أوجب الله عليك من المائلة ، فلطمه القرشي لطمات ، ووكره في حلقه ، ثم انكب القرشي على يد معاوية وأطرافه يقبلها ، وقال : ما أضاعك من سوّدك ، ولا خاب فيك أمل من أمّلك ، أنت ملك لاتضام : تمنع حماك ، وتصون رعيتك ؛ وأغرق في دعائه ووصفه ، وأحسن معاوية إلى البطريق ، وخلع عليه وبره ، وحمل معه البساط ، وأضاف إلى ذلك أمورا كثيرة وهدايا إلى الملك ، وقال له : ارجع إلى ملكك ، وقل له : تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ، ويقتصر لرعيته في دار مملكته وسلطانك ، وقال للصوري : سر معه حتى تأتى الخليج فتطرّحه فيه ومن كان أسرمعه ممن بادر فصعد المركب من غلمان البطريق وخاصته ، فحملوا إلى صور مكرمين ، وحملوا في المركب ، فطابت لهم الرياح فكانوا في اليوم الحادى عشر متعلقين ببلاد الروم ، وقرّبوا من فم الخليج ، وإذا به قد أحكم بالسلاسل والمنعة من الموكلين به ، فطرح البطريق ومن معه ، وانصرف الصوري راجعا ، وحمل البطريق من ساعته إلى الملك ومعه الهدايا والأمتعة ، فتبشرت الروم بقدومه ، وتلقوه مهنين له من الأسر ، فكافأ الملك معاوية على ما كان من فعله بالبطريق والهدايا ، فلم يكن يستضام أسير من

المسلمين في أيامه ، وقال الملك : هذا أمكر الملوك وأدهى العرب ، ولهذا قدمته العرب عليها ، فساس أمرها ، والله لو همَّ بأخذى لتمت له الحيلة على

وقد أتينا على خبر معاوية فيما سلف من هذا الكتاب ، وأتينا على مبسوطه وأخبار الوافدين والوافدات عليه من الأمصار فيما سلف من كتبنا ، وإن كنا قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب من أخبار معاوية جملا ، ولملوك الروم وبطارقتها - ممن سلف وخلف إلى هذا الوقت - أخبار حسان مع ملوك بني أمية والخلفاء من بني العباس في المغازي والسرايا وغيرها ، وكذلك لأهل الثغور الشامية والحرورية إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - قد أتينا على مبسوطها فيما سلف من كتبنا ، وقدمنا في هذا الكتاب جملا من أخبارهم ومقادير أعمارهم وأيامهم ، ولما من سيرهم ، وكذلك أخبرنا عن ملوك الأمم وسيرهم

قال المسعودي : وكان المعتمد مشغوا بالطرب ، والغالب عليه المعاقرة ومحبة شغف المعتمد بالطرب أنواع اللهو والملاهي ، وذكر عبد الله بن خرداذبه أنه دخل عليه ذات يوم ، وفي المجلس عدة من ندمائه من ذوى العقول والمعرفة والحجى ، فقال له أخبرنى عن أول من اتخذ العود ، قال ابن خرداذبه : قد قيل فى ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة : أول من اتخذ اللهو ملك بن متوشلخ بن محويل بن عاد بن خنوخ بن أول من اتخذ قاد بن آدم ، وذلك أنه كان له ابن يحبه حبا شديدا ، فمات ، فعلقه بشجرة ، فتقطعت أوصاله ، حتى بقى منه فخذه والساق والقدم والأصابع ، فأخذ خشبا فرقته وألصقه ، فجعل صدر العود كالفخذ ، وعنته كالساق ، ورأسه كالقدم ، والملاوى كالأصابع ، والأوتار كالعروق ، ثم ضرب به وناح عليه ، فنطق العود ، قال الحدوني :

وناطق بلسان لا ضمير له كأنه فخذٌ نيطت إلى قدمي

يُبْدِي ضمير سواء في الحديث كما يُبْدِي ضمير سواء منطق القدم

أول من اتخذ
الطبول
والمعازف

وأتخذ موسك بن ملك الطبول والدقوف ، وعملت ضلال بنت ملك المعازف
ثم اتخذ قوم الطنابير ، يستميلون بها الغلمان والأكراد نوعا مما يصفر به ، فكانت
أغنامهم إذا تفرقت صفروا فاجتمعت ، ثم اتخذ الفرس الناي للعود ، والثاني
للطبول ، والسرياني للطليل ، والسنج والصنج ، وكان غناء الفرس بالعيدان
والصنوج ، وهى لهم ، ولهم النغم والايقاعات والمقاطع والطرق الملوكية ، وهى
سبع طرق : فأولها سكاف ، وهو أكثرها استعمالا لتفعل الأنهار ، وهو أفصحها
مقاطع ، وأمرسه ، وهو أجمعها لحاسن النغم وأكثرها تصعدا وانحدارا ، وما دار
وسنان ، وهو أثقلها ، وسابكاد ، وهو المحبوب للأرواح ، وسسم ، وهو المجلس
المنقل ، وحوبران ، وهو الدرج الموقوف على نغمة ، وكان غناء أهل خراسان
وما والاها بالزنج ، وعليها سبعة أوتار ، وإيقاعه يشبه إيقاع الصنج ، وكان غناء
أهل الرى وطبرستان والديلم بالطنابير ، وكانت الفرس تقدم الطنبور على كثير
من الملاحى ، وكان غناء النبط والجرامقة بالعيروارات ، وإيقاعها يشبه إيقاع الطنابير
وقال قندروس الرومى : جعلت الأوتار أربعة بازاء الطبائع ، فجعلت الزير
بازاء المرة الصفراء ، والمثنى بازاء الدم ، والمثلث بازاء البلغم ، واليم بازاء المرة
السوداء .

آلات الطرب
التي للروم

وللروم من الملاحى الأوعر ، وعليه ستة عشر وترا ، وله صوت بعيد المذهب
وهو من صنعة اليونانيين والسلبان ، وله أربعة وعشرون وترا ، وتفسيره الغصون ،
ولهم اللوزا ، وهى الرباب ، وهى من خشب ؛ ولها خمسة أوتار ، ولهم القشاوة ،
ولها اثنا عشر وترا ، ولهم الصليح ، وهو من جلود العجاجيل ، وكل هذه معازف
مختلفة الصفة ، ولهم الأرغين ، وهو منافخ من الجلود والحديد

آلات الطرب
التي للهند

وللهند الكيكلية ، وهو وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام العود والصنج
قال : وكان الحداء فى العرب قبل الغناء ، وقد كان مضر بن نزار بن معد
سقط عن بعير فى بعض أسفاره فانكسرت يده ، فجعل يقول : يايداه ، يايداه ، وكان

من أحسن الناس صوتا ، فاستوسقت الابل ، وطاب لها السير ، فاتخذها العرب
حداء برجز الشعر ، وجعلوا كلامه أول الحداء ، فمن قول الحادى :

ياهاديا ياهاديا ويايداه ويايداه

فكان الحداء أول السماع والترجيع فى العرب ، ثم اشتق الغناء من الحداء ، الحداء عند
العرب وسببه وتحن نساء العرب على موتاهما ، ولم تكن أمة من الأمم بعد فارس والروم أولع
بالملاهى والطرب من العرب ، وكان غناؤهم النصب ثلاثة أجناس : الركبانى ،
والسناد الثقيل ، والمزج الخفيف

وكان أول من غنى من العرب الجرادتان ، وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية
ابن بكر العلقمى ، وكانت العرب تسمى القينة الكريئة ، والعود المزهر ، وكان
غناء أهل اليمن بالمعارف وإيقاعها جنسان : حنفى ، وحميرى ، والحنفى أحسنهما
ولم تكن قريش تعرف من الغناء إلا النصب ، حتى قدم النضر بن الحرث بن
كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى من العراق وافدا على
كسرى بالحيرة ، فتعلم ضرب العود والغناء عليه ، فقدم مكة فعلم أهلها فاتخذوا
القينات .

والغناء يرق الذهن ، ويلين العريكة ، ويهيج النفس ويسرها ، ويشجع
القلب ، ويسخى البخيل ، وهو مع النبىذ يعاونان على الحزن الهادم للبدن ،
ويحدثان له نشاطا ، ويفرجان الكرب ؛ والغناء على الانفراد يفعل ذلك ، وفضل
الغناء على المنطق كفضل المنطق على الخرس ، والبرء على السقم ، وقد قال
الشاعر :

لا تبعثن على همومك إذ ثوت غير المدام ونفمة الأوتار

فله در حكيم استنبطه ، وفيلسوف استخرجه ، أى غامض أظهر ؟ وأى
مكنون كشف ؟ وعلى أى فن دل ؟ وإلى أى علم وفضيلة سبق ؟ فذلك نسيج
وحده ، وقريع دهره

وقد كانت الملوك تنام على الغناء ليسرى في عروقه السرور ، وكانت ملوك
الأعاجم لا تنام إلا على غناء مطرب ، أو سمر لذيد ، والعربية لا تُنوم ولدها
وهو يبكى خوف أن يسرى الهم في جسده ، ويدب في عروقه ، ولكنها تنازعه
وتضاحكه حتى ينام ، وهو فَرِحَ مسرور ، فينمو جسده ، ويصفو لونه ودمه ،
ويشف عقله ، والطفل يرتاح إلى الغناء ويستبدل ببيكائه ضحكا

وقد قال يحيى بن خالد بن برمك : الغناء ما أطربك فأرقصك ، وأبكاك
فأشجأك ، وما سوى ذلك فبلاء وهم

قال المعتمد : قد قلت فأحسن ، ووصفت فأطنبت ، وأقمت في هذا اليوم
سوقا للغناء وعلم أنواع الملاحى ، وإن كان كلامك مثل الثوب الموشى يجتمع
فيه الأحمر والأصفر والأخضر وسائر الألوان ، فما صفة المغنى الحاذق

قال ابن خرداذبه : المغنى الحاذق يا أمير المؤمنين من تمكن من أنفاسه ،
ولطف في اختلاسه ، وتفرغ في أجناسه

صفة المغنى

أنواع الطرب قال المعتمد : فعلى كم تنقسم أنواع الطرب ؟

قال : على ثلاثة أوجه يا أمير المؤمنين ، وهى طرب محرك ، مستخف
لأريحية ، ينعش النفس ودواعى الشيم عند السماع ، وطرب شجن وحزن ،
لا سيما إذا كان الشعر فى وصف أيام الشباب والشوق إلى الأوطان والمراثى لمن
عدم الصبر من الأحباب ، وطرب يكون فى صفاء النفس ولطافة الحس ، ولا سيما
عند سماع جودة التأليف وإحكام الصنعة ، إذ كان من لا يعرفه ولا يفهمه
لا يسره ، بل تراه متشاغلا عنه ، فذلك كالحجر الجلمد والجماد الصلب ، سواء
وجوده وعدمه ، وقد قال يا أمير المؤمنين بعض الفلاسفة المتقدمين وكثير من
حجباء اليونانيين : من عرضت له آفة فى حاسة الشم كره رائحة الطيب ، ومن
غلظ حسه كره سماع الغناء وتشاغل عنه وعابه وذمه

أنواع
الغناء
وفنونه

قال المعتمد : فما منزلة الايقاع وأنواع الطرق وفنون الغناء ؟

قال : قد قال في ذلك يا أمير المؤمنين من تقدم : إن منزلة الايقاع من الغناء بمنزلة العروض من الشعر ، وقد أوضحوا الايقاع ، ورسموه بسمات ، ولقبوه بألقاب ، وهو أربعة أجناس : ثقيل الأول ، وخفيفه ، وثقيل الثاني ، وخفيفه ، والرمل الأول ، وخفيفه ، والهرج ، وخفيفه ، والايقاع هو الوزن ، ومعنى أوقع وزن ، ولم يوقع خرج من الوزن ، والخروج إبطاء عن الوزن أو سرعة ؛ فالثقل الأول نقره ثلاثة ثلاثة اثنتان ثقيلتان بطيئتان ثم نقرة واحدة ، وخفيف ثقيل الثاني نقره اثنتان متواليتان وواحدة بطيئة واثنتان مردودتان ، وخفيف الرمل نقره اثنتان اثنتان مزدوجتان وبين كل زوج وقفة ، والهرج نقره واحدة واحدة مستويتان ممسكة ، وخفيف الهرج نقره واحدة واحدة متساويتان في نسق واحد أخف قدرا من الهرج ، والطرائق ثمان : الثقيلان الأول والثاني ، وخفيفهما ، وخفيف الثقيل منهما يسمى بالمخوري ، وإنما سمي بذلك لأن إبراهيم بن ميمون المولى - وكان من أبناء فارس وسكن الموصل - كان كثير الغناء في هذه المواخير بهذه الطريقة ، والرمل وخفيفه ، ويتفرع من كل واحد من هذه الطرائق مرموم ومطلق ، وتختلف مواقع الاصطلاح فيها فيحدث لها ألقابا تميزها كالحصور والخبول والجنثوث والمخدوع والأرواح ، والعود عند أكثر الأمم وجل الحكماء يوناني صنعه أصحاب أهل الهندسة على هيئة طبائع الانسان ، فان اعتدلت أوتاره على الأقدار الشريفة جانس الطبائع فأطرب ، والطرب رد النفس إلى الحال الطبيعية دفعة ، وكل وتر مثل الذي يليه ومثل ثلثه ، والرسان الذي يلي الأنف موضوع على خط النسع من جملة الوتر ، فهذه يا أمير المؤمنين جوامع في صفة الايقاع ومنتهى حدوده .

ففرح المعتمد في هذا اليوم ، وخلع على ابن خرداذبه وعلى من حضره من

ندمائه ، وفضله عليهم ، وكان يوم لهو وسرور .

فلما كان في صبيحة تلك الليلة دعا المعتمد من حضر في اليوم الأول ، فلما أخذوا مراتبهم من المجلس قال لبعض من حضره من ندمائه : صف لى الرقص وأنواعه ، والصفة المحمودة من الرقاص ، واذكر لى شمائله .

الرقص
وأنواعه
وصفاته

فقال المسؤول : يا أمير المؤمنين ، أهل الأقاليم والبلدان مختلفون فى رقصهم من أهل خراسان وغيرهم ، فجملة الايقاع فى الرقص ثمانية أجناس : الخفيف ، والهزج ، والرمل ، وخفيف الرمل ، وثقيل الثانى ، وخفيفه ، وخفيف الثقيل الأول ، وثقيله والرقاص يحتاج إلى أشياء فى طباعه ، وأشياء فى خلقته ، وأشياء فى عمله ؛ فأما ما يحتاج إليه فى طباعه فحفة الروح ، وحسن الطبع على الايقاع ، وأن يكون طالبه مرحا إلى التدبير فى رقصه والتصرف فيه ؛ وأما ما يحتاج إليه فى خلقته فطول العنق والسوالف ، وحسن الدل والشائل ، والتمايل فى الأعطاف ودقة الخصر ، وحسن أقسام الخلق ، واقع المناطق واستدارة الثياب من أسافلها ، ومخارج النفس والاراحة والصبر على طول الغاية ، ولطافة الأقدام ولين الأصابع ، وإمكان لينها فى ثقلها وفيما يصرف فيه من أنواع الرقص من الإبل ورقص الكرة وغيره ، ولين المفاصل وسرعة الانتقال فى الدوران ، ولين الأعطاف ؛ وأما ما يحتاج إليه فى عمله فكثرة التصرف فى ألوان الرقص ، وإحكام كل جزء من حدوده ، وحسن الاستدارة ، وثبات القدمين على مدارهما ، واستواء ما تعمل يمنى الرجل ويسراها ، حتى يكون فى ذلك واحدا ، ولوضع القدم ورفعها وجهان : أحدهما أن يوافق بذلك الايقاع ، والآخر أن يتشبث به ، فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن ، فليكن ما يوافق الايقاع فهو من الحب والحسن سواء ، وأما ما يتشبث به فأكثر ما يكون هو فيه أمكن وأحسن ، فليكن ما يوافق الايقاع مترافعا ، وما يتشبث به متسافلا .

قال المسعودى : والمعتمد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دونت فى أنواع من الأدب : منها مدح النديم وصفاته وعفافه وأمن عبثه ، والتداعى فى المناديات والمراسلات فى ذلك ، وعدد أنواع الشرب فى الكثرة ، وهيئة السماع وأقسامه وأنواعه ، وأصول الغناء ومباده فى العرب وغيرها من الأمم ، وأخبار الأعلام من مشهورى الغنيين المتقدمين والمحدثين ، وهيئة المجالس ، ومنازل التابع والمتبوع وكيفية مراتبهم ، وتعبية مجالس الندماء والتحيات ، كما قال العطوى فى ذلك :

حَىَّ التَّحِيَّةُ أَصْحَابَ التَّحِيَّاتِ الْقَائِلِينَ إِذَا لَمْ تَسْمِعِهِمْ : هَاتِ
أَمَّا الْغَدَاةُ فَسُكْرَى فِي نَعِيمِهِمْ وَبِالْعَشِيِّ فَصَرَعْنِي غَيْرَ أَمْوَاتِ
وَبَيْنَ ذَلِكَ قَصْفٌ لَا يَمَادِلُهُ قَصْفُ الْخَلِيفَةِ فِي لَهْوٍ وَلَذَاتِ

وقد آتينا على وصف جميع ذلك فى كتابنا « أخبار الزمان » مما لم يتقدم له ذكر كصنوف الشراب ، والاستعمال لأنواع النقل إذا وضع ذلك فى المناقل والأطباق فنض نصفاً ورصف رصفاً ، والابانة عن المراتب فى ذلك ، ووصف جميل لذات الطبخ مما يحتاج التابع إلى معرفته والأريب إلى قيمته من المتولدات فى معرفة الألوان ومقادير التوابل والأبزار ، وأنواع المحادثات ، وغسل اليدين بحضرة الرئيس ، والمقام عن مجلسه ، وإدارات الكاسات ، وما حكى فى ذلك عن الأسلاف من ملوك الأمم وغيرهم ، وما قيل فى الاكثار والاقلال من الشراب وما ورد فى ذلك من الأخبار ، وطلب الحاجات والاستراحات من أهل الرياسة على المعاقرات ، وهيئة النديم وما يلزمه لنفسه ، وما يلزم الرئيس لنديمه ، والفرق بين التابع والمتبوع ، والنديم والمنادم ، وما قال الناس فى العلة التى من أجلها سمي النديم نديماً ، وكيفية الأدب فى لعب الشطرنج ، والفرق بينها وبين الرد ، وما ورد فى ذلك من الأخبار ، وانتظمت فيه من الدلائل والآثار ، وما ورد عن العرب فى أسماء الخمر ، وورود التحريم فيها ، وتنازع الناس فى رد غيرها من أنواع الأنبذة عليها قياساً ، ووصف أنواع آنيتها ، ومن كان يشربها فى الجاهلية

ومن حرمها ، ووصف السكر ، وما قال الناس في ذلك ، وكيفية وقوعه : أمن الله أم من خلقه ، وغير ذلك مما لحق بهذا الباب ، واتصل بهذه المعاني ، وإنما نذكر هذه اللمع منبهين بها على ما قدمنا فيما سلف من كتبنا .

وكان أبو العباس المعتضد محبوسا ، فلما خرج أبوه الموفق خلفه بدار الوزير إسماعيل بن بلبل ، وكان مضيقا عليه ، إلى أن وافى الموفق من أذر بيجان عليلا مدنفا مورما في بيت من الخشب قد اتخذ له مبطنا بالخز والحري وفي أسفله حلق قد جعل فيها الدهن فتحملة الرجال على أكتافها نواب ، وكان وصوله إلى بغداد يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ، فأقام بمدينة السلام أياما ، فاشتدت علته ، وأرجفت بموته ، وانصرف إسماعيل بن بلبل وقد يئس منه ، فوجه إسماعيل بن بلبل إلى كفهمن ، وقيل : إلى بكتمن — وكان موكلا بالمعتضد بالمدائن على أقل يوم من مدينة السلام — أن ينصرف بالمعتضد والمنفوض إلى الله إلى بغداد ، فدخل المعتضد إليها في يومه ، واتصل بإسماعيل صلاح الموفق فأنحدر ومعه المعتضد والمنفوض في طيارة إلى ولده ، وقد كان يأنس الخادم ومؤنس الخادم وصاف الحرمين وغيرهم من خدم الموفق وغلمانهم أخرجوا أبا العباس من الموضع الذي كان فيه محبوسا وساروا به إلى الموفق ، ولما حضر إسماعيل بن بلبل الموفق والمعتضد معه ، وكثر اضطراب القواد والموالي ، وأسرت العامة وسائر الخدم في النهب فاتهموا دار إسماعيل بن بلبل ولم تبق دار جليل ولا كاتب نبيل إلا نهبوا ، وفتحت الجسور وأبواب السجون ، ولم يبق أحد في المطبق ولا في الحديد إلا أخرج ، وكان أمرا فاضلا غليظا ، وخلع على أبي العباس وعلى إسماعيل بن بلبل ، وانصرف كل واحد منهما إلى منزله ؛ فلم يجد إسماعيل في داره ما يقعد عليه ، حتى وجه إليه الشاه ابن ميكال ما قعد عليه ، وقام بأمر طعامه وشرابه ، وقد كان إسماعيل أسرع في بيعوت الأموال ، وأسرف في النفقات والجوائز والخلع ، وأمد العرب وأجزل لهم الأتزال والأرزاق ، واصطنع بني شيان من العرب وغيرهم

من ربيعة ، وكان يزعم أنه رجل من بني شيبان ، وطالب بخراج سنة مبهمه ،
فثقل على الرعية ، وكثر الداعى عليه ، ومكث الموفق بعد ذلك ثلاثة أيام ، ثم
توفي يوم الخميس لثلاث بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ، ومات وله
تسع وأربعون سنة ، وأمه أم ولد رومية يقال لها إسحق ، وكان اسم الموفق
طلحة ، وفيه يقول الشاعر :

لما استَظَلَّ بظل الملك واجتمعت له الأمور فَمُنْقَادٌ ومقسور
حُطَّتْ عليه لمقدارٍ منيته كذاك تصنع بالناس المقادير

فلم مات الموفق قام المعتضد بأمور الناس في التدبير مكان أبيه الناصر ، وهو
الموفق ، وخلع جعفر المفوض من ولاية العهد ، وقام إسماعيل بن بلبل في الوزارة
بعد شغب كثير كان في مدينة السلام ، وكان لأبي عبد الله بن أبي الساج ولخادمه
وصيف خطب جليل ، وقيد إسماعيل بن بلبل ، ووجه أبو العباس إلى أبي عبد الله
ابن سليمان بن وهب فأحضره وخلع عليه ورد إليه أمر كتابته ، وذلك في يوم
الثلاثاء لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ، ولم يزل إسماعيل بن
بلبل يعذب بأنواع العذاب ، وجعل في عنقه غلافه رمانة حديد ، والغل والرمانة
مائة وعشرون رطلا ، وألبس جبة صوف قد صيرت في ودك الأكارع ، وعلق
معه رأس ميت ، فلم يزل على ذلك حتى مات في جمادى الأول سنة ثمان وسبعين
ومائتين ، ودفن بغله وقبوره ، وأمر المعتضد بضرب جميع الآنية التي كانت في
خزائنه فضربت وفرقت في الجند

قال المسعودي : وقد كان المعتضد قعد للغداء واصطبج يوم الاثنين لاحدى
عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين ، فلما كان عند العصر قدم
الطعام فقال ياموشكيره ، للموكل به : ما فعلت الرؤوس بأرقابها ؟ وقد كان قدم من
الليل أن يقدم له رأسا جملين ، وقد فصل فيهما أرقابهما ، فقدمتا ، وكان معه على
المائدة رجل من ندمائه يعرف بقف الملقم ، ورجل آخر يعرف بخلف المضحك ،

وفاة الموفق

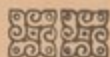
المعتضد

فأول من ضرب بيده إلى الرؤوس الملقم ، فانتزع أذن واحد منهما ، وأما المضحك فانه يقتلع اللهازم والأعين ، فأكلوا وأكل المعتمد ، وآثموا يومهم ، فأما الملقم صاحب اللقمة الأولى فانه تهرى في الليل ، وأما المضحك فانه مات قبل الصباح ، وأما المعتمد فأصبح ميتا قد لحق بالقوم

كيف قتل
المعتمد

ودخل إسماعيل بن حماد القاضي إلى المعتضد وعليه السواد ، فسلم عليه بالخلافة ، وكان أول من سلم عليه بها ، وحضر الشهود منهم أبو عوف والحسين بن سالم وغيرهم من العدول حتى أشرفوا على المعتمد ومعهم بدر غلام المعتضد يقول : هل ترون به من بأس أو أثر ؟ مات فجأة ، وقتلته مداومته لشرب النبيذ ، فنظروا إليه فاذا ليس به من أثر فغسل وكفن وحمل في تابوت قد أعدله إلى سامرا فدفن بها

وذكروا - والله أعلم - أن سبب وفاته أنه سقى نوعا من السم في شربهم الذي كانوا يشربونه ، وهو نوع يقال له البيش يحمل من بلاد الهند وجبال الترك والتبت وربما وجدوه في سنبل الطيب ، وهو ألوان ثلاثة وفيه خواص عجيبة والمعتمد أخبار حسان وما كان في أيامه من الكوائن والحوادث مما كان من حروب الصفار ، وما كان بديار بكر من بلاء وأسر وغيرهما من أحمد بن عيسى ابن الشيخ ، وما كان باليمن ، قد أتينا على مبسوطها وجميع ذلك كله والغرر منه وما حدث في كل سنة من أيامه من الحوادث في كتابينا «أخبار الزمان» والأوسط فأغني ذلك عن إعادته في هذا الكتاب



ذكر خلافة المعتضد بالله

وبويع أبو العباس أحمد بن طلحة المعتضد بالله في اليوم الذي مات فيه مجمل تاريخه المعتمد على الله عمه ، وهو يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين ، وأمه أم ولد رومية يقال لها مرار ، وكانت وفاته يوم الأحد لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ويومين ، وتوفي بمدينة السلام وله سبع وأربعون سنة ، وقيل : إنه ولي الخلافة وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وتوفي سنة تسع وثمانين على ما ذكرنا ، وله أربعون سنة وأشهر ، على تباين أصحاب التواريخ في كتبهم وما أرخوه في أيامهم والله الموفق

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولم يملك في أيامه

ولما أفضت الخلافة إلى المعتضد بالله سكنت الفتن ، وصلحت البلدان ، وحال المملكة وارتفعت الحروب ، ورخصت الأسعار ، وهذا المخرج ، وسالمة كل مخالف ، وكان مظفرا قد دانت له الأمور ، وانفتح له الشرق والغرب ، وأدبل له في أكثر الخالفين عليه والمنابذين له ، وظفر بهارون الشاري ، وكان صاحب المملكة والقيم بأمر الخلافة بدر مولاه ، وإليه جميع المعارف في جميع الآفاق ، وإليه أحمل الجيوش وسائر القواد

وخلف المعتضد في بيوت الأموال تسعة آلاف ألف دينار ، ومن الورق أربعون ألف ألف درهم ، والدواب والبغال والخير والجمال اثني عشر ألف رأس وكان مع ذلك شحيحا بخيلا ينظر فيما لا ينظر فيه العوام

بعض خصاله وحكى عبد الله بن حمدون - وكان نديمه وخاصته ، ومن كان يأنس به في خلواته - أنه أمر أن تنقص حشمه ومن كان يجرى عليه من الأتراك من كل رغيف أوقية ، وأن يبدأ بأمر خبزه لأن للوصائف عددا من الرغفان فيها ثلاث وأربع كذا أو أكثر من ذلك ، قال ابن حمدون : فتعجبت من ذلك في أول أمره ، ثم تبينت القصة فإذا أنه يتوفر من ذلك في كل شهر مال عظيم ، وتقدم إلى خزانة أن يختار له من الثياب التستيرية والديقية أحسنها لتقطيعها لنفسه وكان مع ذلك قليل الرحمة ، كثير الأقدام ، سفاكا للدماء ، شديد الرغبة في أن يمثل بمن يقتله

وكان إذا غضب على القائد النبيل والذي يختصه من غلمانه أمر أن تحفر له حفيرة ثم يدلى على رأسه فيها ، ويطرح التراب عليه ، ونصفه الأسفل ظاهر على التراب ، ويداس التراب ، فلا يزال كذلك حتى تخرج روحه من دبره وذكر من عذابه أنه كان يأخذ الرجل فيكتف ويقيد ، فيؤخذ القطن فيحشى في أذنه وخيشومه وفمه ، وتوضع المناfox في دبره حتى ينفخ ويعظم جسمه ثم يسد الدبر بشيء من القطن ، ثم يفصد ، وقد صار كالجمل العظيم ، من العرقين اللذين فوق الحاجبين ، فتخرج النفس من ذلك الموضع ، وربما كان يقتل الرجل في أعلى القصر مجردا موثقا ويرمى بالنشاب حتي يموت

وأتخذ المطامير وجعل فيها صنوف العذاب ، وجعل عليها الحرمى المتولى لعذاب الناس ، ولم يكن له رغبة إلا في النساء والبناء ، فانه أنفق على قصره المعروف بالثرى أربعمائة ألف دينار ، وكان طول قصره المعروف بالثرى ثلاثة فراسخ

وأقر عبيد الله بن سليمان على وزارته فلما مات استوزر القاسم بن عبيد الله وقد كان المعتضد في هذه السنة - وهى سنة تسع وسبعين ومائتين - ركب يوم الفطر وهو يوم الاثنين إلى مصلى اتخذه بالقرب من داره ، وكبر في الركعة

الاولى ست تكبيرات ، وفى الآخرة تكبيرة واحدة ، ثم صعد المنبر فحصر ولم تسمع له خطبة ، ففى ذلك يقول بعض الشعراء :

حصر الإمام ولم يبين خطبة للناس فى حل ولا إحرام
ما ذاك إلا من حياء لم يكن ما كان من عى ولا إفحام

وفى هذه السنة قدم الحسن بن عبد الله المعروف بابن الجصاص رسول مصر لخارويه بن أحمد ومعه هدايا كثيرة وأموال جلييلة ، فوصل إلى المعتضد يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال ، وخلع عليه وعلى سبعة نفر معه ، ثم سعى فى تزويج ابنة خارويه من على المكتفى ، فقال المعتضد : إنما أراد أن يتشرف بنا وأنا أزيد فى تشريفه ، أنا أتزوجها ، فتزوجها ، وتولى ابن الجصاص أمرها وحمل جهازها ، فيقال : إنه حمل معها جوهرًا لم يجتمع مثله عند خليفة قط ، فاقتطع ابن الجصاص بعضه ، وأعلم قطر الندى بنت خارويه أن ما أخذ مودع لها عنده إلى وقت حاجتها إليه ، فماتت والجوهر عنده ، فكان ذلك سبب غناه واستقلاله ، وقد كانت لابن الجصاص محن بعد ذلك فى أيام المقتدر ، وما كان من القبض عليه وما أخذ منه من الأموال بهذا السبب وغيره ، وحمل المعتضد صداق قطر الندى وهو بمدينة بلد إلى أبى الجيش ، وكان الصداق ألف ألف درهم وغير ذلك من المتاع والطيب ولطائف الصين والهند والعراق ، وكان مما خص به أبى الجيش فى نفسه وحبائه بدرة من الجوهر المثلث فيها دور ياقوت وأنواع من الجوهر ووشاح وتاج وإكليل ، وقيل : قلنسوة ، وكردف ، وكان وصولهم إلى مصر فى رجب سنة ثمانين ومائتين ، وانحدر المعتضد من مدينة بلد والموصل بعد أن حمل ما وصفنا إلى مدينة السلام فى الماء

وحدث أبو سعيد أحمد بن الحسين بن منقذ قال : دخلت يوما على الحسين بن الجصاص وإذا بين يديه سفظ خيار مبطن بالحرير فيه جوهر قد نظم منه

سبح ، فرأيت شيئا حسنا ، ووقع في نفسي أن عددها يجاوز العشرين ، فقلت له : جعلني الله فداك كم عدد كل سبعة ؟ فقال لي : مائة حبة ، وزن كل حبة كوزن صاحبها لا تزيد ولا تنقص ، قد عدلت كل سبعة وزن صاحبها ، وإذا بين يديه سبائك ذهب توزن بقبان كما يوزن الحطب ، فلما خرجت من عنده تلقاني أبو العيناء فقال لي : يا أبا سعيد ، على أي حال تركت هذا الرجل ؟ فوصفت له ما رأيت ، فقال رافعا رأسه إلى السماء : اللهم إنك لم تساو بيني وبينه في العمى ، ثم اندفع يبكي ، فقلت : يا أبا عبد الله ، ما شأنك ؟ فقال : لا تنسك ما رأيت مني ، لو رأيت ما رأيت لسعفت ، ثم قال : الحمد لله على هذه الحالة ، وقال : يا أبا سعيد ، ما حدث الله تعالى على العمى إلا في وقى هذا ، فقلت لمن يخبر حال ابن الجصاص : بأي شيء ختم هذه السبح ؟ فقال : بياقوتة حمراء لعل قيمتها أكثر مما تحتها

أبو العيناء
الشاعر

وكانت وفاة أبي العيناء سنة اثنتين وثمانين ومائتين بالبصرة في جمادى الآخرة ، وكان يكنى بأبي عبيد الله ، وكان قد انحدر من مدينة السلام إلى البصرة في زورق فيه ثمانون نفسا في هذه السنة فغرق الزورق ، ولم يتخلص مما كان فيه إلا أبو العيناء ، وكان ضريرا تعلق بطلال الزورق فأخرج حيا ، وتلف كل من كان معه ، فبعد أن سلم ودخل البصرة مات

وكان لأبي العيناء من اللسان وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن عليه أحد من نظرائه ، وله أخبار حسان وأشعار ملاح مع أبي البصير وغيره ، وأتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا

وحضر مجلس بعض الوزراء فتعارضوا حديث بعض البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود ، فقال الوزير لأبي العيناء وقد كان أمعن في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والإفضال : قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم ، وإنما

هذا من تصنيف الوراقين وتأليف المحسنين ، فقال له أبو العيناء : فلم لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير بالبذل والجود ؟ فأمسك عنه الوزير ، وتعجب الناس من إقدامه عليه

واستأذن يوما على الوزير صاعد بن مخلد ، فقال له الحاجب : الوزير مشغول فانتظر ، فلما أبطلأ إذنه قال للحاجب : ما صنع الوزير ؟ قال : يصلى ، قال : صدقت لكل جديد لذة ، يعيره بأنه حديث عهد بالاسلام

وقد كان أبو العيناء دخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى ، وذلك فى سنة ست وأربعين ومائتين ، فقال له : كيف قولك فى دارنا هذه ؟ فقال : إن الناس بنوا الدور فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك ، فاستحسن ذلك ثم قال له : كيف شربك النبيذ ؟ فقال : أعجز عن قليله ، وأفتضح من كثيره ، فقال له : دع هذا عنك ونادمننا ، فقال : أنا امرؤ محجوب والمحجوب تتخطف إشارته ، ويحور قصده ، وينظر منه إلى ما لا ينظر إليه ، وكل من فى مجلسك يخذمك ، وأنا أحب أن أخدم ، وأخرى لست آمن أن تنظر إلى بعين راض وقلبك غضبان أو بقلب غضبان وعينك راضية ، ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فأختار العافية على التعرض للبلاء وأحفظ ، فقال : بلغنا عنك بذاء ، قال : يا أمير المؤمنين قد مدح الله تعالى وذم فقال (نعم العبد إنه أواب) وقال جل ذكره (هازم شاء بنميم - الآية) فان لم يكن البذاء بمنزلة العقرب يلدغ النبى والذمى فلا ضير فى ذلك قال الشاعر : -

إذا أنا بالمعروف لم أك صادقا ولم أشتم الذكس اللثيم المذمما
فقيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفا
قال : من أين أنت ؟ قال : من البصرة ، قال : ما تقول فيها ؟ قال : ماؤها
أجاج ، وحرها عذاب ، وتطيب فى الوقت الذى تطيب فيه جهنم
وكان وزيره عبد الله بن يحيى بن خاقان واقفا على رأسه ، قال : ما تقول

في عبد الله بن يحيى بن خاقان ؟ قال : نعم العبد ، منقسم بين طاعة الله تعالى
وخدمتك

ودخل ميمون بن إبراهيم صاحب ديوان البريد ، فقال له : ما تقول في
ميمون ؟ قال : يد تسرق ، واست تضط ، وهو بمنزلة يهودى قد سرق نصف
خزينة ، له إقدام ومعه إحكام ، إحسانه تكلف ، وإساءته طبيعة ، فأضحك
ذلك منه ، ووصله وصرفه

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين وردت هدايا من قبل عمرو بن الليث الصفار مائة
دابة من مهارى خراسان وحمارات كثيرة وصناديق كثيرة وأربعة آلاف ألف
درهم ، وكان معها صنم من صفر على مثال امرأة لها أربعة أيد وعليها وشاحان
من فضة مرصعان بالجوهر الأحمر والأبيض ، وبين يدي هذا المثال أصنام صفار
لها أيد ووجوه وعليها الحلى والجوهر ، وكان هذا التمثال على عجل قد عمل على
مقدارها تجره الحمارات ، فصير بذلك أجمع إلى دار المعتضد ، ثم رد هذا التمثال إلى
مجلس الشرطة في الجانب الشرقي ، فنصب للناس ثلاثة أيام ، ثم رد إلى دار
المعتضد ، وذلك يوم الخميس لأربع خلون من شهر ربيع الآخر من هذه السنة ،
فسمت العامة هذا التمثال شغلا لاشتغالهم عن أعمالهم بالنظر إليه عدة هذه الأيام
وقد كان عمرو بن الليث قد حمل هذا الصنم من مدن افتتحها من بلاد
الهند ومن جبالها مما يلي بلاد بسط ومعبر وبلاد الدوار ، وهى تغور في هذا
الوقت - وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - مما يليها من الأكابر والأمم المختلفة
حضر وبدو ، فمن الحضر بلاد كابل وبلاد ماخان ، وهى بلاد متصلة ببلاد
زابلستان والرخج ، وقد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار الأمم للماضية
والملوك الغابرة أن زابلستان تعرف ببلاد فيروز بن ككنك ملك زابلستان

وقد كان عيسى بن على بن ماهان دخل في طلب الخوارج في أيام الرشيد
إلى السند وجبالها والقندهار والرخج وزابلستان يقتل ويفتح فتوحا لم يتقدم مثلها

في تلك الديار ، ففي ذلك يقول الأعمى الشاعر المعروف بابن القذافي القمي
 كاد عيسى يكون ذا القرنين بلغ المغربين والمشرقين
 لم يدع كابلا ولا زابستا ف فها حولها إلى الرخجين
 وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا الأخبار عن قلاع فيروز بن كنك الملك
 ببلاد زابستان التي ليس في قلاع العالم على ما ظهر للناس من ذوى العناية والتنقيير
 ومن أكثر في الأرض المسير أحصن منها ، ولا أمنع ولا أعلى في الجو ، ولا أكثر
 عجائب منها ، وذاكرنا عجائب تلك الديار إلى بلاد الطسيس وبلاد خراسان واتصالها
 بسجستان ، وعجائب المشرقين والمغربين من عامر وغامر ، وما في العامر من الأمم
 المختلفة الخلق والخلق

وقد كان أهل البصرة وردوا على المعتضد في مراكز بحرية بيض مشحمة أهل البصرة
 بالشحم والنورة على ما في بحرهم ، ووفد فيها خلق من خطبائهم ومتكلميهم وأهل
 الرياسة والشرف والعلم : منهم أبو خليفة الفضل بن الحباب الجعفي ، وكان مولى
 آل جمح من قریش ، وكان ولي القضاء بعد ذلك ، يشكون إلى المعتضد ما نزل
 بهم من محن الزمان ، وجذب لحقهم ، وجور من المال اعتورهم ، وألحوا بالصياح
 والضجيج في مراكزهم في دجلة ، فجلس لهم المعتضد من وراء حجاب ، وأمر
 الوزير القاسم بن عبيد الله وغيره من كتاب الدواوين بالجلوس لهم من حيث
 يسمع المعتضد خطابهم ، فيقضون لهم بما يشكونه من حكم الدواوين ، ثم أذن
 للبصريين فدخلوا ، وأبو خليفة في أولهم ، عليهم الطيالة الزرق والاقناع على
 رؤوسهم ذوو عوارض جميلة وهيئة حسنة ، فاستحسن المعتضد ما رأى منهم ،
 وكان المبتدئ منهم بالنطق أبو خليفة ، فقال : غمر العامر ، ودثر الظاهر ،
 واختلفت العواء ، وخسفت الجوزاء ، وأناخت علينا المصائب ، واعتورتنا المحن ،
 وقام كل رجل منا في ظلمة ، واصطلت الضياع ، وانخفضت القلاع ، فانظر إلينا
 بعين الامام ، تستقيم لك الأيام ، وتنقاد لك الانام ، وإلا فنحن البصريون لا ندفع

عن فضيلة ، ولا تنافس عن جليلة ، وسجع في كلامه وأغرق في خطابه ، فقال له الوزير : أحسبك مؤدبا أيها الشيخ ، فقال له : أيها الوزير ، المؤدبون أجلسوك هذا المجلس ، قال له الوزير : كم في خمس من الابل ؟ قال له أبو خليفة : الخير سألت ، في خمس من الابل شاة ، وفي العشر شاتان ، ثم مضى في وصف فرائض الابل واصفا لما يجب فيها ذا كرا للتنازع في موضعه منها ، ثم شرع في البقر والغنم ، بلسان فصيح وخطاب حسن في إيجاز من خطاب وبيان من الوصف ، فبعث المعتضد - وقد أعجبه ما سمع ، وأكثر لذلك من الضحك - بخادم إلى الوزير فقال له : اكتب لهم عما يريدون وأجبهم إلى ما سألوه ، ولا تصرفهم إلا ساكرين ، فهذا شيطان قذف به البحر ، ومثله فليقذف على الملوك وكان أبو خليفة لا يتكلف الاعراب ، بل قد صار له كالطبع ، لدوام استعماله

أبو خليفة

الفضل بن

الحباب الجمحي

إياه من عنفوان حدائته ، وكان ذا محل من الاسناد

وله أخبار ونوادر حسان قد دونت : منها أن بعض عمال الخراج بالبصرة كان مصروفا من عمله ، وأبو خليفة مصروفا عن قضائه ، فبعث العامل إلى أبي خليفة أن مبرمّان النحوى صاحب أبي العباس المبرد قد زارني في هذا اليوم إلى بعض الأنهار والبساتين ، فأتوه متنكرين مع من حضرنا من أصحابنا ، وسألوه الحضور معهم ، فجلسوا في سمارية متفكهين قد غيروا ظواهر زيهم حتى أتوا نهرا من أنهار البصرة وقدم إليهم ما حملوا معهم من الطعام ، وكان أيام المبادى ، وهى الأيام التى يشمر فيها التمر والرطب فيكبسونه في القواصر تمرا ، وتكون حينئذ البساتين مشحونة بالرجال ممن يعمل في التمر من الأكرّة ، وهم الزراع وغيرهم ، فلما أكلوا قال بعضهم لأبي خليفة غير ممكن له خوفا أن يعرفه من حضر ممن ذكرنا من الأكرّة والعمال في النخل : أخبرني أطلال الله بقاءك عن قول الله عز وجل (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) هذه الواو ما موقعها من الاعراب ، قال أبو خليفة : موقعها رفع ، وقوله « قوا » هو أمر للجماعة من الرجال ، قال له :

كيف تقول للواحد من الرجال وللأثنين؟ قال: يقال للواحد من الرجال: ق، وللأثنين: قيا، وللجماعة: قوا، قال: كيف تقول للواحدة من النساء وللأثنين منهن وللجماعة منهن؟ قال أبو خليفة: للواحدة: قى، وللأثنين: قيا، وللجماعة: قين، قال: فأسألك أن تعجل بالعجلة كيف يقال للواحد من الرجال والأثنين والجماعة والواحدة من النساء والأثنين منهن والجماعة منهن؟ قال أبو خليفة عجلان: ق قيا قوا قى قيا قين، وكان بالقرب منهم جماعة من الأكره، فلما سمعوا ذلك استعظموه، وقالوا: يا زنادقة، أنتم تقرأون القرآن بحرف الدجاج، وغدوا عليهم فصفعهم، فما تخلص أبو خليفة والقوم الذين كانوا معه من أيديهم إلا بعد كد طويل وقد أتينا على نوادر أبي خليفة وأخباره ومحاطبته لبغلته حين ألقته وما تكلم به حين دخول اللص إلى داره وغير ذلك في كتابنا الأوسط وكانت وفاة أبي خليفة بالبصرة في سنة خمس وثلثمائة.

وفي سنة ست وثمانين ومائتين في ربيع الأول نزل المعتضد على آمد، وذلك بعد وفاة أحمد بن عيسى بن الشيخ عبد الرزاق، وقد تحصن بها ولده محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الرزاق، فبث جيوشه حولها وحاصرها، فحدث علقمة ابن عبد الرزاق قال: حدثنا رواحة بن عيسى بن عبد الملك، عن شعلة بن شهاب الشكري، قال: وجّه بن المعتضد إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ لاخذ بالحجة عليه، فلما سرت إليه واتصل الخبر بأمر الشريف أرسلت إلى، فقالت: يا شهاب، كيف خالفت أمير المؤمنين؟ قال: فقلت: خلفته والله ملكا جذلا، وحكما عدلا، أمّاراً بالمعروف، فعلاً للخير، متعززا على أهل الباطل، متذلا للحق، لا تأخذه في الله لومة لأثم، قال: فقالت لي: هو والله أهل لذلك ومستحقه ومستوجبه، وكيف لا يكون ذلك كذلك وهو ظل الله الممدود على بلاده، وخليفته المؤمن على عبادته، أعز به دينه، وأحيا به سنته، وثبت به شريعته، ثم قالت لي: وكيف رأيت صاحبنا؟ تعني ابن أخيها محمد بن أحمد، قال: فقلت

خروج محمد بن
أحمد بن عيسى

رأيت غلاماً حدثاً مُجَبِّباً قد استحوذ عليه السفهاء فاستمد بآرائهم ، وأنصت
لأقوالهم ، فهم يزخرفون له الكلام ، ويوردونه الندم ، فقالت لى : فهل لك أن
ترجع إليه بكتاب فلعنا أن نحل ما عقده السفهاء ؟ قال : قلت : أجل ، فكتبت
إليه كتاباً لطيفاً حسناً أجزلت فيه الموعظة ، وأخلصت فيه النصيحة ، وكتبت
في آخره هذه الأبيات :

اقبل نصيحة أمّ قلبها وجعٌ	عليك خوفاً وإشفاقاً وقلّ سداً
واستعمل الفكر في قولى ؛ فانك إن	فكرت ألقيت في قولى لك الرّشداً
ولا تثق برجال فى قلوبهم	ضغائن تبعت الشنآن والحسداً
مثل النماج خمول فى بيوتهم	حتى إذا أمنوا ألقىهم أسداً
وداؤ ذلك والأدواء ممكنة	وإذ طبيبك قد ألقى إليك يداً
واعط الخليفة ما يرضيه منك ، ولا	تمنعه مالا ولا أهلاً ولا ولداً
واردد أخا يشكر رداً يكون له	رداً من السوء لا تُشمت به أحداً

قال : فأخذت الكتاب ، وسرت به إلى محمد بن أحمد ، فلما نظر فيه رمى به
إلى ، ثم قال : يا أخا يشكر ، ما بآراء النساء تساس الدول ، ولا بقولهن يساس
الملك ، ارجع إلى صاحبك ، فرجعت إلى أمير المؤمنين ، فأخبرته الخبر عن حقه
وصدقه ، فقال : وأين كتاب أم الشريف ؟ قال : فأظهرته ، فلما عرض عليه
أعجبه شعرها وعقلها ؛ ثم قال : والله إنى لأرجو أن أشفعها فى كثير من القوم ،
فلما كان فى فتح آمد ما كان ونزل محمد بن أحمد على الأمان لما عظم القتال وجه
إلى أمير المؤمنين فقال : يا شعله بن شهاب ، هل عندكم علم من أم الشريف ؟ قال :
قلت : لا والله يا أمير المؤمنين ؛ قال : امض مع هذا الخادم فانك تجدها فى جملة
نسائها ، قال : فمضيت ، فلما بصرت بي أسفرت عن وجهها وأنشأت تقول :

رَبِّ الزَّمانِ وَصَرَفُهُ وَعُتُوهُ كَشَفِ القَنَاعا

وأذلَّ بعد العزِّ منَّ الصَّعب والبَطَل الشَّجاعا
ولقد نصحت فما أُطعُ مت، وكم حُرِّمْتُ بأنَّ أظاعا؟
فأبى بنا المقدور إلَّا أنْ نَقَسَمَ أو نباعا
ياليت شعري هل نرى يوما لِفِرْقَتِنَا اجتماعا

قال : ثم بكت وضربت بيدها على الأخرى ، ثم قالت لى : يا شهب ، كأنى والله كنت أرى ما أرى ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، قال : قفلت لها : إن أمير المؤمنين قد وجهنى إليك ، وما ذاك إلا الحسن رأى منه فيك ، قالت : فهل لك أن توصل إليه كتابى هذا بما فيه ؟ قلت : نعم ، فكتبت إليه بهذه الأبيات :

قل للخليفة والامام المرتضى رأس الخلائق من قریش الأبطح
بك أصلح الله البلاد وأهلها بعد الفساد وطالما لم تصلح
وترحزحت بك قبة العز التي لولاك بعد الله لم تنزحزح
وأراك ربك ما تحب فلا ترى مالا يحب فجد بعفوك واصفح
يا بهجة الدنيا وبدر ملوكها هَبْ ظالمى ومفسدى لمصلح

قال : فأخذت الكتاب ، وسرت به إلى أمير المؤمنين ، فلما عرضت عليه الأبيات أعجبت به ، وأمر أن يحمل إليها تخوت من الثياب وجملة من المال ، وإلى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك ، وشفعها في كثير من أهلها ممن عظم جرمه واستحق العقوبة عليه

وكتب المعتضد إلى أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف بمواقعة رافع بن شأن رافع بن هرثمة ، وذلك فى سنة سبع وسبعين ومائتين ، فسار أحمد بن عبد العزيز إلى رافع ، والتقوا بالرى لسبع بقين من ذى القعدة من هذه السنة ، وأقامت الحرب

بينهم أيما ، ثم كانت على رافع بن هرثمة ؛ فولى ، وركب أصحاب ابن أبي دلف
أكتافهم ، واستولوا على عسكرهم ، وكان وصول هذا الخبر إلى بغداد لست
خلون من ذى الحجة من هذه السنة

محمد بن الحسن وفي سنة ثمانين ومائتين أخذ ببغداد رجل يعرف بمحمد بن الحسن بن
ابن سهل يدعو سهل ابن أخى ذى الرياستين الفضل بن سهل ، يلقب بشميلة ، ومعه عبيد الله
الناس إلى البيعة واحد العلويين ، ولمحمد بن الحسن بن سهل هذا تصنيفات فى أخبار المبيضة ، وله
فيؤخذ ويقتل كتاب مؤلف فى أخبار على بن محمد صاحب الزنج على حسب ما ذكرنا من
أمره فيما سلف من هذا الكتاب ، فأقر عليه جماعة من المستأمنة من عسكر
العلوى ، وأصيبت له جرائد فيها أسماء رجال قد أخذ عليهم البيعة لرجل من آل
أبي طالب ، وكانوا قد عزموا على أن يظهروا ببغداد فى يوم بعينه ، ويقتلوا
المعتضد ، فأدخلوا إلى المعتضد فأبى من كان مع محمد بن الحسن أن يقرأوا ، وقالوا :
أما الرجل الطالبي فانا لا نعرفه ، وقد أخذت علينا البيعة له ولم نره ، وهذا كان
الواسطة بيننا وبينه ، يعنون محمد بن الحسن ، فأمر بهم فقتلوا ، واستبقى شميلة
طمعا فى أن يدلّه على الطالبي ، وخلى عبيد الله بن المهتدى لعله يبرأته ، ثم أراد
المعتضد بالله بمحمد بن الحسن بجميع الجهات أن يدلّه على الطالبي الذى أخذه العهد
على الرجال ، فأبى ، وجرى بينه وبين المعتضد خطب طويل ، وكان فى مخاطبته
للمعتضد أن قال : لو شِئْتَنى على النار ما زدتك على ما سمعت منى ، ولم أقر على
من دعوت الناس إلى طاعته وأقررت بامامته ، فاصنع ما أنت له صانع ، فقال له
المعتضد : لسنا نعدبك إلا بما ذكرت ، فذكر أنه جعل فى حديدة طويلة أدخلت
فى دبره وأخرجت من فمه وأمسك بأطرافها على نار عظيمة حتى مات بحضرة
المعتضد وهو يسبه ويقول فيه العظام ، والأشهر أنه جعل بين رماح ثلاثة وشد
أطرافها وكثف وجعل فوق النار من غير أن يماسها وهو فى الحياة يدار عليها

ويشوى كما تشوى الدجاج وغيرها إلى أن تفرقع جسمه وأخرج فصالب بين الجسرين من الجانب الغربى

وفى هذه السنة كان خروج المعتضد فى طلب الأعراب من بنى شيبان ، وكانوا عتّوا وأكثروا الفساد ، وأوقع بهم مما يلى الجزيرة والدواب فى الموضع المعروف بوادى الذئب ، فقتل وأسر وساق الذرارى وسار إلى الموصل

وفى هذه السنة افتتح أبو عبيد الله بن أبى الساج المراغة من بلاد أذربيجان ، ففتح المراغة بأذربيجان فقبض على عبد الله بن الحسن واستبقى أمواله ثم أتى عليه بعد ذلك وفى هذه السنة كانت وفاة أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف

وفى هذه السنة افتتح أحمد بن ثور عمان ، وكان مسيره إليها من بلاد البحرين ، فراقع الشراة من الأباضية ، وكانوا فى نحو من مائى ألف ، وكان أمامهم الصلت بن مالك ببلاد بروا من أرض عمان ، وكانت له عليهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وحمل كثيرا من رؤوسهم إلى بغداد وفىها دخل المعتضد بغداد منصرفا من الجزيرة

وفى هذه السنة كان دخول عمرو بن الليث نيسابور

وفى هذه السنة نقلت ابنة محمد بن أبى الساج إلى بدر غلام المعتضد ، وقد أتينا على خبر ابن أبى الساج وما كان من تزويجه ابنته لبدر بحضرة المعتضد ، وما كان من خبر ابن أبى الساج ورحلته عن باب خراسان متوجها إلى أذربيجان فى الكتاب الأوسط

وفى هذه السنة سار إسماعيل بن أحمد - بعد وفاة أخيه نصر بن أحمد واستيلائه على إمرة خراسان - إلى أرض الترك ، ففتح المدينة الموصوفة من مدنها بدار الملك ، وأسر خاتون زوجة الملك ، وأسر خمسة عشر ألفا من الترك ، وقتل منهم عشرة آلاف ، ويقال : إن هذا الملك يقال له طفكس ، وهذا الاسم سمة لكل ملك ملك هذا البلد من ملوكهم ، وأراه من الجنسين المعروفين بالحداجية

وقد أتينا فيما سلف من هذا الكتاب على جل من أخبار الترك وأجناسهم وأوطانهم ، وكذلك فيما سلف من كتبنا

الحرب بين وصيف الخادم وعمرو بن عبد العزيز
وفي سنة إحدى وثمانين ومائتين كانت الحرب بين وصيف خادم ابن أبي الساج وعمرو بن عبد العزيز ببلاد الجبل ، وكان من أمره ما ذكرنا فيما سلف من كتبنا ، وكان المعتضد خرج في هذه السنة إلى الجبل لأمر بلغته : منها قصة محمد بن زيد العلوي الحسيني صاحب بلاد طبرستان ، فولى ولده عليا المكتفي الري ، وأنزله بها ، وأضاف إليه قزوين وأرجان وأبهر وقم همدان ، وانصرف المعتضد إلى بغداد وقد قلد عمرو بن عبد العزيز إصبهان وكرخ بعد ابن أبي دلف ،

وفيهما استأمن إلى المكتفي على كوره ، وسار إلى المعتضد في عدة كثيرة ، وفيها سار طفج بن شيث بن الأخشيد صاحب مصر في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة - في عساكر كثيرة من دمشق ، فدخل طرسوس غازيا ، وافتتح لوريه مما يلي بلاد برغوث ودرب الراهب

حمدان بن حمدون
وفي هذه السنة نزل المعتضد على حمدان بن حمدون وقد تحصن في القلعة المعروفة بالصوارة نحو عين الزعفران ، وسارع إسحق بن أيوب العنبري ومن كان معه من أصحابه إلى المعتضد ، وقد أتينا على خبر حمدان بن حمدون وما كان من أمره وصعود الجبل الجودي وعبوره دجلة وكاتبه النصراني ودخول عسكر المعتضد ليلا إلى إسحق بن يعقوب حتى أتى به إلى المعتضد ، وإخراجه المعتضد لهذه القلعة ، وقد كان حمدان ألقى عليها أموالاً جليلة ، وهو حمدان بن حمدون ابن الحرث بن منصور بن لقمان ، وهو جد أبي محمد الحسن بن عبد الله الملقب بناصر الدولة في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة - وما كان من الحسن بن حمدان في طلبه هرون الشاري ، وما كان من أخذ الحسين بن حمدان إياه بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب

قال المسعودي : وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين ذبح أبو الجيش خمارويه
ابن أحمد بن طولون بدمشق في ذى القعدة ، وقد كان نبي في سفح الجبل أسفل
من دير مروان قصرا ، وكان يشرب فيه في تلك الليلة ، وعنده طنج ، وكان الذي
تولى ذلك خادما من خدمهم ، وأتى بهم على أميال فقتلوا وصلبوا ، ومنهم من
رمى بالنشاب ، ومنهم من شرح لحمه من أخاذه وعجزته ، وأكله السودان من
ممالك أبي الجيش

وقد أتينا على أخبار الخدم من السودان والصقالبة والروم والصين ، وذلك أن
أهل الصين يخصون كثير من أولادهم كفعل الروم بأولادهم ، وما اجتمع عليه الخصيان من
التضاد ، وذلك لما حدث بهم من قطع هذا العضو في كتابنا «أخبار الزمان» وما أحدثته
الطبيعة عند الفلاسفة فيهم عند ذلك كما قاله الناس فيهم وما ذكره من الصفات
وذكر المدائني أن معاوية بن أبي سفيان دخل ذات يوم على امرأته فاخنة
وكانت ذات عقل وحزم ، ومعه خصي ، وكانت مكشوفة الرأس ، فلما رأت معه
الخصي غطت رأسها ، فقال لها معاوية : إنه خصي ، فقالت : يا أمير المؤمنين ،
أترى المثلة به أحلت له ما حرم الله عليه ، فاسترجع معاوية ، وعلم أن الحق ما قالته ،
فلم يدخل بعد ذلك على حرمة خادما ، وإن كان كبيرا فانيا

وقد تكلم الناس فيهم ، وذكروا الفرق بين المحبوب والمسلوب ، وأنهم
رجال مع النساء ونساء مع الرجال ، وهذا خلف من الكلام ، وفاسد من المقال ،
بل هم رجال ، وليس في عدم عضو من أعضاء الجسد ما يوجب إلحاقهم بما ذكرنا ،
ولا عدم نبت اللحية محيلا لهم عما وصفوا ، ومن زعم أنهم بالنساء أشبه فقد أخبر
عن تغيير فعل الباري جل وعز لأنه خلقهم رجالا ذكرانا ، لا إناثا ، وليس في
الجنائية عليهم ما يقلب أعيانهم ، ويزيل خلق الباري جل وعز ، وقد قلنا في علة
عدم نتن الآباط في الخدم وما قالته الفلاسفة فيما سلف من كتبنا لأن الخادم بطيء
لا يوجد لآباطه راحة ، وهذا من فضائل الخدم

مقتل أبي
الجيش
خمارويه
رحمه
الله

حكم الخصيان

دفع ابن الجيش خمارويه بمصر وحمل أبو الجيش في تابوت إلى مصر ، وورد الخبر بذلك إلى مصر ، فأخرج من التابوت ، وجعل على السرير ، وذلك على باب مصر ، وخرج ولده الأمير جيش ، وسائر الأمراء والأولياء ، فتقدم القاضي أبو عبيد الله محمد بن عبدة المعروف بالعبداني وصلى عليه ، وذلك في الليل

فحكى أبو بشر الدولابي عن أبي عبد الله النجاري - وكان شيخا من أهل العراق ، وكان يقرأ في دور آل طولون ومقابرهم - أنه كان بات في تلك الليلة ممن يقرأ عند القبر ، وقد قدم أبو الجيش ليدلى في القبر ونحن نقرأ جماعة من القراء سبعة سورة الدخان فأحذر من السرير ، ودلى في القبر ، وأنهينا من السورة في هذا الوقت إلى قوله عز وجل (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم ، ذق إنك أنت العزيز الكريم) قال : فخفضنا أصواتنا وأذعرنا حياء ممن حذر

بعض اخبار المعتضد وحزمه
ومما ذكر من خبر المعتضد وحزمه في الأمور وحيله أنه أطلق من بيت المال لبعض الرسوم في الجند عشر بدر ، فحملت إلى منزل صاحب عطاء الجيش ليصرفها فيهم ، فنقب منزله في تلك الليلة ، وأخذت العشر البدر ، فلما أصبح نظر إلى النقب ولم ير المال ، فأمر باحضار صاحب الخرس ، وكان على الخرس يومئذ مؤنس العجلي ، فلما أتاه قال له : إن هذا المال للسلطان والجند ، ومتى لم تأت به أو بالذي تقبه وأخذ المال ألزمك أمير المؤمنين غرمه ، فجد في طلبه ، وطلب اللص الذي جسر على هذا الفعل ، فصار إلى مجلسه ، وأحضر التوابين والشرط ، والتوابون هم شيوخ أنواع اللصوص الذين قد كبروا وتابوا ، فإذا جرت حادثة علموا من فعل من هـى ، فدلوا عليه ، وربما يتقسامون اللصوص ماسرقوه ، فتقدم إليهم في الطلب وتهدهم وأوعدهم ، وطالبهم ، فتفرق القوم في الدروب والأسواق والغرف والمواخير ودكاكين الرواسين ودور القمار ، فلما لبثوا أن أحضروا رجلا نحيفا ضعيف الجسم رث الكسوة هين الحالة فقالوا : ياسيدى ، هذا صاحب الفعلة

وهو غريب من غير هذا البلد ، وأطبق القوم كلهم على أنه صاحب النقب ولص
 المال ، فأقبل عليه مؤنس العجلي فقال له : ويلك !! من كان معك ؟ ومن أعانك ؟
 وأين أصحابك ؟ ما أظنك تقدر على عشر بدر وحدك في ليلة ، ما كنتم إلا عشرة
 وأقل ذلك خمسة ، فأقر بالمال إن كان مجتمعا ، وعلى أصحابك إن كان المال قد
 قسم ، فما زاده على الانكار شيئا ، فأقبل يترفق به ويعده أن يثيبه ويرزقه
 ويعظم جائزته ، ويعده بكل جميل على رده والاقرار به ، ويتوعده بكل مكروه
 على جحوده وإنكاره ، فلما غاظه ذلك وأنكره ويئس من إقراره أخذ في عقوبته
 ومساءلته ، فضربه بالسوط والقلوس والقارح والدرّة على ظهره وبطنه وقفاه ورأسه
 وأسفل رجله وكعابه وعضله ، حتى لم يكن للضرب فيه موضع ، وبلغ به ذلك
 إلى حالة لا يعقل فيها ولا ينطق ، فلم يقر بشيء ، فبلغ ذلك المعتضد ، فأحضر
 صاحب الجيش فقال له : ما صنعت في المال ؟ فأخبره الخبر ، فقال له : ويلك !!
 تأخذ لصا قد سرق من بيت المال عشر بدر فتبلغ به الموت والتلف حتى يهلك
 الرجل ويضيع المال ، فأين حيل الرجال ؟ فأتى به وقد حمل في حل ، فوضع بين
 يديه وقد عقل ، فسأله فأنكر ، فقال له : ويلك !! إن مت لم ينفعك ، وإن
 برئت من هذا الضرب لم أدعك تصل إليه ؛ فلك الأمان والضمان على ما تصلح
 به حالتك ويحمد به أمرك ، فأبى إلا الانكار ، فقال : على باهل الطب ، فأحضروا
 فقال : خذوا هذا الرجل إليكم فمالجوه بأرفق العلاج ، وواظبوا عليه بالمرام والغذاء
 والتعاهد ، واجتهدوا أن تبرئوه في أسرع وقت ، فأخذوه إليهم ، وأخرج مالا
 مكان المال وأمر بتفريقه على الجند ، فيقال : إنه برى . رصّل في أيام سيرة ،
 ثم واطبوا عليه بالطعام والشراب والوطاء والطيب حتى صح وقوى جسمه وظهر
 لونه ورجعت إليه نفسه ، ثم ذكر به فأمر بإحضاره ، فلما حضر بين يديه سأله عن
 حاله ، فدعا وشكر ، وقال : أنا بخير ما أبقى الله أمير المؤمنين ، ثم سأله عن المال ،
 فعاد إلى الانكار ، فقال له : ويلك !! لست تخلو من أن تكون أخذته وحدك

كله أو وصل إليك بعضه ، فإن كنت أخذته كله فانك تنفقه في أكل وشرب وهو ، ولا أظنك تغنيه قبل موتك ، وإن مت فعليك وزره ، وإن كنت أخذت بعضه سمحنا لك به ، فأقر على أصحابك فاني أقتلك إن لم تقر ، ولا ينفعك بقاء المال بعدك ، ولا يبالي أصحابك بقتلك ، ومتى أقررت دفعت إليك عشرة آلاف درهم ، وأخذت لك من أصحاب الجسر مثل ذلك ورسمتك من التوايين ، وأجريت لك في كل شهر عشرة دنانير تكفيك لأكلك وشربك وكسوتك وطيبك ، وتكون عزيزا ، وتنجو من القتل ، وتتخلص من الانم ، فأبى إلا الانكار ، فاستحلفه بالله وأظهر له مصحفا خلف عليه ، فقال : إني سأظهر على المال ، فإن أنا ظهرت عليه بعد هذه اليمين قتلتك ولم أستبقك ، فأبى إلا الانكار ، فقال له : فضع يدك على رأسي واحلف بحياتي ، فوضع يده على رأسه وحلف بحياته إنه ما أخذه وإنه مظلوم منهم ، وإن التوايين قد تبرؤا به ، فقال له المعتضد : فإن كنت قد كذبت قتلتك وأنا برىء من دمك ، قال : نعم ، فأمر باحضار ثلاثين أسود بحيث يراهم ويرونه ، وأمرهم أن يتناوبوا في ملازمته ، فأنت عليه أيام وهو قاعد لا يتكئ ولا يستلقي ولا يضطجع ، وكلما خفق خفقة وُجِىء فكه وقع رأسه ، حتى إذا ضعف وقارب التلف أمر باحضاره ، فأعاد عليه ما كان خاطبه به واستحلفه بالله وبغير ذلك من الأيمان خلف على ذلك كله وبما لم يستحلفه به أنه ما أخذ المال ولا يعرف من أخذه ، فقال المعتضد لمن حضر : قلبي يشهد أنه برىء ، وأن ما يقول حق ، وأن التوايين قد عرفوا صاحبه ، وقد أئمتنا في هذا الرجل ، وسأله أن يجعله في حل ، ففعل ، ثم أمر باحضار مائدة عليها طعام ، وأحضر بارد الشراب ، وأمره بالجلوس والأكل والشرب ، فأقبل يأكل ويشرب ويحث على الأكل ويلقم ويعاد الشراب عليه ويكرر ، حتى لم يبق للأكل والشرب موضع ، ثم أمر بيمخور وطيب فبخر وطيب ، وأتى له بحشية ريش فوطىء له ومهّد ، فلما استلقى واستراح وغفا أمر بازعاجه وسرعة إيقافه ،

فحمل من موضعه حتى أقعد بين يديه وفي عينيه الوسن ، فقال له : حدثني كيف صنعت ؟ وكيف نقبت ؟ ومن أين خرجت ؟ وإلى أين ذهبت بالمال ؟ ومن كان معك ؟ قال : ما كنت إلا وحدي ، وخرجت من النقب الذي دخلت منه وكان مقابل الدار حمام له كوم شوك يوقد به ، فأخذت المال ورفعت ذلك الشوك والقماش والقصب فوضعت تحت غطيته ، وهو هنالك ، فأمر برده إلى فراشه ، فردوه وأضجموه عليه ، ثم أمر باحضار المال ، فأحضر عن آخره ، وأحضر مؤنس العجلي ، وأحضر الوزير والجلساء وقد غطى المال بالبساط ناحية من من المجلس ، ثم أمر بايقاظ اللص وقد اكتفى في النوم وذهب عنه الوسن ، فقال له بحضرة الجميع مثل قوله الأول ، فجحد وأنكر ، فأمر بكشف البساط وقال له : ويلك !! أليس هذا المال ؟ أليس فعلت كذا وكذا ؟ يصف له ما كان حدثه به ، فأسقط في يد اللص ، ثم أمر فقبض على يديه ورجليه وأوثق ، ثم أمر بمنفاخ فنفخ في دبره ، وأتى بقطن فحشى في أذنيه وفمه وخيشومه ، وأقبل ينفخ ، وخلي عن يديه ورجليه من الوثاق ، وأمسك بالأيدى ، وقد صار كأعظم ما يكون من الزقاق المنفوخة ، وقد ورم سائر أعضائه ، وعظم جسمه ، وعيناه قد امتلأتا وبرزتا ، فلما كاد أن ينشق أمر بعض الأطباء فضر به في عرقين فوق الحاجبين ، وهما في الجبين فأقبلت الريح تخرج منهما مع الدم ولها صوت وصفير إلى أن خمد وتلف ، وكان ذلك أعظم منظر رؤي في ذلك اليوم من العذاب ، وقيل : إن البدر كانت عينا وإن عددها كان أكثر مما وصفنا .

وقد كان ببغداد رجل يتكلم على الطريق ، ويقص على الناس بأخبار ونوادير ومضاحك ، ويعرف بابن المغازلي ، وكان في نهاية الحذق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه أن لا يضحك ، قال ابن المغازلي : فوقفت يوما في خلافة المعتضد على باب الخاصة أضحك وأناذر ، فحضر حلقتي بعض خدمة المعتضد ، فأخذت في حكاية الخدم فأعجب الخادم بحكايتي ، وأشغف بنواديري ، ثم

انصرف عني ، فلم يلبث أن عاد وأخذ بيدي ، وقال : إني لما انصرفت عن حلقتك دخلت فوقفت بين يدي المعتضد أمير المؤمنين فذكرت حكايتك وما جرى من نوادرِكَ فاستضحكت ، فرآني أمير المؤمنين ، فأنكر ذلك مني ، وقال : ويلك !! مالك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، على الباب رجل يعرف بابن المغازلي يضحك ويحاكي ، ولا يدع حكاية أعرابي وتركي ومكي ونحوي ونبطي وزنجي وسندي وخادم إلا حكاها ، ويخلط ذلك بنوادر تضحك الشكول وتُصبي الحليم ، وقد أمرني باحضارك ولي نصف جائزتك ، فقلت له وقد طعمت في الجائزة السنية : ياسيدي ، أنا ضعيف وعلى عيلة ، وقد منَّ الله على بك فما عليك إن أخذت بعضها سدسها أو ربعها ، فأبى إلا نصفها ، فطعمت في النصف وقنعت به ، فأخذ بيدي ، وأدخلني عليه ، فسلمت وأحسنت ، ووقفت في الموضع الذي أوقفت فيه ، فرد على السلام ، وقد كان ينظر في كتاب ، فلما نظر في أكثره أطبقه ثم رفع رأسه إلى وقال : أنت ابن المغازلي ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : قد بلغني أنك تحكي وتضحك ، وأنت تأتي بحكايات عجيبة ونوادر ظريفة ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، الحاجة تقتق الحيلة ، أجمع بها الناس وأتقرب إلى قلوبهم بحكايتها ألتبس بهم وأتعيش بما أناله منهم ، قال : فهات ما عندك وخذ في فنك ، فإن أضحككتني أجزتك بخمسمائة درهم ، وإن لم أضحكك فمالى عليك ؟ فقلت للجبين والخذلان : مامعى إلا قفاى فاصفحه ما أحببت ، وكم شئت ، وبما شئت ، فقال لي : قد أنصفت ، إن ضحكك فلك ماضمت ، وإن أنا لم أضحكك صنفعتك بهذا الجراب عشر صفعات ، فقلت في نفسي : ملك لا يصفع إلا بشيء يسير ، وبشيء خفيف هين ، ثم التفت وإذا أنا بجراب آدم ناعم في زاوية البيت ، فقلت في نفسي : ما أخطأ جزري ، ولا أخلف ظني ، وما عسى أن يكون من جراب فيدير ريح ، إن أنا أضحكته ربحت ، وإن أنا لم أضحككه فأمر عشر صفعات بجراب منفوخ هين ، ثم أخذت في النوادر والحكايات والنفاسة والعبارة ، فلم

أدع حكاية أعرابي ولا نحوى ولا مُحَنَّث ولا قاض ولا زطى ولا نبطى ولا سندی ولا زنجى ولا خادم ولا شطارة ولا عيارة ولا نادرة ولا حكاية إلا أحضرتها وأتيت بها ، حتى قد جميع ما عندى وتصدع رأسى ، ولم يبق ورأى خادم إلا هرب ، ولا غلام إلا ذهب لما استفزهم الضحك وورد عليهم من الأمر ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد قد والله ما معى ، وتصدع رأسى ، وذهب معاشى ، وما رأيت قط مثلك ، وما بقيت لى إلا نادرة واحدة فقال : هاتها ، فقلت : يا أمير المؤمنين وعدتنى أن تصفنى عشرة وجعلتها مكان الجائزة فأسألك أن تضعف الجائزة وتضيف إليها عشرة ، فأراد أن يضحك فاستمسك ، ثم قال : تفعل ، يا غلام خذ بيده ؛ فأخذ بيدي ومددت قفاى فصفعت بالجراب صفعة ، فكأنما سقط على قفاى قلعة ، وإذا فيه حصى مدور كأنه صنجبات ، فصفعت به عشرة كادت أن تنفصل رقبتى وينكسر عنقى ، وطنت أذناى ، وقدح الشعاع من عيني ، فلما استوفيت العشرة صحت : ياسيدى ، نصيحة ، فرفع الصفع عنى بعد أن عزم على إيفاء ما كنت سألته من إضعاف جائزتى ، فقال : ما نصيحتك ؟ فقلت : ياسيدى ، إنه ليس فى الدنيا أحسن من الأمانة ، ولا أقبح من الخيانة ، وقد ضمنت للخادم الذى أدخلنى عليك نصف الجائزة على قلبها أو كثرتها ، وأمير المؤمنين أطال الله بقاءه بفضل وكرمه قد أضعفها ؛ فقد استوفيت نصفها ، وبقي لخادمك نصفها ، فضحك حتى استلقى ، واستفزه ما كان قد سمعه منى أولاً ، وتحامل له وصبر عليه ، فما زال يضرب بيده ويفحص برجله ويمسك بمراق بطنه ، حتى إذا سكن ضحكته ورجعت إليه نفسه قال : على بفلان الخادم ، فأتى به وكان طووالاً فأمر بصفعه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أى شىء قضيتى ؟ وأى جناية جنائيتى ؟ فقلت له : هذه جائزتى ، وأنت شريكى ، وقد استوفيت نصفها ، وبقي نصيبك منها ، فلما أخذه الصفع وطرق قفاه الصافع أقبلت عليه أقول له : أقول لك : إني ضعيف مُعِيل وشكوت إليك الحاجة والمسكنة ، وأقول : ياسيدى ، لا تأخذ نصفها ، لك سدسها ، لك ربعها ، وأنت تقول :

ما آخذ إلا نصفها ، ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جوائزها صفع وهبتها لك كلها ، فعاد إلى الضحك من قولي للخادم ، وعتابني له ، فلما استوفى صفعه وسكن أمير المؤمنين من ضحكه أخرج من تحت تكائه صرة قد كان أعدها فيها خمسمائة درهم ، ثم قال له وقد أراد الانصراف : قف ، هذه كنت أعدتها لك ، فلم يدعك فُضُولُكَ حتى أحضرت لك شريكا فيها ، ولعلني كنت أمنعه منها ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، وأين الأمانة وقبح الخيانة ؟ وددت أنك كنت تدفعها كلها إليه وتصفعه مع العشرة عشرة أخرى وتدفع له الخمسمائة درهم ؛ قسم الدراهم بيننا وانصرفنا .

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين كانت وفاة إسماعيل بن إسحق القاضي ، والحرث بن أبي أسامة ، وبلال بن العلاء الرقي

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين نزل المعتضد تكريت ، وسار الحسن بن حمدان في الأولياء لحرب هرون الشاري ؛ فكانت بينهم حرب عظيمة كانت للحسن بن حمدان عليه ، فأتى به المعتضد أسيرا بغير أمان ، ومعه أخوه فدخل المعتضد بغداد وقد نصبت له القباب وزينت له الطرقات ، وعبى المعتضد بالله جيوشه بباب الشماسية أحسن ما يكون من التعبئة وأكمل هيئة ، فاشتقوا بغداد إلى القصر المعروف بالحسني ، ثم خلع المعتضد على الحسن بن حمدان خلعا شرفه بها ، وطوّقه بطوق من ذهب ، وخلع على جماعة من فرسانه ورؤساء أصحابه وأهله ، وشهرهم في الناس كرامة لما كان من فعلهم وحسن بلائهم ، ثم أمر بالشاري فأركب فيلا وعليه دراعة ديباج ، وعلى رأسه برنس خز طويل ، وخلفه أخوه على جبل فالج وهو ذو السنامين ، وعليه دراعة ديباج وبرنس خز ، وسيرهم في أثر الحسن بن حمدان وأصحابه ، ثم دخل المعتضد في أثره عليه قباء أسود وقلنسوة محدودة على فرس ضافٍ عن يساره أخوه عبد الله بن الموفق وخلفه بدر

الحرب مع
هرون الشاري

غلامه وأبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره وابنه القاسم بن عبد الله ، فأكثر الناس الدعاء له ، وتكاثر الناس في منصرفهم من الجانب الشرقى إلى الغربى ، فانحسف بهم كرسي الجسر الأعلى ، وسقط على زورق مملوء ناسا ، ففرق في هذا اليوم نحو من ألف نفس ممن عرف دون من لم يعرف ، واستخرج الناس من دجلة بالكلايب والغاصة ، وارتفع الضجيج ، وكثر الصراخ من الجانبين جميعا ، فبينما الناس كذلك إذ أخرج بعض الغاصة صبيا عليه حلى فاخرة من ذهب وجوهر ، فبصر به شيخ من النظارة طرار فجعل يلطم وجهه حتى دمی أخبار بعض أهله ، ثم تفرغ في التراب ، وأظهر أنه ابنه ، وجعل يقول : ياسيدى ، لم تمت أصحاب الحيل إذ أخرجوك صحيحا سوى لم يأكلك السمك ، ولم تمت حبيبي إذ كحلت عيني بك مرة قبل الموت ، وأخذته فحمله على حمار ثم مضى به ، فما برح القوم الذين رأوا من الشيخ مارأوا حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار حين بلغه الخبر وهو لا يشك إلا أن الصبي في أيديهم ، وليس يهمه ما كان عليه من حلى وثياب ، وإنما أراد أن يكفنه ويصلى عليه ويدفنه ، فخبره الناس بالخبر ، فبقى هو ومن معه من التجار متعجبين مبهوتين ، وسألوا عنه واستبحثوا فإذا لاعين ولا أثر ، وعرف توابو هذا الجسر هذا الشيخ المحتال فأياسوا أبا الفريق منه ، وذكروا أنه شيخ قد أعيام أمره وحيرهم كيده ، وأنه بلغ من حيله وخبثه ودهائه أنه أتى يوما من أول الصباح إلى باب بعض العدول الكبار المشهورين بالرياسة واليسار ومعه جرة فارغة على عاتقه وفأس وزنبيل ، فقام في ثوب خلق ، ولم يتكلم حتى وضع الفأس في الدكاكين التي على باب ذلك العدل فهدمها ، وجعل ينقى الآجر ويعزله ، فسمع ذلك العدل بهدمها ووقع الفأس والهدم ، فخرج لينظر فإذا الشيخ دائب يهدم دكا كينه التي على باب داره ، فقال : يا عبد الله ، أى شئ تصنع ؟ ومن أمرك بهذا ؟ فجعل الشيخ يعمل عمله ، ولا يلتفت إلى العدل ، ولا يكلمه ، فاجتمع الجيران وهما في

المحاوره ، فأخذوا بيد الشيخ ، فوكزه هذا ، ودفعه هذا ، فالتفت إليهم فقال :
ويلكم !! أى شىء تريدون منى ؟ أما تستحيون تعبتون بى وأنا شيخ كبير ؟
فقالوا : ما لنا والعبث بك ؟ ويحك !! من أمرك بهذا ؟ قال : ويحكم !! أمرنى
صاحب الدار ، فقالوا : هذا صاحب الدار يكلمك ؟ قال : لا والله ما هو هذا ،
فلما سمعوا كلامه وغفلته رحموه ، وقالوا : هذا مجنون أو مخدوع خدعه بعض
جيران هذا العدل ممن قد حسده على ما أنعم الله تعالى به عليه ، وهم الذين حملوا
هذا الشيخ على هذا الفعل ، فلما منعه من الهدم مضى إلى الجرة التى جاء بها
- وقد كان وضعها إلى جانب الباب - فأدخل يده فيها كأنه قد خبأ ثيابه فيها ،
فصرخ وبكى ، فلم يشك العدل أن محتالا خدعه وأخذ ثيابه ، فقال : وأى شىء
ذهب لك ؟ قال : قميص جديد اشتريته أمس وملحفه لىتى وسراويل ، فرقوا
له جميعا ، ودعاه العدل فكساه ووهب له دراهم كثيرة ، ووهب له الجيران
دراهم كثيرة ، وانصرف غائما ، وهذا الشيخ كان يعرف بالعقاب ، ويكنى بأبى
الباز ، وله أخبار عجيبة وحيل ، وهو الذى احتال للمتوكل ، حين بايعه بختيشوع
الطبيب ، أنه إن سرق من داره شيئا يعرفه فى ثلاث ليال ذكرت من ذلك
الشهر فعليه أن يحمل إلى خزانة أمير المؤمنين عشرة آلاف دينار ، وإن خرجت
هذه الليالى ولم يتم عليه ما ذكرنا فله الضيعة المعين ذكرها فى المبايعه ، فأتى بهذا
الشيخ فى عنفوان شبابه إلى المتوكل فضمن للمتوكل أن يأخذ من دار بختيشوع
شيئا لا ينكره ، وقد كان بختيشوع حرس داره وحصنها فى هذه الليالى ، فاحتال هذا
الشيخ المعروف بالعقاب بحيل لطيفة إلى أن سرق بختيشوع وجعله فى صندوق ،
وأتى به المتوكل ، فى خبر ظريف ، وأنه رسول لعيسى ابن مريم نزل إلى بختيشوع
بشمع أسرجه وتخليط عمله وبنج فى طعام اتخذه وأطعمه الحراس لداره فى تلك
الليلة ، وقد ذكرنا فى كتابنا « أخبار الزمان » وهذا الشيخ قد برز فى مكايده
وما أورده من حيله على دالة المحتالة وغيرها من سائر المكارين والمحتملين
ممن سلف وخلف منهم

القول في
الكيمياء
والاختلاف
فيها

ولطلاب صناعة الكيمياء من الذهب والفضة وأنواع الجواهر من اللؤلؤ وغيره
وصناعة أنواع الأكسيرات من الأكسير المعروف بالفرار وغيره وإقامة الزئبق
وصنعتة فضة وغير ذلك من خدعهم وحيلهم في القرع والمغنطيس والتقطير
والنكليس والبوادق والخطب والفحم والمنافع أخبارٌ عجيبة وحيل قد أتينا على
ذكرها ووجوه الخدع فيها وكيفية الاحتيال بها في كتابنا « أخبار الزمان » وما
ذكروه في ذلك من الأشعار وما عزوه إلى من سلف من اليونانيين والروم ، مثل
قلوبطرة الملوك ، ومارية ، وما ذكره خالد بن يزيد بن معاوية في ذلك ، وهو
عند أهل الصناعة من المتقدمين فيهم في شعره الذي يقول فيه :

خذ الطلق مع الأشق وما يوجد في الطرق
وشيئا يشبه البرقا فدبره بلا حرق
فان أحببت مولاكا فقد سودت في الخلق

وقد صنف يعقوب بن إسحق بن الصباح الكندي رسالة في ذلك ،
وجعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله ، وخدع أهل
هذه الصناعة وحيلهم وترجم الرسالة بإبطال دعوى المدعين صناعة الذهب والفضة
من غير معادتهما ، وقد نقض هذه الرسالة على الكندي أبو بكر محمد بن زكريا
الرازي الفيلسوف صاحب الكتاب المنصوري في صناعة الطب الذي هو عشر
مقالات ، وأرى القول أن ما ذكره الكندي فاسد ، وأن ذلك قد يتأتى فعله ،
ولأبي بكر بن زكريا في هذا المعنى كتب قد صنفها ، وأفرد كل واحد منها بنوع
من الكلام في هذه الصناعة في الأحجار المعدنية وغير ذلك من كيفية الأعمال ،
وهذا باب قد تنازع الناس فيه من فعل قارون وغيره ، ونحن نعوذ بالله من
التهوس فيما يخسف الدماغ ويذهب بنور الأبصار ويكشف الألوان من بخار
التصعيدات ورائحة الزاجات وغيرها من الجمادات

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين كان الغداء بالأسر بين المسلمين والروم في

شعبان ، وكان بدوهُ الثلاثاء ، وفيه كان مسير جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون من الشام إلى مصر في جيوشه ، فخالفه طعج بدمشق بعد ذلك وفيها خرج عن جيش بن خمارويه خاقان المفلحي ونيدفة بن كسجورو ابن كنداح فساروا إلى وادي القرى ودخلوا مدينة السلام فخلع عليهم المعتضد وكان الشغب بمصر ، وقتل أحمد الماوردي بن محمد بن علي المارداني المقبوض عليه في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - بمصر ، وقبض على جيش بن خمارويه ، ونصب أخوه هارون بن خمارويه مكانه ، وكانوا قد تقموا على جيش تقدمه لقلامه نجح المعروف بالطولوني وأخيه سلامة المعروف بالمؤتمن ، وقد كان أخوه سلامة هذا بعد ذلك صاحب جماعة من الخلفاء منهم القاهرة والرازي وأراه مع المتقي في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة

وفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي عمرو مقدم بن عمرو الرعيني بمصر ليومين بقيا من شهر رمضان ، وكان من جلة الفقهاء ، ومن كبار أصحاب مالك

وفاة أبي عمرو
الرعيني

وفيها ولي المعتضد يوسف بن يعقوب القضاء بمدينة السلام ، وخلع عليه ، وانتدبه للجانب الشرقي

وفي هذه السنة - وهي سنة ثلاث وثمانين ومائتين - قبض المعتضد على أحمد بن الطيب بن مروان السرخسي صاحب يعقوب بن إسحق الكندي ، وسلمه إلى بدر غلامه ، ووجه إلى داره من قبض على جميع ماله ، وقرر جواريه على المال حتى استخرجوه ، فكان جملة ما حصل من العين والورق وثمان الآلات خمسين ومائة ألف دينار ، وكان ابن الطيب قد ولي الحسبة ببغداد ، وكان موضعه من الفلسفة لا يجمل ، وله مصنفات حسنة في أنواع من الفلسفة وفنون من الأخبار

القبض على
ابن الطيب
ومصادره
وقته

وقد تنازع الناس في كيفية قتله ، والسبب الذي من أجله كان قتل المعتضد إياه

وقد أتينا على ما قيل في ذلك في كتابنا المترجم بالأوسط فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الكتاب

وفيها ورد الخبر بقتل عمرو بن الليث ورافع بن هرثمة
وفي سنة أربع وثمانين ومائتين أدخل إلى بغداد رأس رافع بن هرثمة ثم
صلب ساعة من نهار ثم رد إلى دار السلطان

وفي هذه السنة كان لأهل بغداد ثورة مع السلطان لصياحهم بالخدم السودان ثورة في بغداد
ياعقيق ، صب ماء واطرح دقيق ، ياعاق ، ياطويل الساق ، وذلك أن الخدم في
دار السلطان منهم اجتمعوا فكلّموا المعتضد بما يلحقهم في الأزقة والشوارع والدروب
وسائر الطرق من الصغير والكبير من العوام ، فأمر المعتضد بجماعة من العامة
فضربوا بالسياط ، فتشعب العامة لذلك

وفي هذه السنة ظهر للمعتضد شخص في صور مختلفة في داره ؛ فكان تارة
يظهر في صورة راهب ذي لحية بيضاء وعليه لباس الرهبان ، وتارة يظهر شابا
حسن الوجه ذا لحية سوداء بغير تلك البزة ، وتارة يظهر شيخا أبيض اللحية ببزة
التجار ، وتارة يظهر بيده سيف مسلول ، وضرب بعض الخدم فقتله ، فكانت
الأبواب تؤخذ وتغلق فيظهر له أين كان في بيت أو صحن أو غيره ، وكان يظهر
له في أعلى الدار التي بناها ، فأكثر الناس القول في ذلك ، واستفاض الأمر
واشتهر في خواص الناس وعوامهم ، وسارت به الركب ، وانتشرت به الأخبار
والقول في ذلك على حسب ما كان يقع لكل واحد منهم ؛ فمن قائل : إن
شيطانا مريداً صمد له يظهر فيؤذيه ، ومنهم من يقول : إن بعض مؤمنى الجن
رأى ما هو عليه من المنكر وسفك الدماء فظهر له رادعا وعن المنكر زاجرا ، ومنهم
من رأى أن ذلك بعض خدمه كان قد هوى بعض جواريه فاحتال بحيلة فلسفية
من بعض العقاقير الخاصة فيضعها في فمه فلا يدرك بحاسة البصر ، وكل ذلك

خيال يظهر
للمعتضد في
صور مختلفة

ظن وحسبان ، فأحضر المعتضد المعزمين ، واشتد قلقه ، واستوحش ، وحرار عليه أمره ، فقتل وغرق جماعة من خدمه وجواريه ، وضرب وحبس جماعة منهم ، وقد أتينا على الخبر في ذلك وما حكى عن أفلاطون في هذا المعنى وعلى خبر معبب أم المقتدر بالله والسبب الذي من أجله حبسها المعتضد وأراد قطع أنفها والتشويه بها في كتابنا « أخبار الزمان »

وفي هذه السنة ورد الخبر بقتل أبي الليث الحرث بن عبد العزيز بن أبي دلف بسيفه لنفسه في الحرب ، وذلك أن سيفه كان على عاتقه مشهورا فكبا به فرسه فذبجه سيفه فأخذ عيسى النوشري رأسه وأنقذه إلى بغداد

وفي سنة خمس وثمانين ومائتين وقع صالح بن مدرك الطائي في نهبان وسنيس وغيرهم من طيء بالحاج ، وعلى الحاج يحيى الكبير ، وكانت ليحيى مع صالح ومن معه من الطالبين حرب عظيمة في الموضع المعروف بقاع الأجر ، وتشوش الحاج وأخذهم السيف ؛ فمات عطشا وقتلا خلائق من الحاج ؛ وأصاب يحيى ضربات كثيرة ، وكانت العرب ترتجز في ذلك اليوم وتقول :

ما إن رأى الناس كيوم الأجر الناس صرعى والقبور تحفر
وأخذ من الناس نحو من ألف دينار

وفي هذه السنة - وهي سنة خمس وثمانين ومائتين - كانت وفاة أبي إسحق إبراهيم بن محمد الفقيه المحدث في الجانب الغربي ، وله خمس وثمانون سنة ، وكانت يوم الاثنين لسبع بقين من ذى الحجة ، ودفن بمبلى باب الأنبار وشارع الكباش والأسد ، وكان صدوقا عالما فصيحاً جواداً عفيفاً ، وكان زاهداً عابداً ناسكاً ، وكان - مع ما وصفنا من زهده وعبادته - ضاحك السن ، ظريف الطبع ، سلس القياد ، ولم يكن معه تجبر ولا تكبر ، وربما مزح مع أصدقائه بما استحس منه ويستقبح مع غيره ، وكان شيخ البغداديين في وقته وظريفهم وناسكهم

إخافة الحجاج
والخروج
عليهم

وفاة إبراهيم بن
محمد الحربي
الفقيه المحدث

وزاهدكم ومسندكم في الحديث ، وكان يتفقه لأهل العراق ، وكان له مجلس يوم الجمعة في المسجد الجامع الغربي

وأخبرنا أبو إسحق بن جابر قال : كنت أجلس يوم الجمعة في حلقة إبراهيم الحربي ، وكان يجلس إلينا غلامان في نهاية الحسن والجمال من الصورة والبزة من أبناء التجار من الكرخيين ، وبزتهما واحدة ، كأنهما روحان في جسد ، إن قاما قاما معا ، وإن قعدا قعدا معا ، فلما كان في بعض الجمع حضر أحدهما وقد بان الاصفرار بوجهه والانكسار في عينيه ، فتوسمت أن غيبة الآخر لعله قد لحق الحاضر من أجل ذلك الانكسار ، فلما كان الجمعة الثانية حضر الغائب ولم يحضر الذي كان في الجمعة الأولى منهما ، وإن الصفرة والانكسار أبين في لونه ونشاطه ، فعلمت أن ذلك للفراق بينهما ، ولأجل الألفة الجامعة لهما ، فلم يزالا يتسابقان في كل جمعة إلى الحلقة ، فأيهما سبق صاحبه إلى الحلقة لم يجلس الآخر ، فصح عندي ما كان تقدم في نفسي جواز كونه ، فلما كان في بعض الجمع حضر أحدهما فجلس إلينا وجاء الآخر فأشرف على الحلقة ، فاذا صاحبه قد سبق ، وإذا المسبوق المطلع على الحلقة قد خنقته العبرة ، فتبينت ذلك في حماليق عينيه ، وإذا في يسراه رقاع صفار مكتوبة فقبض بيمينه رقعة من تلك الرقاع وحذف بها في وسط الحلقة ، وانساب بين الناس مارا مستحيا ، وأنا أرنقه ببصرى ، وكذلك جماعة ممن كان جالسا في الحلقة ، وكان إلى جانبي على اليمين أبو عبد الله على ابن الحسين بن جوهرية ، وذلك في عنفوان الشباب وأوان الحداثة ، فوقعت الرقعة بين يدي إبراهيم الحربي ، فقبض عليها ونشرها وقرأها ، وكان من شأنه فعل ذلك إذا وقعت في يده رقعة فيها دعاء أن يدعو لصاحبها مريضا كان أو غير ذلك ويؤمن على دعائه من حضر ، فلما قرأ الرقعة أقبل يتأمل ما فيها تأملا شافيا لأنه رأى ملقيها ، ثم قال : اللهم اجمع بينهما ، وألف بين قلوبهما ، واجعل ذلك

مما يقرب منك ويزلف لديك ، وأمنوا على دعائه كما جرت العادة منهم بفعله ،
ثم أدرج الرقعة بسبب ابنته وإيهامه وحذفني بها ، فتأملت ما فيها ، وقد كنت مستطاعا
بحوها لتبين الملقى لها ، فاذا فيها مكتوب :

عفا الله عن عبد أعان بدعوة لِيُخْلِثَ كَإِنَّا دَائِمِينَ عَلَى الْوَدِّ

إلى أن وشى واشى الهوى بنميمة إلى ذاك من هذا فخالا عن العهد

فكانت الرقعة معي ، فلما كانت الجمعة الثانية حضرا معا وإذا الاصفرار
والانكسار قد زال ، فقلت لأبي جويرية : إني لأرى الدعوة قد سبقت لها بالاجابة
من الله تعالى ، وإن دعاء الشيخ كان على التمام إن شاء الله تعالى ، فلما كان
في تلك السنة كنت ممن حج فكأنني أنظر إليهما بين منى وعرفات محرمين جميعا ،
فلم أزل أراهما متآلفين إلى أن كهلا وأرى أنهما في صف أصحاب الديباج في الكرخ
أو غيره من الصفوف .

قال المسعودي : وهذا الخبر سمعته من إبراهيم بن جابر القاضي قبل ولايته
القضاء ، وهو يومئذ ببغداد يعالج الفقر ويتلقاه من خالقه بالرضا ناصرا للفقر على
الغنى ، فما مضت أيام حتى لقيته بحلب من بلاد قنسرين والعواصم من أرض
الشام ، وذلك في سنة تسع وثلاثمائة ، وإذا هو بالصد عما عهدته متوليا القضاء على
ما وصفنا ناصرا ومشرفا للغنى على الفقر ، فقلت له : أيها القاضي ، تلك الحكاية
التي كنت تحكيها عن الوالي الذي كان بالرى وأنه قال لك : إن الخواطر اعترضني
بين منازل الفقراء والأغنياء ، فرأيت في النوم أمير المؤمنين على بن أبي طالب
رضي الله عنه فقال لي : يا فلان ، ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء شُكْرًا لله تعالى
وأحسن من ذلك تعزز الفقراء على الأغنياء ثقة بالله تعالى ، فقال لي : إن الخلق
تحت التدبير لا ينفكون من أحكامه في جميع متصرفاتهم ، وكنت كثيرا ما أسمعه
فيما وصفنا من حال فقره يذم ذوى الحرص على الدنيا ، ويذكر في ذلك خبرا

الفقراء
والأغنياء
(مفاضلة)

عن على كرم الله وجهه ، وهو أن عليا عليه السلام كان يقول : ابن آدم ، لا تتحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه ؛ فانه إن يكن من أجلك يأت الله فيه برزقك ، واعلم أنك لن تكتسب شيئا فوق قوتك إلا كنت خازنا فيه لفيرك ، فركب بعد ذلك الهاليج من الخيل .

ولقد أخبرت أنه قطع لزوجه أر بعين ثوبا تستريا وقصبا وأشباه ذلك من الثياب على مقراض واحد ، وخلف مالا عظيما لغيره .

وفي هذه السنة - وهي سنة خمس وثمانين ومائتين - كانت وفاة أبي العباس محمد بن يزيد النحوى المعروف بالمبرد لیسلة الاثنين لليلتين بقيتا من ذى الحجة ، وله تسع وسبعون سنة ، ودفن بمقابر باب الكوفة من الجانب الغربى بمدينة السلام وفي سنة ست وثمانين ومائتين مات محمد بن يونس الكوفى المحدث ، ويكنى بأبى العباس ، يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة ، وله مائة سنة وست سنين ودفن بمقابر الكوفة من الجانب الغربى ، وكان على الاسناد .

وفاة محمد
ابن يونس

وفي هذه السنة كان الفرع من أبى سعيد الجبائى بالبصرة ومن معه بالبحرين خوفا من أن يكسبها ، وكتب الواثق - وهو أحمد بن محمد ، وكان على حربها - إلى المعتضد بذلك ، فأطلق لسورها أربعة عشر ألف دينار فبنيت وحصنت .

أبو الاغر
وصالح بن
مدرک

وفي هذه السنة ظفر أبو الاغر خليفة بن المبارك السامى بصالح بن مدرک الطائى بناحية فيدمكرافى ذهابهم إلى مكة ، وقد كانت الأعراب جمعت لأبى الاغر ليستنقذوا صالحا من يده ، فواقعهم وقتل رئيسهم جحش بن ديال وجماعة معه ، وأخذ رأسه ، فلما علم صالح بن مدرک بقتل جحش بن ديال يئس من الخلاص من يد أبى الاغر ، فلما نزل المنزل المعروف بمنزلة القرشى أتاهم غلام بطعام فاستلب منه سكيناً ، وقتل نفسه ، فأخذ أبو الاغر رأسه وأظهره بالمدينة ، فقباشر الحاج ، وكانت لأبى الاغر فى رجوعه وقعة عظيمة اجتمع هو ونحير وغيرهما من أمراء قوافل الحاج مع الأعراب ، وكانت الأعراب قد اجتمعت وتمشددت من طلي .

وأحلافها ، فكانت رجالها نحووا من ثلاثة آلاف راجل ، والخليل نحووا من ذلك فكانت الحرب بينهم ثلاثا ، وذلك بين معدان القرشى والحاجز ، ثم انهزمت الأعراب وسلم الناس ، وكان ممن تولى مع أبي الأغر الحيلة على صالح بن مدرك سعيد بن عبد الأعلى .

ودخل أبو الأغر مدينة السلام وقدامه رأس صالح وجعش ورأس غلام لصالح أسود ، وأربعة أسارى ، وهم بنو عم صالح بن مدرك ، فخلع السلطان في ذلك اليوم على أبي الأغر وطوقه بطوق من ذهب ، ونصب الرؤوس على الجسر من الجانب الغربى ، وأدخل الأسارى المطبق .

موت
إسحق العبدى

وفى هذه السنة مات إسحق بن أيوب العبدى ، وكان على حرب ديار ربيعة وفيها شخص العباس بن عمرو الغنوى إلى البصرة لحرب القرامطة بالبحرين وفى هذه السنة كانت الحرب بين إسماعيل بن أحمد وعمرو بن الليث صاحب بلخ فأسر عمرو ، وقد أتينا على كيفية أسره فى الكتاب الأوسط .

وفى سنة سبع وثمانين ومائتين كان خروج العباس بن عمرو من البصرة فى جيش عظيم ومعه خلق من المطوعة نحو هجر ، فالتقى هو وأبو سعيد الجبائى ، فكانت بينهم وقائع انهزم فيها أصحاب العباس ، وأسر وقتل من أصحابه نحو سبعمائة صبرا دون من هلك من الرمل والعطش ، فأحرقت الشمس أجسادهم ، ثم إن أبا سعيد منّ على العباس بن عمرو بعد ذلك فأطلقه فصار إلى المعتضد فخلع عليه ، و بعد هذه الواقعة افتتح أبو سعيد مدينة هجر بعد حصار طويل ، وقد أتينا على مبسوط هذه الحروب والسبب الذى كان من أجله تخليّة أبي سعيد العباس بن عمرو الغنوى مع من بالبحرين من قومه وعصبتهم له

مسير
الداعى العلوى
إلى حرجان

وفى هذه السنة - وهى سنة سبع وثمانين ومائتين - كان مسير الداعى العلوى من طبرستان إلى بلد حرجان فى جيوش كثيرة من الديلم وغيرهم ، فلقيته جيوش المسودة من قبل إسماعيل بن أحمد ، وعليها محمد بن هرون ، فكانت

وقعة لم ير مثلها في ذلك العصر ، وصبر الفريقان جميعا ، وكانت المبيضة على المسودة ، ثم كانت مكيدة من محمد بن هرون لما رأى من ثبوت الدَّيْلَم على مصافها ، فلم ينقض صفوفه ، وولى ، فأسرعت الدَّيْلَم وتقضت صفوفها ، فرجعت عليهم المسودة وأخذهم السيف ، فقتل منهم بشر كثير ، وأصاب الداعى ضربات ، وذلك أن أصحابه لما تقصوا صفوفهم في الغنيمه ولم يرجوا عليه ثمت مع من وقف لنصره فكرت عليهم الجيوش ، فأسفرت الحرب وقد أثنى بالكلوم ، وأسر ولده زيد بن محمد بن زيد وغيره ، وبقي محمد الداعى أيا ما يسيرة وتوفى لما ناله ، فدفن بباب جرجان ، وقبره هنالك معظم إلى هذه الغاية

وقد أتينا على خبره بطبرستان وغيرها وما كان من سيرته ، وخبر بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف حين دخل إليه مستأمنا في كتابنا « أخبار الزمان » وكذلك ذكرنا خبر يحيى بن الحسين الحسنى الرسى باليمن ، وتظافره هو وأبو سعد بن يعفر علي ما كان من حروبهم باليمن مع القرامطة ، وما كان من أمرهم مع علي بن الفضل صاحب المدنجره ، وما كان من قصته ، وخبر وفاته وقصة شيخ لاعة صاحب قلعة نخل ، وخبر ولده إلى هذا الوقت بها - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - ونزول يحيى بن الحسين الرسى مدينة صعدة من بلاد اليمن ، وخبر ولده أبي القاسم ، وخبر ولد ولده إلى هذه الغاية ، وإنما نذكر في هذا الكتاب لما منبهين على ما قدمنا من تصنيفنا مما بسطناه من أخبار من ذكرناه وشرحنا من قصصهم وسيرهم وما كان منهم

وفي هذه السنة - وهى سنة ثمان وثمانين ومائتين - كان دخول المعتضد إلى الثغر الشامى في طلب وصيف الخادم ، وراسله مع رشيق المعروف بالخرامى ، واستأمن إلى المعتضد وصيف اليشكرى وغيره من القواد قواد الخادم ، وأصحابه وقد كان وصيف الخادم لما أخذ الأكر من أصحابه أراد الدخول إلى أرض الروم والتعلق بالدروب ، وقد كان المعتضد أسرع في السير من بغداد وستر أخباره

ولم يعلم بذلك وصيف مع شدة حذره وتفقده لأمره ، حتى عبر المعتضد الفرات وسار إلى الشام ، فلم يفلح جسد المعتضد لذلك لما أتعب نفسه في سرعة السير ، وقد كان المعتضد لما توسط الثغر الشامي خلف سواده بالسكنيسة السوداء ، ووجد القواد في طاب وصيف ، فساروا في طلبه خمسة عشر ميلا إلى أن أدركه أوائل الخيل وفيهم خاقان المفلحي ووصيف موشكير وعلى كوره وغيرهم من القواد ، فقاتلهم وصيف ، وذلك في الموضع المعروف بدرب الحب ، فلما أشرف المعتضد ووصيف قد خذله أصحابه وتفرق عنه جمعه أسروا إلى به المعتضد ، فسلمه إلى مؤنس العجلي ، وأمن جميع أصحابه إلا نفرا انضافوا إليه من الثغر الشامي وغيره وأحرق المعتضد المراكب الحربية ، وحمل من طرسوس أبا إسحق إمام الجامع ، وأبا عمير عدى بن أحمد بن عبد الباقي صاحب مدينة أذنة من الثغر الشامي ، وغيرهم من البحرين مثل إسماعيل وابنه ، وكان دخول المعتضد إلى مدينة السلام في مساء لسبع خلون من صفر سنة ثمان وثمانين ومائتين ، ودخل جعفر بن المعتضد وهو المقتدر - وبدر الكبير وسائر الجيش على الظهر وقد زينت الطرق وبين أيديهم وصيف الخادم على جمل فالج وعليه دراعة ديباج وبرنس ، وخلفه على جمل آخر البغيل ، وخلف البغيل ابنه على جمل آخر وخلف ابن البغيل على جمل آخر رجل من أهل الشام يعرف بابن المهندس ، وقد لبسوا الدرايع من الحرير الأحمر والأصفر ، وعلى رؤوسهم البرانس ، وطوق وسور خاقان المفلحي وغيره من القواد ممن أتى في ذلك اليوم الذي كان فيه أسر وصيف الخادم ، وقد كان المعتضد أراد استحياء وصيف وأسف على موت مثله لشهامته وشجاعته وحسن حيله وإقدامه ، ثم قال : ليس في طبع هذا الخادم أن يرأسه أحد ، بل في طبعه أن يرؤس في نفسه ، وقد كان بعث إليه بعد أن قبض عليه وأوثق بالحديد : هل لك من شهوة ؟ قال : نعم باقية من الريحان أشمها ، وكتب من سير الملوك الغابرة أنظر فيها ، فلما رجع الرسول إلى المعتضد وأخبر أنه يديم النظر في سير الملوك

وحروبها ومحنها دون سائر ما حمل إلى حضرته من الدفاتر ، فتمتع بـ المعتضد وقال : هو يهون على نفسه الموت

وفاة ابن
أبي الساج

وفي هذه السنة كانت وفاة أبي عبيد الله محمد بن أبي الساج بأذر بيجان ، واختلفت كلمة أصحابه وغلماؤه بعده ، فمنهم من انحاز إلى أخيه يوسف بن أبي الساج ، ومنهم من انحاز إلى ولده بودار

وفي هذه السنة أدخل عمرو بن الليث إلى مدينة السلام في جمادى الأولى ، قدم به عبد الله بن الفتح رسول السلطان فشر عمرو وأركب على جمل فالج وقد ألبس دراعة ديباج وخلفه بدر والوزير القاسم بن عبيد الله في الجيش فأتوا به الثريا فرآه المعتضد ، ثم أدخل المطامير ، وقد كان في هذا الوقت سارت عساكر الشاكزية من قبل طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث غضبا لجلده عمرو ، ولحقته ببلاد الأهواز ، وخرجت عن حدود فارس ، واضطرب الأمر ، وبعث المعتضد بعبد الله بن الفتح واستأمن إلى إسماعيل بن أحمد بهدايا منها مائة بدلة ديباج منسوجة بالذهب مرصعة بالجواهر ومنطقة ذهب مرصعة بالجواهر ؛ وغير ذلك من الجواهر ؛ وثلثمائة ألف دينار ليقرقها في أصحابه ويبيعهم إلى بلاد سجستان إلى حرب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ، وأمر عبد الله بن الفتح أن يحمل في طريقه من خراج ما يحتاج به من بلاد الجبل عشرة آلاف ألف درهم ويضيفها إلى الثلثمائة ألف دينار ؛ وسار بدر غلام المعتضد بالله في عساكره إلى بلاد فارس من هذه السنة ، فنزل شيراز ، وانكشف عن البلد الشكزية

وفاة وصيف
الخادم وصلبه

وفي أول يوم من المحرم - وهو يوم الثلاثاء من سنة تسع وثمانين ومائتين - توفي وصيف الخادم ، فأخرج وصلب على الجسر بدنا بلا رأس ، وقد كان الخدم سألوا المعتضد أن يستروا عورته فأباح لهم ذلك ، فألبس ثيابا ، ولف عليه ثوب جديد ، وخيط على مكان الثياب من سرته إلى الركبتين ، وطلّى بدنه بالصبر وغيره من الأطلية القابضة والماسكة لأجزاء جسمه ، فأقام مصلوبا على الجسر

لا يبلى إلى سنة ثمانية في خلافة المقتدر بالله

وفي هذه السنة تشعب الجند العامة فعمدت العامة إليه تماجنا وحطوه من فوق الخشبة ، وقالوا : قد وجب علينا حق الأستاذ أبي علي وصيف الخادم لطول مجاورته لنا وصبره علينا ، ولا يبلى على هذه الخشبة ، فلقوه في رداء بعضهم وحملوه على أكتافهم وهم نحو من مائة ألف من الناس يرقصون ويغنون ويصيحون حوله : الأستاذ الأستاذ ، فلما ضجروا من ذلك طرحوه في دجلة ، وذلك أنهم شيعوه في الماء سباحة ففرق منهم في جرية الماء خلق كثير

وفي هذه السنة أتى بجماعة من القرامطة من ناحية الكوفة منهم المعروف ^{صلب} ^{أبي الفوارس} بأبي الفوارس ، وبعد أن قطعت يده ورجلاه صلب إلى جانب وصيف الخادم ، ثم حول إلى ناحية الكناس مما يلي الناشرية من الجانب الغربي ، فصلب مع قرامطة هناك

وقد كان لأهل بغداد في قتل أبي الفوارس هذا أراجيف كثيرة ، وذلك أنه لما قدم ليضرب عنقه أشاعت العامة أنه قال لمن حضر قتله من العوام : هذه عمامتي تسكون قبلك ، فاني راجع بعد أربعين يوما ، فكان يجتمع في كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحسون الأيام ويقتلون ويتناظرون في الطرق في ذلك ، فلما تمت الأربعون ليلة - وقد كان كثير لغطهم ، واجتمعوا فكان بعضهم يقول : هذا جسده ، ويقول آخر : قد مر وإنما السلطان قتل رجلا آخر وصلبه موضعه لكي لا يفتتن الناس - فكثير تنازع الناس في ذلك حتى نودى بتفريقهم فترك التنازع والخوض فيه

وكان ورد مال من محمد بن زيد من بلاد طبرستان ليفرق في آل أبي طالب سرا ، فغمز بذلك إلى المعتضد ، فأحضر الرجل الذي كان يحمل المال إليهم ، فأنكر عليه إخفاء ذلك ، وأمره باظهاره ، وقرب آل أبي طالب ، وكان السبب في ذلك قرب النسب ، ولما أخبرنا به أبو الحسن محمد بن علي الوراق الأنطاكي

الفضيلة المعروف بابن الغنوي بأنطاكية قال : أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد
الجليس ، قال : رأى المعتضد بالله وهو في سجن أبيه كأن شيخا جالسا على
دجلة يمد يده إلى ماء دجلة فيصير في يده ويحجف دجلة ، ثم يرده من يده فتعود
دجلة كما كانت ، قال : فسألت عنه ، فقيل لي : هذا علي بن أبي طالب عليه
السلام ، قال : فقممت إليه وسلمت عليه فقال : يا أحمد ، إن هذا الأمر صائر
إليك ، فلا تعرض لولدي ، ولا تؤذهم ، فقلت : السمع والطاعة يا أمير المؤمنين
وعم الناس تأخر الخراج عنهم ، وكان إناعام المعتضد عليهم ، فقالت الشعراء
في ذلك وأكثر ، ووصفت في أشعارها ذلك وأطنبت ، فأحسن يحيى بن
علي المنجم فقال :

يا يحيى الشرف الباب ومجدد الملك الخراب
ومعيد ركن الدين في ناثابتا بعد اضطراب
فُتَّ الملوك مبرزا فوت المبرز في الحلاب
أسعد بنيروز جمه ت الشكر فيه إلى الثواب
قدمت في تأخيرما قد قدموه إلى الصواب

وقوله :

يوم نيروزك يوم واحد لا يتأخر
من حزيران يوافي أبداً في أحد عشر

وكان وصول قطر الندي بنت خمارويه إلى مدينة السلام مع ابن الجصاص وصول بنت
في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين ومائتين ، ففي ذلك يقول علي بن العباس
الرومي :

يا سيد العرب الذي زفت له باليمن والبركات سيدة المعجم
اسعد بها كسعودها بك ؛ إنها ظفرت بما فوق المطالب والهجم

ظفرت بملأى ناظرها بهجة وضميرها نبلا وكفيها كرم
شمس الضحى زفت إلى بدر الدجى فتكشفت بهما عن الدنيا ظلم
ولما أدخل عمرو بن الليث إلى مدينة السلام من المصلى العتيق رافعا يديه
يدعو وهو على جل فالج وهو ذو السنامين وكان أنقذه إلى المعتضد في هدايا
تقدمت له قبل أمره ، فقال في ذلك الحسن بن محمد بن مهر :

ألم تر هذا الدهر كيف صروفه يكون عسيرا مرة ويسيرا
وحسبك بالصفار نبلا وعزة يروح ويغدو في الجيوش أميرا
حباهم بأجمال ولم يدرك أنه على جمل منها يقاد أسيرا
وفى ذلك يقول محمد بن بسام :

أيها المغتر بالدعة يا أما أبصرت عمرا
مقبلا قد أركب الفا لج بعد الملك قسرا
وعليه برنس السخطة إذ لالا وقهرا
رافعا كفيه يدعو الله إسرا وجهرا
أن ينجيه من القتل وأن يعمل صفرا

ولما [ظهر] قتل محمد بن هرون لمحمد بن زيد العلوى أظهر المعتضد لذلك
النكير والحزن تأسفا على قتله

وكانت وفاة نصر بن أحمد صاحب ما وراء نهر بلخ في أيام المعتضد ، وذلك
في سنة تسع وثمانين ومائتين ، وصار الأمر إلى أخيه إسماعيل بن أحمد
وكانت وفاة أحمد بن أبي طاهر الكاتب صاحب كتاب « أخبار بغداد »
سنة ثمانين ومائتين

وفاة جماعة
من العلماء

وفيها كانت وفاة أحمد بن محمد القاضي الذي يحدث
وفي سنة إحدى وثمانين ومائتين كانت وفاة أبي بكر عبد الله بن محمد بن

أبي الدنيا القرشي مؤدب المكتفى بالله ، في المعرم ، وهو صاحب الكتب
المصنفة في الزهد وغيره

وفي سنة اثنتين كانت وفاة أبي سهل محمد بن أحمد الرازي المحدث
وإنما نذكر وفاة هؤلاء لدخولهم في التاريخ وحمل الناس العلم عنهم من الآثار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكانت وفاة عبيد الله بن شريك المحدث في سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد
وفيها وفاة بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف بطبرستان
وفيها مات محمد بن الحسين بن الجنيد

وفي سنة ثمان وثمانين ومائتين مات أبو علي بشر بن عميرة الأسدي ، وله
نيف وتسعون سنة ، وقبض ولده وهو ابن تسع وتسعين سنة

وفيها مات أبو المثني معاذ بن المثني بن معاذ العبدى في أيام المعتضد
قال المسعودي : وقد ذكرنا من اشتهر من الفقهاء والمحدثين وغيرهم من أهل
الآراء والأدب في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وإنما نذكر في هذا
الكتاب لمعا ملوحين على ما سلف

وكانت وفاة المعتضد لأربع ساعات خلت من ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع
الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، في قصره المعروف بالحسنى بمدينة السلام ،
وقيل : إن وفاته كانت بسم إسماعيل بن بلبل قبل قتله إياه ، فكان يسرى في
جسده ، ومنهم من ذكر أن جسمه تحلل في مسيره في طلب وصيف الخادم على
ما ذكرنا ، ومنهم من رأى أن بعض جواريه سمته في منديل أعطته إياه يتنشف
ه ، وقيل غير ذلك مما عنه أعرضنا

وقد كان أوصى أن يدفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر في الجانب
بالغربي من الدار المعروفة بدار الرخام ، فلما اعتراه الغشى ووقع للموت شكوا
في وفاته ، فقتقدم الطبيب إلى بعض أعضائه فحسه فأحس به وهو على ما به من

السكرات ، فأنف من ذلك وركله برجله فقلبه أذرعا ، فيقال : إن الطبيب مات منها ، ومات المعتضد من ساعته ، وسمع ضجة وهو على ما به من الحال ففتح عينيه وأشار بيديه كالمستفهم ، فقال له مؤنس الخادم : ياسيدى ، الغلمان قد ضجوا عند القاسم بن عبيد الله فأطلقنا لهم العطاء ، فقطب وهمهم فى سكرته ، فكدت أنفس الجماعة أن تخرج من هيئته ، وحمل إلى دار محمد بن عبد الله ابن طاهر فدفن بها

قال المسعودى : وللمعتضد أخبار وسير وحروب ومسير فى الأرض غير ما ذكرنا ، قد أتينا على ذكرها والفرر من مبسوطها فى كتاب « أخبار الزمان » والأوسط .



ذكر خلافة المكتفي بالله

وبويع المكتفي بالله وهو على بن أحمد المعتضد بمدينة السلام في اليوم
الذي كانت فيه وفاة أبيه المعتضد ، وهو يوم الاثنين ثمان بقين من شهر ربيع
الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، وأخذ له البيعة القاسم بن عبيد الله ، والمكتفي
يومئذ بالركة ، وللمكتفي يومئذ نيف وعشرون سنة ، ويكنى بأبي محمد ، فكان
وصول المكتفي إلى مدينة السلام يوم الاثنين لسبع ليال بقين من جمادى الأولى
سنة تسع وثمانين ومائتين ، وكان دخوله في الماء ، ونزل قصر الحسنى على دجلة ،
وكانت وفاته يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين
ومائتين وهو يومئذ ابن إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر ، فكانت خلافته ست
سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوما ، وقيل : ست سنين وستة أشهر وستة
عشر يوما ، على تباين الناس في تواريخهم ، والله أعلم

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولم يلق مما كان في أيامه

ولم يتقلد الخلافة إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - من

خلافة المتقي لله من اسمه على إلا على بن أبي طالب والمكتفي

ولما نزل المكتفي قصر الحسنى في اليوم الذي كان [فيه] دخوله إلى مدينة أمر بهدم
السلام خلع على القاسم بن عبيد الله ولم يخلع على أحد من القواد ، وأمر بهدم المطامير
التي كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس ، وإطلاق من كان محبوسا فيها ، وأمر
مطامير العذاب التي بناها سلفه
برد المنازل التي كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير إلى أهلها ، وفرق فيهم أموالا
فالت قلوب الرعية إليه ، وكثر الداعي له بهذا السبب

وغلب عليه القاسم بن عبيد الله وفاتك مولاه ، ثم غلب عليه بعد وفاة القاسم بن عبيد الله وزيره العباس بن الحسين وفاتك ، وقد كان القاسم بن عبيد الله أوقع بمحمد بن غالب الاصبهاني ، وكان يتقلد ديوان الرسائل ، وكان ذا علم ومعرفة ، وأوقع بمحمد بن يسار وابن منارة لشئ بلغه عنهم ، فأوثقهم بالحديد ، وأحدرهم إلى البصرة ، فيقال : إنهم غرقوا في الطريق ، ولم يعرف لهم خبر إلى هذه الغاية ، ففي ذلك يقول علي بن بسام : -

عذرنالك في قتلك المسلمين وقلنا عداوة أهل الملل

فهذا المنارى ماذنبه ودينك واحد لم يزل

وقد كانت الحال انفرجت بين القاسم بن عبيد الله وبدر قبل هذا الوقت ، فلما استخلف المكتفي أغراه القاسم ببدر ، وكان ميل جماعة من القواد إلى بدر ، فساروا إلى حضرة السلطان ، وسار بدر إلى واسط ، فأخرج القاسم المكتفي إلى نهر زبال ، فعسكر هنالك ، وجعل في نفس المكتفي من بدر كل حالة يقدر عليها من الشر ، وأغراه به ، فأحضر القاسم أبا حازم القاضي وكان ذا علم ودراية فأمره عن أمير المؤمنين بالسير إلى بدر فيأخذ له الأمان ويحيى به معه ويضمن له عن أمير المؤمنين ما أحب ، فقال أبو حازم : ما كنت أبلغ عن أمير المؤمنين رسالة لم أسمعها منه ، فلما امتنع عليه أحضر أبا عمرو بن يوسف القاضي فأرسل به إلى بدر في سر ، فأعطاه الأمان والعهود والمواثيق عن المكتفي ، وضمن له أنه لا يسلمه عن يده إلا عن رؤية أمير المؤمنين ، فخلى عسكره ، وجلس معه في السرا مصعدين ، فلما انتهوا إلى ناحية المدائن والسبب تلقاه جماعة بالحذر فأحاطوا بالسرا وتنحى أبو عمرو عنه إلى طيار فركب فيه ، وقرب بدر إلى الشط ، وسألهم أن يصلوا ركعتين ، وذلك في يوم الجمعة لست خلون من شهر رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين وقت الزوال ، فأملهوه للصلاة ، فلما كان في الركعة الثانية قطعت عنقه ،

وأخذ رأسه فحمل إلى المكتفى ، فلما وضع الرأس بين يدي المكتفى سجد ، وقال :
الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة .

ودخل المكتفى إلى مدينة السلام يوم الأحد لثمان خلون من شهر رمضان ،
ففى محمد بن يوسف القاضى يقول بعض الشعراء فى ضيافته لبدر العهود والمواثيق
عن المكتفى :

قل لقاضى مدينة المنصور بم أحلت أخذ رأس الأمير
بعد إعطائه المواثيق والعهد وعقد الأمان فى مسطور
أين أيمانك التى يشهد الله على أنها يمين فجور ؟
أين تأكيدك الطلاق ثلاثا ليس فيه نية التخيير ؟
إن كفيك لاتفارق كفيه إلى أن ترى ملك السرير
يا قليل الحياء يا أكذب الأمه يا شاهدا شهادة زور
ليس هذا فعل القضاة ولا يح سن أمثاله ولاه الجسور
قد مضى من قتلت فى رمضان را كما بعد سجدة التكبير
أى ذنب أتيت فى الجمعة الزه راء فى خير خير خير الشهور ؟
فأعدّ الجواب للحكم العا دل من بعد منكر ونكير
يا بنى يوسف بن يعقوب أضحى أهل بغداد منكم فى غرور
شئت الله شملكم وأرانى بكم النذل بعد ذل الوزير
أنتم كلكم فداء أبى حا زم المستقيم كل الأمور

قالوا : وكان بدر حرا ، وهو بدر بن خير من موالى المتوكل ، وكان بدر فى
خدمة ناشئ غلام الموفق صاحب ركابه ، ثم اتصل بالمعتضد ، وقرب من قلبه ،
وخف بين يديه فى أيام الموفق ، وكان للمعتضد غلام يقال له فاتك ، وكان من

أعلى غلما نه ، فبعد من قلبه ، وانحطت مرتبته ، وكان السبب في ذلك أن المعتضد غضب على بعض جواريه فأمر ببيعها ، فذس فأتك من ابتاعها له ، فكان السبب في إبعاده من قلب المعتضد عند نمو ذلك إليه ، وزاد أمر بدر ، وعلت مرتبته ، حتى كان يلتمس الخوايج به من المعتضد ، وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضد ، وكذلك من خاطبه فيما عدا المنظوم من الكلام قال المسعودى : وأخبرنى أبو بكر محمد بن يحيى الصولى النديم الشطرنجى بمدينة السلام قال : كان لى وعد على المعتضد ، فما ظفرت به حتى عملت قصيدة ذكرت فيها بدرا أولها :

أيها الهاجر مز حالا	أجزأء الود أن يلتقى بصد
لأمير المؤمنين المعتضد	بحر جود ليس يعدوه أحد
وأبو النجم لمن يقصده	جدول منه إلى البحر يرد
قدمضى الفطر إلى الأضحى وقد	آن أن يقرب وعد قد بعد
ما اقتضانى الوعد أن لست على	ثقة من أنه أخذ بيد
غير أن النفس تهوى عاجلا	وسوا أعطى كريم أو وعد

قال : فضحك ، وأمر بما وعدنى به

وأخبرنا محمد بن النديم بمدينة السلام ، قال : سمعت المعتضد يقول : أنا آنف من هبة القليل ، ولا أرى الدنيا لو كانت لى أموالها وجمعت عندى تفى بقدر جودى ، والناس يزعمون أنى بخيل أترام لا يعلمون أنى جعلت أبا النجم بينى وبينهم أعرف ما مبلغ ما ينفقه يوما فيوما لو كنت بخيلا ما أطلقت ذلك له

وأخبرنا أبو الحسن محمد بن على الفقيه الوراق الأنطاكى بمدينة أنطاكية قال : أخبرنى إبراهيم بن محمد الكاتب ، عن يحيى بن على المنجم النديم :

قال : كنت يوما بين يدي المعتضد وهو مقطب ، فأقبل بدر ، فلما رآه من بعيد ضحك وقال لي : يا يحيى ، من الذى يقول من الشعراء

فى وجهه شافعٌ يَمْحُوْ إِسَاءَتَهُ من القلوب وجيهٌ حيثما شفعا

فقلت : يقوله الحكم بن مرة المازنى ، فقال : لله دره أنشدنى هذا الشعر ، فأنشدته

وبلى على من أطار النجوم فامتنعا وزاد قلبى على أوجاعه وجعا

كأنما الشمس فى أعطافه لمعتُ حسنا أو البدر من أزراره طلعا

مستقبل بالذى يهوى ، وإن كثرت منه الذنوب ، ومعدور بما صنعا

فى وجهه شافعٌ يَمْحُوْ إِسَاءَتَهُ من القلوب وجيهٌ حيثما شفعا

قال : وأخذ قوله * أو البدر من أزراره طلعا * أحمد بن يحيى بن العراف

السكراني فقال :

بدا وكأنما قمر على أزراره طلعا

يحت المسك عن عرق الـ جبين بنانه ولما

وفى سنة تسع وثمانين ومائتين ظهر القرمطى بالشام ، وكان فى حروبه مع ظفج وعساكر المصريين ما قد اشتهر خبره ، وقد أتينا على ذكره فيما سلف ، وما كان من خروج المكتفى إلى الرقة وأخذ القرامطة ، وذلك فى سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وكذلك ما كان من ذكرويه بن مبرويه ووقوعه بالحاج فى سنة أربع وتسعين ومائتين إلى أن قتل وأدخل إلى مدينة السلام

قال المسعودى : وكان فداء الغدر فى ذى القعدة من سنة اثنتين وتسعين ومائتين بالآمنين بعد أن فادوا بجماعة المسلمين ، ثم إن الروم قدروا بعد ذلك ، وكان فداء التمام بالآمنين بين المسلمين على التمام فى شوال من سنة خمس وتسعين ومائتين ، والامير فى الفداءين جميعا رستم ، وكان على الثغور الشامية ، فكان عدة من فدى به من المسلمين فى فداء ابن طغان فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين على

حسب ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب من ذكره ألفى نفس وأربعمائة وخمسة وتسعين نفسا من ذكر وأُنثى ، وكان عدة من قدى به من المسلمين فى القدر ألفا ومائة وأربعا وخمسين نفسا ، وعدد من فودى به فى فداء التمام ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين نفسا .

تركة المكتنى

ومات المكتنى وقد خلف فى بيوت الأموال ثمانية آلاف ألف دينار ، ومن الورق خمسة وعشرين ألف ألف درهم ، ومن الدواب والبغال والحمارات وغيرها تسعة آلاف رأس ، وكان مع ذلك بخيلا ضيقا .

وأخبرنا أبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم المعروف بابن النديم ، وكان من حذاق أهل النظر والبحث وأهل الرياسة من أهل التوحيد والعدل ، وفى ابنه علي ابن يحيى يقول أبو هفان :

لِرَبِيعِ الزَّمانِ فى الحَوْلِ وقت وابنِ يحيى فى كلِّ وقتٍ رَبِيعُ
رَجُلٌ عِنْدَهُ المِكارمُ سَوْق يَشْتَرِي دَهْرَهُ ونَحْنُ نَبِيعُ

مائدة المكتنى

قال : وكانت وظيفة المكتنى بالله عشرة ألوان فى كل يوم ، وجدى فى كل جمعة ، وثلاث جامات حلوا ، وكان يردد عليه الحلوا ، ووكل على مائدته بعض خدمه ، وأمره أن يحصى ما فضل من الخبز ، فما كان من المكسر عزله للثريد ، وما كان من الصبحاح رد إلى مائدته من الغد ، وكذلك كان يفعل بالنوادروا الحلوا وأمر أن يتخذ له قصر بناحية الشاسمية بازاء قطر بل ، فأخذ بهذا السبب ضياعا كثيرة ومزارع كانت فى تلك النواحي بغير ثمن من ملاكها ، فكثر الداعى عليه ، فلم يستتم ذلك البناء حتى توفى ، وكان هذا الفعل مشاكلا لفعل أبيه المعتضد فى بناء المطامير .

طمع المكتنى

قسوة وزيره وكان وزيره القاسم بن عبيد الله عظيم الهيبة شديد الاقدام ، سفا كاللدماء ، وكان الكبير والصغير على رعب منه ، لا يعرف أحد منهم لنفسه نعمة معه

وكانت وفاته عشية الأربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وله نيف وثلاثون سنة ، ففى ذلك يقول بعض أهل الأدب وأراه عبد الله بن الحسن بن سعد :

شربنا عَشِيَّةَ مات الوزير ونَشَرُّبُ يا قوم فى ثالثه
فلا قدَّسَ الله تلك العظامَ ولا بارك الله فى وارثه

وكان ممن قتل القاسم بن عبيد الله عبد الواحد بن الموفق وكان معتقلا عند مؤنس فبعث إليه حتى أخذ برأسه ، وذلك فى أيام المكتفى ، وقد كان المعتضد يعزه ويميل إليه ميلا شديدا ، ولم يكن لعبد الواحد همه فى خلافة ولا سمو إلى رياسة ، بل كان همته فى اللعب مع الأحداث ، وقد كان المكتفى خبر عنه أنه أرسل عدة من غلمانہ الخاصة فوكل به من يراعى خبره وما يظهر من قوله إذا أخذ الشراب منه ، فسمع منه وقد طرب وهو ينشد شعر العتابى حيث يقول :

تلوم على تَرَك الغناء بأهله طَوَى الدهر عنها من طريف وتالد
رأت حولها النسوان يمشين حلقة مُقَلَّدَةً أَجِيَّادها بالقلائد
يسرك أنى نلت ما نال جعفر من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصنى مُغَصَّصًا بِالْمُرْهَقَاتِ البوارد
ذرىنى تيجنى ميمتى مطمئنة ولم أَتَجَسَّمْ هَوْلَ تلك الموارد
فإن نفيسات الأمور مشوبة بمستودعات فى بطون الأسود
وإن الذى يسمو إلى دَرَك العلا مُلَقًى بِأسباب الردى والمكايد

فقال له بعض ندمائه وقد أخذ منه الشراب : ياسيدى ، أين أنت عما تمثّل

به يزيد بن المهلب

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد حياةً لنفسى مثل أن أتقدّمَا
فقال له عبد الواحد : مه لقد أخطأت الغرض ، وأخطأ ابن المهلب ، وأخطأ

قائل هذا البيت ، وأصاب أبو فرعون التميمي حيث يقول ، قال النديم : حيث يقول ماذا ؟ قال : قال :

ومابى شيء فى الوجى غير أننى أخاف على مجرأى أن يتحطما
ولو كنت مُبتاعاً من السوق مثلها لدى الدرع ما باليت أن أتقدما

فلما انتهى ذلك إلى المكتفى ضحك ، وقال : قد قات للقاسم ليس عمى
عبد الواحد ممن تسمو همته إليها ، هذا قول من ليس له همه غير فرجه وجوفه
وأمرد يعاقبه وكلاب يهارش بها وكباش يناطح بها وديوك يقاتل بها ، أطلقوا
لعمى كذا وكذا ، فلم يزل القاسم بعبد الواحد حتى قتله

وقد كان المكتفى لما أن مات القاسم وتبين قتله لعبد الواحد أراد نبش
القاسم من قبره ، وضربه بالسوط ، وحرقه بالنار ، وقد قيل غير ذلك ، والله أعلم
ومن أهلك القاسم بن عبيد الله على ما قيل بالسم فى خشكنا نجة على بن
العباس بن سريج الرومى ، وكان منشؤه ببغداد ووفاته بها ، وكان من مختلفى
معانى الشعراء ، والمجودين فى القصير والطويل ، متصرفا فى المذاهب تصرفا
حسنا ، وكان أقل أدواته الشعر ، ومن محكم شعره وجيده قوله :

ابن الرومى
أحد صرعى
القاسم بن
عبيد الله

رأيت الدهر يجرح ثم يأسو يعوض أو يسلى أو ينسى

أبت نفسى الهلاك لفقد شيء كفى حزناً لنفسى فقد نفسى

ومن قوله العجيب الذى ذهب فيه إلى معانى فلاسفة اليونانيين ومن مهر
من المتقدمين قوله فى القصيدة التى قالها فى صاعد بن مخلد

لما تُؤذَنُ الدنيا به من زوالها يكونُ بكاءُ الطفل ساعةً يوضع

وإلا فما يُبكيه منها وإنها لأفسح مما كان فيه وأوسع

ومما دق فيه فأحسن وذهب إلى معنى لطيف من النظر على ترتيب الجدلين

وطريقة حذاق المتقدمين قوله :

غموض الشيء حين تدب عنه يقلل ناصر الخصم المحقق
تضييق عقول مستمعيه عنه فيقضى للمجل على المدقق
ومما أجاد فيه في وصف القناعة قوله :

إذا ما شئت أن تعد سم يوما كذب الشهوة
فكل ما شئت يصدرك عن المرة والحلوة
وطأ ما شئت يحصنك عن الحسناء والدره
وكم أنساك ما تهوا ه نيل الشيء لم تهوه
وقوله :

بأبي حسن وجهك اليوسفى يا كفى الهوى وفوق الكفى
فيه ورد وزجس وعجيب اجتماع الشتوى والصيفى
وقوله فى العنب الرازق :

ورازق مخطف الخصور كأنه مخازن البلور
ألين فى المس من الحرير لو أنه يبقى على الدهور
* لقرطوه للحسان الحور *

ولابن الرومى أخبار حسان مع القاسم بن عبيد الله ، وأبى الحسن على بن
سليمان الأخفش النحوى ، وأبى العباس الزجاجى النحوى .
وكان ابن الرومى الأغلب عليه من الأخطا السوداء ، وكان شرها نهما ،
وله أخبار تدل على ما ذكرناه من هذه الجمل مع أبى سهل إسماعيل بن على
النوبختى وغيره من آل نوبخت .

وفى سنة تسعين ومائتين مات عبد الله بن أحمد بن حنبل ، يوم السبت
عشر بقين من جمادى الآخرة .

وفى سنة إحدى وتسعين ومائتين كانت وفاة أبى العباس أحمد بن يحيى

وفاته

عبد الله بن

أحمد بن حنبل

وفاة المعروف بثعلب ، ليلة السبت ثمان بقين من جمادى الأولى ، ودفن في مقابر الشام
أحمد بن يحيى في حجرة اشترت له وخلف إحدى وعشرين ألف درهم وألفى دينار ، وغلة
ثعلب بشارع باب الشام قيمتها ثلاثة آلاف دينار

ولم يزل أحمد بن يحيى مقدما عند العلماء منذ أيام حدائته إلى أن كبر وصار
إماما في صناعته ، ولم يخلف وارثا إلا ابنة لابنه ، فرد ماله عليها ، وكان هو وأحمد
ابن المبرد عالمن قد ختم بهما خاتم الأدباء ، وكانا كما قال بعض الشعراء من المحدثين :
أيّا طالب العلم لا تجهل وعُذُّ بالمبرد أو ثعلب
تجد عندهذين علم الورى وإنك كالجلج الأجر
علوم الخلاق مقرونة بهذين فى الشرق والغرب

وكان محمد بن يزيد المبردي يحب أن يجتمع في المناظرة مع أحمد بن يحيى
ويستكثر منه ، وكان أحمد بن يحيى يمتنع من ذلك .

وأخبرنا أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلى الفقيه ، وكان صديقهما ، قال :
قلت لأبى عبيد الله الدينورى ختن ثعلب : لم يأبى أحمد بن يحيى الاجتماع مع
المبرد ؟ فقال لى : أبو العباس محمد بن يزيد حسن العبارة ، حلو الاشارة ، فصيح
اللسان ، ظاهر البيان ، وأحمد بن يحيى مذهبه مذهب المعلمين ، فاذا اجتمعا فى
محفل حكم لهذا على الظاهر إلى أن يعرف الباطن

وأخبرنا أبو بكر القاسم بن بشار الأنبارى النحوى ، أن أبا على الدينورى
هذا كان يختلف إلى أبى العباس المبرد يقرأ عليه كتاب سيبويه عمرو بن عثمان
ابن قنبر ، فكان ثعلب يعذله على ذلك ، فلم يكن ذلك يردعه

وقيل : إن وفاة أحمد بن يحيى ثعلب كانت فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين
وفى هذه السنة مات محمد بن محمد الجدوعى القاضى ، وله أخبار عجيبة فيما كان
به من المذهب قد أتينا على وصفه وتوادره فيها وما كان به من التعرز فى الأوسط
وفى سنة اثنتين وتسعين ومائتين كانت وفاة أبى حازم عبد العزيز بن

وفاة الجدوعى

عبد الحميد القاضي ، يوم الخميس لسبع ليال خلون من جمادى الآخرة من هذه وفاة أبي حازم
السنة ببغداد وله نيف وتسعون سنة

وفي هذه السنة تغلب ابن الخليجي في ستة آلاف وتسعين بمصر وأبوه
على مصر .

وفيها وقع الحريق العظيم ، فأحرق الغلة بباب المطاق نحواً من ثلثمائة دكان
وأكثر ، وظفر باب الخليجي في سنة ثلاث وتسعين ومائتين بمصر ، وأدخل إلى
بغداد ، وقد أشهر ، وقدامه أربعة وعشرون إنساناً من أصحابه منهم العراجي
الخادم الأسود ، وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة

وفي سنة أربع وتسعين ومائتين مات موسى بن هرون بن عبدالله بن مروان
البرار المحدث المعروف بالجمال ، في يوم الخميس لحدى عشرة ليلة بقيت من
شعبان ببغداد ، ويكنى أبا عمران ، وهو ابن نيف وثمانين سنة ، ودفن في مقابر
باب حرب إلى جانب أحمد بن حنبل

وقد قدمنا العذر فيما سلف من هذا الكتاب لذكرنا وفاة هؤلاء الشيوخ
إذ كان الناس في أغراضهم مختلفين ، وفي طلبهم الفوائد متباينين ، وربما قديتف
على هذا الكتاب من لا غرض له فيما ذكرناه فيه ويكون غرضه معرفة وفاة
هؤلاء الشيوخ .

وكانت وفاة أبي مسلم إبراهيم بن عبدالله الكجي البصري المحدث في وفاة أبي مسلم
الحرم سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وكان مولده في شهر رمضان سنة مائتين .

وقبض أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وهو في سن أبي مسلم على ما ذكرنا
من تنازع الناس في تاريخ وفاته ، وقد كان أبو العباس أحمد بن يحيى قد ناله
صمم وزاد عليه قبل موته ، حتى كان المخاطب له يكتب ما يريد في رقاع

وأخبرنا محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي ، قال : كنا يوماً نأكل بين يدي
المكتفي ، فوضعت بين أيدينا قطائف رفعت من بين يديه في نهاية النصارة

حديث عن
ثعلب وابن
الرومي

ورقة الخبز وإحكام العمل ، فقال : هل وصفت الشعراء هذا ؟ فقال له يحيى بن
على : نعم ، قال أحمد بن يحيى فيها :

قطائف قد حشيت باللوز والسكر المازى حشو الموز
تسبح فى أرى دهن الجوز سررت لما وقعت فى حوزى
سرور عباس بقرب فوز

قال : وأنشدت لابن الرومى

* وأنت قطائف بعد ذاك لطائف *

فقال : هذا يقتضى ابتداء ، فأنشدنى الشعر من أوله ، فأنشدته لابن الرومى :

وخبيصة صفراء دينارية ثمننا ولونا زفها لك جوذرى
عظمت فكادت أن تكون إوزة وثوت فكاد إهابها يتفطر
طفت تجود بوبلها جوزابه فاذا لباب اللوز فيها السكر
نعم السماء هناك ظل صبيها يهيمى ، ونعم الأرض ظلت تمطر
ياحسها فوق الخوان وبنها قدامها بصهرها تنغرغر
ظلنا تنشر جلدها عن لحمها وكان تبرأ عن لجين يقشر
وتقدمتها قبل ذاك ثرائد مثل الرياض بمثلن يصدر
ومرفقات كلهن مزخرف بالبيض منها ملبس ومدثر
وأنت قطائف بعد ذاك لطائف ترضى الالهة بها ويرضى الخنجر
ضحك الوجود من الطبرزد فوقها دمع العيون مع الدهان يعصر
فاستحسن المكثفى بالله الأبيات وأوما إلى أن أكتبها له ، فكتبتها له

قال محمد بن يحيى الصولى : وأكلنا يوما بين يديه بعد هذا بمقدار شهر ،
فجاءت لوز ينبجة ، فقال : هل وصف ابن الرومى اللوز ينبج ؟ فقلت : نعم ، فقال :
أنشدنيه ، فأنشدته

لا يخطئنى منك لوز ينبج إذا بدا أعجب أو أعجبا

لم تغلق الشهوة أبوابها — إلا أبت زلفاه أن تحجبا
لو شاء أن يذهب فى صحنه — لسهل الطيب له مذهبها
يدور بالنفحة فى جامه — دورا ترى الدهن له لولبا
عاون فيه منظر مخبرا — مستحسن ساعد مستعذبا
كالحسن المحسن فى شدوه — تم فأضحى مغربا مطربا
مستكشف الحشو ولكنه — أرقّ جلداً من نسيم الصبا
كأنما قدت جلابيبه — من أعين القطر الذى طنبا
تخال فى رقة خرسانه — شارك فى الأضحية الجندبا
لو أنه صور من خبزه — ثغراً لكان الواضح الأشنبا
من كل بيضاء يود الفتى — أن يجعل الكف لها مركبا
مدهونة ورقاء مدفونة — شهباء تحكى الأورق الأشهباء
دين له اللوز فلا مرة — مرت على الذائق إلا أبى
وانتقد السكر نقاده — وشارفوا فى تقده المذهباء
فلا إذا العين رأها نبت — ولا إذا الطرس علاها نبا
حففظها المكتفى فكان ينشدها

ومما استحسن من شعر المكتفى لنفسه :

إنى كلفت فلا تلحوا بجارية — كأنها الشمس بل زادت على الشمس
لها من الحسن أعلاه ؛ فرويتها — سعدى ، وغيبتها عن ناظرى نحسى
وللمكتفى أيضا :

بلغ النفس ما اشتت — فإذا هى قد اشتفت
إنما العيش ساعة — أنت فيها وما انقضت
كل من يعدل الحب — إذا ما هدا سكت

وله أيضا :

بعض شعر
المكتفى

من لى بأن تعلم ما ألقى فتعرف الصبوة والعشقا
ما زال لى عبداً، وحى له صيرنى عبداً له رقا
أعتق من رقى ولكنى من حبه لا أملك العتقا

وأخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوى المعروف بنفطويه ،
قال : أخبرنا أبو محمد عبد بن حمدون ، قال : تذاكرنا يوماً بحضرة المكتفى ،
فقال : فيكم من يحفظ فى نبيذ الدوشاب شيئاً ؟ فأنشدته قول ابن الرومى :

إذا أخذت حبه ودبسه ثم أخذت ضربه ومرسه
ثم أطلت فى الاناء حبسه شرفت منه البابلى نفسه

فقال المكتفى : قبحه الله !! ما أشربه !! لقد شوقنى فى هذا اليوم إلى
شرب الدوشابى ، وقدم الطعام فوضع بين أيدينا طيفورية عظيمة فيها هريسة ، وقد
جعل فى وسطها مثل السكرجة الضخمة فيها دسم الدجاج ، فضحكت وخطر ببالى
خبر الرشيد مع أبان القارى ، فلحظنى المكتفى ، وقال : يا أبا عبد الله ، ما هذا
الضحك ؟ فقلت : خبر ذكرته فى الهريسة يا أمير المؤمنين ودهن الدجاج مع جدك
الرشيد ، فقال : ما هو ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ذكر العتبى والمدائنى أن
أبان القارى تغدّى مع الرشيد ، فجاءوا بهريسة عجيبة فى وسطها مثل السكرجة
الضخمة على هذا المثل من دهن الدجاج ، قال أبان : فاشتيت من ذلك الدسم ،
وأجلت الرشيد من أن أمد يدى فأغمس فيه ، قال : ففتحت بأصبعى فيه فتحا
يسيرا ، فانقلب الدسم نحوى ، فقال الرشيد : يا أبان ، أخرقتها لتفرق أهلها ؟ فقال
أبان : لا يا أمير المؤمنين ، ولكن سقناه لبلد ميت ، فضحك الرشيد حتى أمسك صدره
وفى سنة خمس وتسعين ومائتين وردت إلى مدينة السلام هدية زيادة الله
ابن عبد الله ، ويكنى أبا مضر ، وكانت الهدية مائتى خادم أسود وأبيض ، ومائة
وخمسين جارية ، ومائة من الخيل العربية ، وغير ذلك من اللطائف

وقد كان الرشيد فى سنة أربع وثمانين ومائة — وذلك بالركة — قلد إبراهيم

ابن الأغلب أمر إفريقية من أرض المغرب ، فلم يزل آل الأغلب أمراء إفريقية حتى أخرج عنها زيادة الله بن عبد الله هذا في سنة ست وتسعين ومائتين ، وقيل : في سنة خمس وتسعين ومائتين ، أخرجه من المغرب أبو عبد الله المحتسب الداعية الذي ظهر في كنانة وغيرهما من البربر ، فدعا إلى عبد الله صاحب المغرب ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب تولية المنصور للأغلب بن سالم السعدي المغرب قال : واشتدت علة المكتفى بالله بالدرب ، فأحضر محمد بن يوسف القاضي وعبد الله بن علي بن أبي الشوارب ، فأشهدهما على قضيته بالعهد إلى أخيه جعفر ، وقد قدمنا ذكر وصيته فيما سلف من هذا الكتاب فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع

قال المسعودي : والمكتفى بالله أخبار حسان ، وما كان في عصره من الكوائن في قصة ابن الحلبي بمصر ، وأمر القرمطي بالشام ، وأمر ذكرويه وخروجه على الحاج ، وغير ذلك مما كان في خلافته ، قد أتينا على جميع ذلك في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط فأغنى ذلك عن إعادة ذكره



ذكر خلافة المقتدر بالله

و بويع المقتدر جعفر بن أحمد في اليوم الذي توفي فيه أخوه المكتفي بالله ،
 وكان يوم الأحد ثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ،
 ويكنى أبا الفضل ، وأمه أم ولد يقال لها سغب ، وكذلك أم المكتفي أم ولد يقال
 لها ظلوم ، وقيل غير ذلك ، وكان له يومَ بويع ثلاثة عشر سنة ، وقتل ببغداد
 بعد صلاة العصر يوم الأربعاء ثلاث ليال بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة ،
 فكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً ، وبلغ
 من السن ثمانية وثلاثين سنة وخمسة عشر يوماً ، وقد قيل في مقدار عمره غير
 ما ذكرنا ، والله أعلم

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولمعه مما كان في أيامه

و بويع المقتدر وعلى وزارته العباس بن الحسن إلى أن وثب الحسين بن حمدان
 ووصيف بن سوار تسكين وغيرهما من الأولياء على العباس بن الحسن فقتلوه وفاتكا
 معه ، وذلك في يوم السبت لحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة ست
 وتسعين ومائتين ، وكان من أمر عبد الله بن المعتز ومحمد بن داود وغيرهما ما قد
 اتضح في الناس واشتهر ، وأتينا على ذكره في الكتاب الأوسط وغيره من أخبار
 المقتدر ، وقد صنف جماعة من الناس أخبار المقتدر مجتمعة مع أخبار غيره من
 الخلفاء ومفردة ، وعمل ذلك في أخبار بغداد ، وقد صنف أبو عبد الله بن عبدوس
 الجهمشاري أخبار المقتدر في ألف من الأوراق ، ووقع لى منها أجزاء يسيرة
 وأخبرني غير واحد من أهل الدراية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر

في ألف ورقة ، وإنما نذكر من أخبار كل واحد منهم لمعا ، وإنما الغرض جوامع
من أخبارهم تبعث على درسه وحفظ ما فيه ونسخه
وكان عبد الله بن المعتز أديبا ، بليغا ، شاعرا ، مطبوعا ، مجودا ، مقتدرا على
الشعر ، قريب المأخذ ، سهل اللفظ ، جيد القريحة ، حسن الاقتراح المعاني ،
فمن ذلك قوله :

يقول العاذلون : تعرّ عنها وأطف لهيب قلبك بالسُّلُوْ
وكيف وقُبلةٌ منها اختِلَاسًا ألدُّ من الشِّماتة بالعدو
وقوله :

ضعيفة أجفانه والقلب منه حجر
كأنما ألحظه من فعله تعتذر

وقوله :

تولى الجهلُ واتقطع العتاب ولاح الشيبُ وافتضح الخضاب
لقد أبغضت نفسي في مشيبي فكيف تحبني الخود الكعاب
وقوله :

عجبا للزمان من حالتيه وبلاء دُفِعْتُ منه إليه
رُبَّ يوم بكيت فيه فلما صِرْتُ في غيره بليت عليه

وقوله في أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات الوزير :

أبا حسن ، بُنِيت في الأرض وطأني وأدركتني في العضلات الهزاهز
والبستني درعاً على حصينةً فناديت صرف الدهر هل من مبارز
وقوله :

ومن شر أيام القتي بَذَلُ وجهه إلى غير من خَفَّتْ عليه الصنائع
متى يدرك الإحسان من لم تكن له إلى طَلَبِ الإحسان نفس تنازع

وقوله :

فان شئت عادتني السقاة بكأسها وقد فتح الاصباح في ليله فما
نخلت الدجاء والفجر قدمد خيطه رداء موشى بالسكواكب معلما
وقوله :

وأبكي إذا ما غاب نجم كأنني فقدتُ صديقاً أوزرُنتُ حميما
فلوشق من طرف الليالي كواكب شققتُ لها من ناظري نجومًا
ومما أحسن فيه قوله في عبيد الله بن سليمان :

لآل سليمان بن وهب صنائع إلى ومعروفٍ لدى تقدما
هُمُ علموا الأيام كيف بنوتى وهم غسلا من ثوب والدَى الدما
وقوله عند وفاة المعتصم بالله :

قَضَوْا ما قَضَوْا من حقه ثم قدموا إماما يؤم الخلق بين يديه
وصلوا عليه خاشعين كأنهم صفوف قيام للسلام عليه
وقوله في فساد المعتضد بالله :

يادماً سال من ذراع الامام أنت أركى من عنبر ومُدام
قد ظنناك إذ جريت إلى الطس مت دموا من مقتلتي مستهام
إنما غرق الطيب شبا الب ضع في نفس مهجة الإسلام
وقوله :

اصبر على حسد الحسو دفان صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله
وقوله :

يطوف بالراح بيننا بشر مُحَكَّم في القلوب والمقل

يكاد لحظ العيون حين بدا يسفك من خده دم الخجل
وقوله :

رَشًا يَتِيهِ بِحَسَنِ صُورَتِهِ عَبَثَ الْفَتُورِ بِالْعِظِ مَقْلَتِهِ
وَكَاْنُ عَقْرَبِ صُدْغِهِ وَقَفَتْ لَمَّا دَنْتُ مِنْ نَارِ وَجْنَتِهِ
وقوله :

إذا اجتنى وردة من خده فمه تكونت تحتها أخرى من الخجل

قال : وكانت وفاة أبي بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني الفقيه سنة ست وتسعين ومائتين ، وكان ممن قد علا في رتبة الأدب ، وتصرف في بحار اللغة ، وتفنن في موارد المذاهب ، وأشفى على أغراض المطالب ، وكان عالما بالفقه منفردا ، وواحدا فيه فريدا ، وألف في عنفوان صباه وقبل كماله وانتهائه الكتاب المعروف بالزهرة ، ثم تناهت فكرته ، ونسقت قوته ، فصنف الفقهيات ككتابه في الوصول إلى معرفة الأصول ، وكتاب الانذار ، وكتاب الاعذار ، والابحار ، وكتابه المعروف بالانتصار على محمد بن جرير وعبد الله بن شرشي وعيسى بن إبراهيم الضرير

ومما قال فيه فأحسن في عنفوان شبابه وأثبتته في كتابه المترجم بالزهرة وعزاه إلى بعض أهل عصره وإن كان محسنا في سائر كلامه من منظومه ومنشوره
قوله :

على كبدي من خيفة البين لوعة يكاد لها قلبي أمسى يَتَصَدَّعُ
يخاف وقوع البين والشمل جامع فيبكي بعين دمعها متسرع
فلو كان مسرورا بما هو واقع كما هم محزون بما يتوقع
لكان سواء برؤه وسقامه ولكن وشك البين أدهى وأوجع

وقوله :

تمتع من حبيبك بالوداع إلى وقت السرور بالاجتماع
فكم جربت من وصل وهجر ومن حال ارتفاع واتضاع
وكم كأس أمر من المنايا شربت فلم يضر عنها ذراعى
فلم أرفى الذى لاقيت شيئا أمراً من الفراق بلا وداع
تعالى الله كل مواصلات وإن طالت تؤول إلى انقطاع

وقوله :

لاخير فى عاشق يخنى صبايته بالقول والشوق فى زفراته بادی
يخنى هواه وما يخنى على أحد حتى على العيس والركبان والحادى
وفى سنة ثلاث وثلاثمائة فى خلافة المقتدر بالله كانت وفاة على بن محمد بن
نصر^(١) بن منصور بن بسام ، وكان شاعرا لسنا ، مطبوعا فى الهجاء ، ولم يسلم منه
وزير ولا أمير ولا صغير ولا كبير ، وله فى هجاء أبيه وإخوته وسائر أهل بيته
فما قال فى أبيه :

على بن محمد
ابن بسام

بنى أبو جعفر داراً فشيدها ومثله لخيار الدور بناءً
فالجوع داخلها ، والدل خارجها ، وفى جوانبها بؤس وضرأ
وله فيه :

ما ينفع الدار من تشييد حائطها وليس داخلها خبز ولا ماء
وله فيه :

هَبْكَ عُمَرَتْ عُمَرَشْرِينَ نَسْرَأُ أَتَرَى أَنَّى أَمُوتُ وَتَبْقَى
فَلْتَن عَشْتُ بَعْدَ يَوْمِكَ يَوْمًا لِأَشَقَّ جَيْبَ مَالِكَ شَقًّا
وله فيه :

رأى الجوع طبافه ويحمى ويحتمى فلست ترى فى داره غير جائع

(١) سيأتى فى ترجمة أبيه « محمد بن جعفر » (ص ٢٣١)

ويزعم أن الفقر في الجود والسخا وأن ليس حظ في اكتساب الصنائع
لقد أمن الدنيا ولم يخش صرفها ولم يدر أن المرء رهنُ الفجائع
وأنشدني أبو الحسن محمد بن علي الفقيه الوراق الأنطاكي بأنطاكية لعل
ابن محمد بن بسام يهجو الموفق والوزير أبا الصقر إسماعيل بن بلبل والطائي أمير
بغداد وعبدون النصراني أخا صاعد وأبا العباس بن بسام وحامد بن العباس وزير
المقتدر بالله بعد ذلك وإسحق بن عمران أمير الكوفة يومئذ :

أبرجُو الموفق نصر الإله	وأمر العباد إلى دانيه
ومن قبلها كان أمر العباد	لعمري أبيتك إلى زانيه
فان رضيت رضيت أنه	كدالية فوقها داليه
وظل ابن بلبل يدعى الوزير	ولم يك في الأعصر الخالية
وطحان طى تولى الجسور	وسقى الفرات وزرقاميه
ويحكم عبدون في المساهين	ومن ضله موجد الخاليه
وأحوال بسطام ظل المشير	وكان يحوك ببرزاطيه
وحامد ياقوم لو أمره	إلى لأزمته الراويه
نم ، ولأرجعته صاغرا	إلى بيع رمان حصارويه
وإسحق عمران يدعى الأمير	لداهية أيما داهيه
فهذي الخلافة قد ودعت	وظلت على عرشها خاويه
فخل الزمان لأوغاده	إلى لعنة الله والهاويه
فيارب قد ركب الأردلون	ورجلى في رجلهم عاليه
فان كنت حاملنا مثلهم	وإلا فأرحل بني الزانيه

جمع في شعره هذا جميع رؤساء أهل الدولة في ذلك العصر

وأنشد أبو إسحق الزجاج النحوى صاحب المبرد فى المعتضد وقد ختن ابنه
جعفر المقتدر :

انصرف الناس من ختان يدعون من جوعهم حزاما
فقلت لا تعجبوا لهذا فهكذا تخرن اليتامى
وله أيضا فى المعتضد :

إلى كم لا نرى ما نرتجيه ولا نفك من أمل كذوب
لئن سموك معتضدا فإنى أظنك سوف تعضد عن قريب

وله فى الوزير العباس بن الحسن وابن عمرو به الخراسانى وكان أمير بغداد يومئذ :

لعن الله الذى قلد عباس الوزارة
والذى ولى ابن عمرو به بغداد الإمارة
لوزير سمج الوج بطين كالقواره
وقفا فيه سناما ن ورأس كالخيماره
لم يزل يعرف بالزفة ن قديما والعياره
وأشير أعجمى كحمار ابن حماره
رحل الاسلام عنا بتولييه الوزارة

وأنشدنى فى أبى الحسن جحظة البرمكى المغنى :

لجحظة الحسن عندى يد أشكرها منه إلى المحشر
لما أرانى وجه برذونه وصاننى عن وجه المنكر

وله فى أبيه محمد بن نصر بن منصور بن بسام :

خبیصة تعقد من سكره وبرمة تطبخ فى قنبره
عند قى أسمع من حاتم يطبخ قدرين على مجمره

وليس ذا في كل أيامه لكنه في الدعوة المنكرة
في يوم لهو فضع هائل وجمع اللذات والقرقره
يقول للآكل من خبزه : تعساً لهذا البطن ما أكبره
وله في أبيه أيضا :

خبز أبي جعفر طباشير فيه الأفاويه والعقاقير
فيه دواء لكل معضلة للبطن والصدر والبواسير
وقصعة الأكل مثل مدهنة يرهق من حولها النواظير
ونيل ما ترتجيه من يده ما ليس تجرى به المقادير
وله فيه :

بعثت لأستهديه غيراً ولم أكن لأعلم أن العير صار لنا صهرا
فوجه لي كي نستوى في ركوبه فيركبه بطنا وأركبه ظهرا
وقال في جماعة من الرؤساء :

قل للرؤوس ومن ترجى نوافلهم ومن يؤمل فيه الرغد والعمل
إن تشغلوني بأعمال أصيرها شغلا ، وإلا ففي أعراضكم شغل
وقوله :

مالي رأيتك دائبا مستسخطا أبدا لرزقك
ارجع إلى ما تستحق ق فإن قوتك فوق حقتك
وله في عبيد الله بن سليمان الوزير :

عبيد الله ليس له معاد ولا عقل وليس له سداد
رددت إلى الحياة فعدت عنها لقول الله لو رُدُّوا لعادوا

وله في القاسم بن عبيد الله بن سليمان :

قل للمولى دولة السلطان
كم من وزير قد رأيت معظما
وله فى عبيد الله بن سليمان :

لا بد يا نفس من سجود
فى زمن القرد للقروء
هبت لك الريح يا ابن وهب
فخذ لها أهبة الركود
وله فى إسماعيل بن بلبل الوزير :

لأبى الصقر دولة
مثله فى التخلف
مزنة حين ألمت
آذنت بالتكشف
وله فى العباس بن حسن الوزير :

تحمل أوزار البرية كلها
ألم تر أسباب الذين تقدموا
وله فى الوزير صاعد بن مخلد :

سجدنا للقروء رجاء دُنيا
فما نالت أناملنا بشيء
وله فى العباس بن الحسن الوزير :

بنيت على دجلة مجلسا
تباهى به فعل من قد مضى
رأيناه ماتم حتى انقضى
وله فى الوزير على بن محمد بن الفرات :

وقفت شهورا للوزير أعدّها
فلم تثنه نحوى الحقوق السوائف
فلا هو يرعى لى رعاية مثله
ولا أنا أستجيب الوقوف وآنف
وله فى أبى جعفر محمد بن جعفر القوملى :

سألت أبا جعفر فقال : يدى تقصر
فقلت له : عاجلا يكون كما تذكر
وله فيه :

لحية كثة أضربها النة ف ووجه مشوه ملعون
قلت لما بدا يجمع في القو ل ويهذى كأنه مجنون :
صدق الله أنت من ذكر الله مبهين ولا يكاد يبين
وله في ابن المرزبان وقد كان سأله دابة فمنعه :

بخلت عني بمقرف عطب فلم تراني ما عشت أركبه
وإن تكن صنته فما خلق الله مصونا وأنت تركبه
وله مما أحسن فيه :

تضمن لى فى حاجة ما أحبه فلما اقتضيت الوعد قطب واعتلى
وصرت عذارا شغله واتصاله ولو لا اتصال الشغل ما كان أشغلا

ولعل بن محمد بن بسام فى هذه المعانى أشعار كثيرة اكتفينا بذكر البعض
عن إيراد ما هو أكثر منه فى هذا الكتاب ، لما قدمنا ذكره فيما سلف قبله من
الكتب ، وقد كان أبوه محمد بن جعفر ^(١) فى غاية السر والمرواة ، وكان رجلا
مترفا حسن الزى ظاهر المرواة مشغوقا بالنساء

وذكر أبو عبد الرحمن العتبي قال : دخلت عليه يوما شاتيا شديدا البرد

ببغداد ، فإذا هو فى قبة واسعة قد طليت بالطين الأحمر الأرمنى ، وهو يلوح
بريقا ، فقدرت أن تكون القبة عشرين ذراعا فى مثلها ، وفى وسطها كانون بزرافين
إذا اجتمع ونصب كان مقداره عشرة أذرع فى مثلها ، وقد ملئ جمر الفضى ،
وهو جالس فى صدر القبة عليه غلالة تسترية ، وما فضل عن الكانون مفروش
بالديباج الأحمر ، فأجلسنى بالقرب منه ، فكدت أنلظى ، فدفع إلى جام ماء

(١) سبق فى ترجمة ابنه « محمد بن نصر بن منصور بن بسام »

بسام عنك ، فخرج القاسم مبادرا ليقطع لسانه ، فقال له المعتضد : بالبر والشغل ، ولا تعرض له بسوء ، فولاه القاسم البريد والجسر جسر قنسرين والعواصم من أرض الشام ، وما كان من قوله في أسد بن جهور الكاتب وخبره معه وما عم بهجائه أسدا وغيره من الكتاب وهو :

تمس الزمان لقد أتى بعجائب ومحا رسوم الظرف والآداب
أوما ترى أسد بن جهور قد أتى متشبيها بأجلة الكتاب
وأتى بأقوام لو انبسطت يدي فيهم رددتهم إلى الكتاب

ولما قتل العباس بن الحسن استوزر المقتدر على بن محمد بن موسى بن الفرات
يوم الأربعاء ليال خلون من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين ،
فكانت وزارته إلى أن سخط عليه ثلاث سنين وتسعة أشهر وأياما

واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان في اليوم الذي سخط فيه على
علي بن محمد بن موسى بن الفرات ، وهو يوم الأربعاء خلون من ذي الحجة ،
وخلع عليه ، ولم يخلع على أحد غيره ، وقبض عليه يوم الاثنين لعشر خلون من
الحرم سنة إحدى وثلاثمائة

وزارة ابن الجراح
وخلع على الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح يوم الثلاثاء لاحدى
عشرة ليلة من الحرم سنة إحدى وثلاثمائة ، وقبض عليه يوم الاثنين ثمان خلون
من ذي الحجة سنة أربع وثلاثمائة

وزارة ابن الفرات ثانيا
واستوزر على بن محمد بن الفرات ثانية ، وخلع عليه يوم الاثنين ثمان خلون
من ذي الحجة سنة أربع وثلاثمائة ، وقبض عليه يوم الخميس لأربع بقين من جمادى
الأولى سنة ست وثلاثمائة

وزارة حامد ابن العباس
وخلع على الوزير حامد بن العباس يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى
الآخرة سنة ست وثلاثمائة ، وأطلق على بن عيسى في اليوم الثاني من وزارته ،

وهو يوم الأربعاء ، وفوضت الأمور إليه ، وقبض على حامد بن العباس
 واستوزر على بن محمد بن الفرات وهى الثالثة من وزارته ، وقد كان ولده
 محسن بن على هو الغالب على الأمور فى هذه الوزارة ، فأتى على جماعة من الكتاب
 واستوزر المقتدر عبد الله بن محمد بن عبد الله الخاقانى ، ثم استوزر بعده أحمد
 ابن عبيد الله الحصى ، ثم استوزر على بن عيسى ثانية ، ثم استوزر على بن
 محمد بن على بن مقله ، ثم استوزر بعده سليمان بن الحسن بن مخلد ، ثم استوزر
 بعده عبيد الله بن محمد الكواذى ، ثم استوزر بعده الحسن بن القاسم بن
 عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وهو المقتول بالركة ، ثم استوزر بعده الفضل بن
 جعفر بن موسى بن الفرات

وزارة ابن
الفرات الثالثة

جملة من
وزراء المقتدر

وقتل المقتدر بالله ببغداد وقت صلاة العصري يوم الأربعاء ثلاث ليال بقين
 من شوال سنة عشرين وثلثمائة ، وكان قتله فى الوقعة التى كانت بينه وبين مؤنس
 الخادم بباب الشامية من الجانب الشرقى ؛ وتولى دفن المقتدر العامة ، وكان
 وزيره فى ذلك اليوم أبا الفتح الفضل بن جعفر
 وذكر أن الفضل أخذ الطالع فى وقت ركوب المقتدر بالله إلى الوقعة التى
 قتل فيها ، فقال له المقتدر : أى وقت هو ؟ فقال : وقت الزوال ، فقطب له المقتدر
 وأراد أن لا يخرج حتى أشرفت عليه خيل مؤنس ، فكان آخر العهد به من
 ذلك الوقت

وكل سادس من خلفاء بنى العباس مخلوع مقتول ، فكان السادس منهم
 محمد بن هرون المخلوع ، والسادس الآخر المستعين ، والسادس الآخر المقتدر بالله
 والمقتدر أخبار حسان وما كان فى أيامه من الحروب والوقائع ، وأخبار بن
 أبى الساج ، وأخبار مؤنس ، وأخبار سليمان بن الحسن الحبارى ، وما كان منه بمكة
 فى سنة سبع عشرة وثلثمائة وغيرها ، وما كان فى المشرق والمغرب ، قد أتينا على
 جميع ذلك فى كتابنا « أخبار الزمان » مفصلا ، وفى الكتاب الأوسط مجملا ،

وذكرنا منه في هذا الكتاب لما ، وأرجو أن يفسح الله لنا في البقاء ويمد لنا في العمر ويسعدنا بطول الأيام فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر نضمه فنون الأخبار ، وأنواعا من ظرائف الآثار ، على غير نظم من تأليف ولا ترتيب من تصنيف على حسب ما يسمح من فوائد الأخبار ويوجد من نواذر الآثار ونترجمه بكتاب وصل المجالس بجوامع الأخبار ومخلط الآداب تاليا لما سلف من كتبنا ولاحقا لما تقدم من تصنيفنا

وكانت وفاة موسى بن إسحق القاضي في خلافة المقتدر ، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين ، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة الكوفي ، ودفن في الجانب الشرقي ، وكان هذا من علماء أهل الحديث وكبار أهل النقل

وورد الخبر إلى مدينة السلام بأن أركان البيت الحرام الأربعة غرقت ، حتى عم الفرق الطواف وفاضت بئر زمزم ، وأن ذلك لم يعهد فيما سلف من الزمان وفيها كانت وفاة يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد القاضي ، وذلك في شهر رمضان بمدينة السلام وهو ابن خمس وتسعين سنة ، وقيل : إن في هذه السنة كانت وفاة محمد بن داود بن خلف الاصبهاني الفقيه ، وقد قدمنا ذكره ، وأن وفاته كانت في سنة ست وتسعين ومائتين وإنما حكينا الخلاف في ذلك

وفي هذه السنة - وهي سنة سبع وتسعين ومائتين - كانت وفاة ابن أبي عوف البروري المعدل ببغداد ، وذلك في شوال ، وهو ابن نيف وثمانين سنة ، ودفن في الجانب الغربي ، وإنما نذكر هؤلاء لنقلهم السنن واشتبارهم بذلك وحاجة أهل العلم وأصحاب الآثار إلى معرفة وقت وفاتهم

وفيها مات أبو العباس أحمد بن مسروق المحدث ، وهو ابن أربع وثمانين

سنة ، ودفن بباب آل حرب من الجانب الغربي

بعض أخبار

الطالبيين

وقد قدمنا في هذا الكتاب أخبار من ظهر من آل أبي طالب في أيام بني

أمية و بنى العباس ، وفي غيره مما سلف من كتبنا ، وما كان من أمرهم من قتل
أو حبس أو حرب

وقد كان ظهر بصعيد مصر أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن الحسن
ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فقتله أحمد بن طولون ، بعد أقاصيص قد
قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا

وإنما نذكر من ظهر من آل أبي طالب واللمع من أخبارهم في هذا الكتاب
لاشترطنا فيه على أنفسنا من إيراد ذكرهم ومقاتلهم وغير ذلك من أخبارهم
من منذ أمير المؤمنين إلى الوقت الذي ينتهي إليه تصنيفنا لهذا الكتاب

وكانت وفاة يحيى بن الحسين الرسى بعد أن قطن بمدينة صعدة من أرض
اليمن في سنة ثمان وسبعين ومائتين ، وقام بعده ولده الحسين بن يحيى ، وكان
ظهور أبي الرضا - وهو محسن بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن
جعفر بن محمد - في أعمال دمشق في سنة ثلثمائة ، وكانت له مع أبي العباس أحمد
ابن كيبلغ وقعة فقتل صبرا ، وقيل : قتل في المعركة ، وحمل رأسه إلى مدينة
السلام ، فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربي

وظهر ببلاد طبرستان والديلم الأطروش - وهو الحسن بن علي - وأخرج
عنها السوداء ، وذلك في سنة إحدى وثلثمائة ، وقد كان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء
والنحل ، وقد كان أقام في الديلم سنين ، وهم كفار على دين المجوسية ، ومنهم
جاهلية وكذلك الجليل ، فدعاهم إلى الله عز وجل فاستجابوا وأسلموا ، وقد كان
للساميين بازائهم ثغور مثل قزوین وغيرها ، وبنى في الديلم مساجد ، والديلم زعم
كثير من الناس من ذوى المعرفة بالنسب أنهم من ولد باسل بن ضبة بن أدوار
الجيل من تميم ، وقد قيل : إن دخول الأطروش إلى طبرستان كان في أول يوم
من الحرم سنة إحدى وثلثمائة ، وإن في هذا اليوم دخل صاحب البحرين
البصرة وقتل أميرها عسكر الفلحى ، وقد أتينا على خبر الأطروش العلوى وخبر

ولده وخبر أبي محمد الحسن بن القاسم الحسنى الداعى واستيلائه على طبرستان ومقتله ، وما كان من الجليل والديلم فى أمره فى كتابنا « أخبار الزمان »

وكانت وفاة أبي العباس أحمد بن شريح القاضى فى سنة ست وثلاثمائة / وفيات
وحوادث وكانت وفاة أبي جعفر محمد بن إبراهيم بن جابر القاضى بحلب ، وأدخل
الليث بن على بن الليث بن أخى الصغار إلى مدينة السلام على الفيل فى سنة
سبع وتسعين ومائتين وقدامه الجيش وحوله وقد شهر ، وقيل : إن الليث أدخل
إلى مدينة السلام فى سنة ثمان وتسعين ومائتين

وفى هذه السنة - وهى سنة ثمان وتسعين ومائتين - مات ببغداد أبو بكر
محمد بن سليمان الروزى المحدث صاحب الجاحظ ، وقيل أيضا : إن وفاته كانت
فى سنة ثمان وتسعين (١)

وفى هذه السنة كان دخول فارس صاحب مراكب الروم وحربها إلى ساحل
الشام ، فافتتح حصن القبة بعد حرب طويل ، وعدم مغيث يغيثهم من المسلمين ،
وافتح مدينة اللاذقية ، فسبى منها خلقا كثيرا ، ووقع فى الكوفة برد عظيم
الواحدة رطل بالبغدادى ، وريح مظامة ، وذلك فى شهر رمضان ، وانهدم كثير
من المنازل والبنيان ، وكان فيها رجفة عظيمة هلك فيها خلق كثير من الناس ،
هكذا كان بالكوفة فى سنة تسع وثمانين ومائتين ، وكان بمصر فى هذه السنة
زلزلة عظيمة ، وفيها طلع نجم الذنب

وفىها غزا وهنانة صاحب الغزو البحر الرومى فى مراكب المسلمين جزيرة
قبرص وقد كانوا نقضوا العهد الذى كان فى صدر الاسلام أن لا يعينوا الروم على
المسلمين ولا المسلمين على الروم ، وأن خراجة نصفه للمسلمين ونصفه للروم ، وأقام
وهنانة فى هذه الجزيرة أربعة أشهر يسبى ويحرق ويفتح مواضع قد تحصن فيها ،
وقد أتينا على خبر هذه الجزيرة فيما سلف من هذا الكتاب عند إخبارنا عن جمل
البحار ومبادئ الأنهار ومطارحها فمنع ذلك من إعادة وصفها

(١) هكذا ، والظاهر أن المراد « سنة تسع وتسعين » ليوافق ما بعده ويصح ما قبله

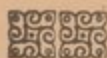
وفي سنة إحدى وثلاثمائة مات عبد الله بن ناجية المحدث بمدينة السلام ، وكان مولده في سنة اثنتي عشرة ومائتين ، وكان القبض على ابن الجصاص الجوهري بمدينة السلام في سنة اثنتين وثلاثمائة ، والذي صح مما قبض من ماله من العين والورق والجوهر والفرش والثياب والمستغلات خمسة آلاف ألف وخمسمائة ألف دينار

وفيهما مات القاسم بن الحسن بن الأشيب ، ويكنى أبا محمد ، يوم الاثنين ليلتين بقيتا من جمادى الأولى ، وكان من كبار العلماء والمحدثين ، ودفن في الجانب الغربي في الشارع المعروف بشارع الحمايق ، وحضر جنازته محمد بن يوسف القاضي ، وأبو جعفر محمد بن إسحق بن البهلول القاضي ، وغيرهم من الفقهاء والعدول والكتاب وأهل الدولة ، وهو أبو أبي عمران موسى بن القاسم بن الحسن المعروف بابن الأشيب ، وهو كبير من فقهاء الشافعيين في هذا الوقت

وفي هذه السنة - وهي سنة اثنتين وثلاثمائة - ورد الجيش من الغرب ، فكان لأهل مصر من أصحاب السلطان معهم حروب عظيمة ، وقتل فيها خلق كثير ، واستأمن رجل من وجوه البرابرة يعرف بأبي حرة إلى السلطان ، وسار إلى مدينة السلام فخلع عليه

وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة أدخل يوسف بن أبي الساج إلى مدينة السلام وقد شهر على الجمل القاليج ، وعليه دراعة الديباج التي لبسها عمرو بن الليث ووصيف الخادم ، وعلى رأسه برنس طويل بشقائق وجلال ، وحوله الجيوش ومؤنس الخادم وراءه مع أرباب الدولة من أصحاب السيوف ؛ وقد أتينا على خبر هذه الواقعة التي أسرف فيها مؤنس الخادم ابن أبي الساج بناحية أردبيل ومن حضرها من الأمراء مثل ابن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان وعلي بن حسان وأبي الفضل المروى وأحمد بن علي بن صعلوك وغيرهم من الأمراء والقواد ، وذكرنا تخليعة المقتدر لابن أبي الساج ، وخروجه من ديار ربيعة ومضر إلى بلاد أذربيجان

التي هي من أعماله وأرمينية ، وما كان من غلامه مسك واستيلائه على عمل
مولاه ومفارقته الفارقي ، وما كان من سائر أخبار ابن أبي الساج ومسيره إلى
واسط ثم مسيره إلى الكوفة ، وما كان من خبره في حربه لأبي طاهر سليمان
ابن الحسن الجبائي وأسرهم إياه وقتله له نحو الأنبار وهيت حين أشرف على سواده
بليق ونظيف غلام ابن أبي الساج وما كان في هذه الواقعة وهزمه لبليق ونظيف
ومسير القرمطي ونزوله على هيت وغير ذلك ، وذلك في سنة خمس عشرة
وثلاثمائة ، فيما سلف من كتبنا ، وكذلك ذكرنا ما كان من مؤنس الخادم ومن
كان معه من أولياء السلطان من القتال لجيش صاحب المغرب بمصر ، وذلك في
سنة تسع وثلاثمائة



ذكر خلافة القاهرة بالله

بجمل تاريخه

وبويع القاهرة محمد بن أحمد المعتضد بالله يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة ، ثم خلع يوم الأربعاء الخامس خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وسميت عيناه ، وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام ، ويكنى بأبي منصور ، وأمه أم ولد

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولم مما كان في أيامه

وزراؤه

واستوزر القاهرة أبا علي محمد بن علي بن مقلة في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، ثم عزله ، واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله الخصيبي ، وكانت أخلاقه لا تكاد تحصى ، لتقلبه وتولونه ، وكان شهماً شديداً البطش بأعدائه ،

أخلاقه

وأباد جماعة من أهل الدولة ، منهم مؤنس الخادم ، وبلليق ، وعلي بن بليق ، فهابه الناس ، وخشوا صولته ، واتخذ حرباً عظيمة يحملها في يده إذا سعى في داره ويطرحها بين يديه في حال جلوسه ، يباشر الحرب بتلك الحربة لمن يريد قتله ، فسكن من كان يستعدي على من قبله من الخلفاء والتشعب والوئب عليهم وكان قليل الثبوت في أمره ، مخوف السطوة ، فإذا ما وصفنا من فعله إلى أن احتيل عليه في داره فقبض عليه ، وسمت كلتا عينيه وهو حي ، هذا في الجانب الغربي في دار ابن طاهر ، على ما نرى إلينا من خبره واتصل بنا من أمره ، وذلك أن الراضى بالله غيب خبره وقطع ذكره ، فلما بويع إبراهيم المتقي لله أصيب القاهرة معتقلاً في بعض المقاصير فأمر به إلى دار ابن طاهر فاعتقل بها إلى هذه الغاية التي وصفنا

وذكر محمد بن علي العبدى الخراسانى الأخبارى ، وكان القاهر به آنسا ، وصف خلفاء
قال : خلايى القاهر فقال : أصدقنى أو هذبه - وأشار إلى بالحربة - فرأيت والله
الموت عيانا بينى وبينه ، فقلت : أصدقك يا أمير المؤمنين ، فقال لى : انظر ،
يقولها ثلاثا ، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : عما أسألك عنه ، ولا تغيب عني
شيئا ، ولا تحسن القصة ، ولا تسجع فيها ، ولا تسقط منها شيئا ، قلت : نعم
يا أمير المؤمنين ، قال : أنت علامة بأخبار بنى العباس من أخلاقهم وشيمهم من
أبى العباس فمن دونه ، فقلت : على أن لى الأمان يا أمير المؤمنين ، قال :
ذلك لك .

قال : قلت : أما أبو العباس السفاح فكان سريعا إلى سفك الدماء ، واتبعه
عماله فى الشرق والغرب من فعله ، واستنوا بسيرته ، مثل محمد بن الأشعث بالمغرب ،
وصالح بن علي بمصر ، وحازم بن جذيمة ، وحميد بن قحطبة ، وكان مع ذلك بحرا
سمحا وصولا جوادا بالمال ، وسلك من ذكرنا ممن كان فى عصره سبيلا ، وذهبوا
مذهبه ، مؤتمنين به .

قال : وأخبرنى عن المنصور ، قلت : الصدق يا أمير المؤمنين ، قال : الصدق ،
قلت : كان والله أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب وبين آل
أبى طالب ، وقد كان قبل ذلك أمرهم واحدا ، وكان أول خليفة قَرَّبَ الْمُتَجَمِّينَ
وعمل بأحكام النجوم ، وكان معه نوبخت المجوسى المنجم وأسلم على يديه ، وهو
أبو هؤلاء النوبختية ، وإبراهيم الفزارى المنجم صاحب القصيدة فى النجوم وغير
ذلك من علوم النجوم وهيئة الفلك ، وعلى بن عيسى الاسطرلابى المنجم ، وهو
أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية ، منها كتاب
كليلة ودمنة ، وكتاب السندهند ، وترجمت له كتب أرسطاطاليس من المنطقيات
وغيرها ، وترجم له كتاب المجسطى لبطليموس ، وكتاب الأرتماطيقى ، وكتاب

إقليدس ، وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسيرانية : وخرجت إلى الناس ، فنظروا فيها ، وتعلقوا إلى علمها ، وفي أيامه وضع محمد بن إسحق كتاب المغازي والسير وأخبار المبتدأ ، ولم تكن قبل ذلك مجموعة ولا معروفة ولا مصنفة ، وكان أول خليفة استعمل مواليه وغلماؤه وصرفهم في مهماته ، وقدمهم على العرب ، فاتخذت ذلك الخلفاء من بعده من ولده ، فسقطت وبادت العرب ، وزال بأسها ، وذهبت مراتبها ؛ وأفضت الخلافة إليه ، وقد نظر في العلوم وقرأ المذاهب وارتاض في الآراء ووقف على النحل وكتب الحديث فكثرت في أيامه روايات الناس ، واتسعت عليهم علومهم

قال القاهر : قد قلت فأحسن وتعبرت فبينت ، فأخبرني عن المهدي كيف

كانت خلافته ؟

للمهدي

قلت : كان سمحاً سخياً كريماً جواداً ، فسلكت الناس في عصره سبيله ، وذهبوا في أمرهم مذهبه ، واتسعوا في مساعيهم ، وكان من فعله في ركوبه أن يحمل معه بدر الدين والدراهم فلا يسأله أحد إلا أعطاه ، وإن سكت ابتدأه المفرق بين يديه ، وقد تقدم بذلك إليه ، وأمعن في قتل الملحدين والمذهبيين عن الدين لظهورهم في أيامه وإعلانهم باعتقاداتهم في خلافته لما انتشر من كتب ماني وابن دميان ومرقيون مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية إلى العربية وما صنف من ذلك ابن أبي العرجاء وحماة مجرود ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس من تأييد المذاهب المانية والدنساكية والمرقونية ، فكثرت بذلك الزنادقة وظهرت آراؤهم في الناس ، وكان المهدي أول من أمر الجدلبيين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم ، وأقاموا البراهين على المعاندين ، وأزالوا شبه الملحدين ، فأوضحوا الحق للشاكين ، وشرع في بناء المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم على ما هما عليه إلى هذه الغاية ، وبني بيت المقدس وقد كان هدمته الزلازل

قال : فأخبرني عن الهادي على قصر أيامه كيف كانت أخلاقه وشيمه ؟
قلت : كان جبارا عظيما ، وأول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرفهة
والأعمدة المشهورة ، والقسي الموتورة ، فسلكت عماله طريقته ، ويمموا منهجه ،
وكثر السلاح في عصره .

قال : لقد أجدت في وصفك ، وبالغت فيما ذكرت من قولك ، فأخبرني
عن الرشيد كيف كانت طريقته ؟

قلت : كان مواظبا على الحج والغزو ، واتخاذ المصانع والآبار والبرك والقصور
في طريق مكة ، وأظهر ذلك بها وبمعى وعرفات ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم ؛
فعم الناس إحسانه ، مع ما قرن به من عدله ، ثم بنى الثغور ، ومدّت المدن ،
وحصن فيها الحصون ، مثل طرسوس وأذنة ، وعمر المصيصة ومرعش ، وأحكم بناء
الحرب ، وغير ذلك من دور السبيل والمواضع للمرابطين ، واتبعه عماله ، وسلكوا
طريقته ، وقفته رعيته مُقْتَدِيَةً بَعْمَلِهِ ، مستنّة بأمامته ؛ فغبط الباطل ، وأظهر الحق ،
وأثار الاسلام ، وبرز على سائر الأمم ، وكان أحسن الناس في أيامه فعلا أم جمفر
زبيدة بنت جمفر بن المنصور لما أحدثته من بناء دور السبيل بمكة ، واتخاذ المصانع
والبرك والآبار بمكة ، وطريقها المعروف إلى هذه الغاية وما أحدثته من البر
للتسبيل بالثغر الشامي وطرسوس وما أوقفت على ذلك من الوقوف ، وما ظهر في أيامه
من فعل البرامكة وجودهم وإفضالهم وما اشتهر عنهم من أفعالهم ، وكان الرشيد
أول خليفة لعب بالصوّالجان في الميدان ، ورمى بالنشاب في البرجاس ، ولعب
بالأكرة والطبطاب ، وقرب الخذاق في ذلك ، فعم الناس ذلك الفعل ؛ وكان
أول من لعب بالشطرنج من خلفاء بني العباس ، والرد ، وقدم اللعاب ، وأجرى
عليهم الرزق ؛ فسمى الناس أيامه لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها أيام العروس ،
وكثير ممن يجاوز النعت ويتفاوت فيه الوصف .

قال القاهر : فأراك قد قصرت في تفصيل أم جمفر ، فلم ذلك ؟

قلت : يا أمير المؤمنين ميلا إلى الاختصار ، وطلبا للإيجاز

قال : فتناول الحربة وهزها ، فرأيت الموت الأحمر في طرفها ، ثم برق عينيه مع ذلك ، فاستسلمت وقلت : هذا ملك الموت ، ولم أشك أنه يقبض روحي ، فأهوى بها نحوى ، فزغت منها ، فاسترجع وقد أخطأنى فقال : ويلك !! أبغضت ما فيه عيناك ، ومللت الحياة ؟ قلت : ماهو يا أمير المؤمنين ؟ قال : أخبار أم جعفر زدنى منها ، قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، كان من فعلها وحسن سيرتها في الجسد والمهزل ما برزت فيه على غيرها ، فأما الجد والآثار الجميلة التي لم يكن في الإسلام مثلها مثل حفرها العين المعروفة بعين المشاش بالحجاز ، فأنها حفرتها ، ومهدت الطريق لما فيها في كل خفض ورفع وسهل وجبل ووعر ، حتى أخرجتها من مسافة اثني عشر ميلا إلى مكة ، فكان جملة ما أنفق عليها مما ذكر وأحصى ألف ألف وسبعمائة ألف دينار ، وما قدمت ذكره من المصانع والدور والبرك والآبار بالحجاز والثغور ، وإتفاقها الألوف على ذلك ، دون ما كان في وقتها من البذل ، وما عم أهل الفاقة من المعروف والخصب ، وأما الوجه الثاني مما تنباهي به الملوك في أعمالهم وينعمون به في أيامهم ، ويصنون به دولهم ، ويدون في أفعالهم وسيرهم ؛ فهو أنها أول من اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكحلة بالجوهر ، وصنع لها الرفيع من الوشى ، حتى بلغ الثوب من الوشى الذي اتخذ لها خمسين ألف دينار ، وهى أول من اتخذ الشاكرية من الخدم والجواري يختلفون على الدواب في جهاتها ، ويذهبون في حوائجها برسائلها وكتبها ، وأول من اتخذ القباب الفضة والآبنوس والصندل وكلاسيها من الذهب والفضة ملبسة بالوشى والسمور والديباج وأنواع الحرير من الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق ، واتخذت الخفاف المرصعة بالجوهر وشمع العنبر ، وتشبه الناس في سائر أفعالهم بأم جعفر ، ولما أفضى الأمر إلى ولدها يا أمير المؤمنين قدم الخدم ، وآثرهم ، ورفع منازلهم ، ككثير وغيره من خدمه ، فلما رأت أم جعفر شدة شغفه بالخدم واشتغاله بهم اتخذت الجواري المقدودات

أم جعفر
زيدة

الحسان الوجوه ، وعمت رؤوسهن ، وجعلت لهن الطرر والأصداع والأقنية ، وألبستهن الأقبية والقراطق والمناطق ، فبانت قدودهن ، وبرزت أردافهن ، وبشت بهن إليه ، فاختلفن في يديه ، فاستحسنهن واجتذبن قلبه إليهن ، وأبرزهن للناس من الخاصة والعامة ، واتخذ الناس من الخاصة والعامة الجوارى المطمومات وألبسوهن الأقبية والمناطق ، ومموهن الغلاميات

فلما سمع القاهر ذلك الوصف ذهب به الفرح والطرب والسرور ، ونادى بأعلى صوته : يا غلام ، قدح على وصف الغلاميات ، فبادر إليه جوار كثيرة قدهن واحد ، توهمتن غلمانا بالقراطق والأقبية والطرر والأقنية ومناطق الذهب والفضة ، فأخذ الكأس بيده ، فأقبلت أتأمل صفاء جوهر الكأس ونورية الشراب وشعاعه ، وحسن أولئك الجوارى ، والحربة بين يديه ، وأسرع في شربه ، فقال : هيه .

للامون

فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ثم أفضى الأمر إلى المأمون ، فكان في بدء أمره - لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره - يستعمل النظر في أحكام النجوم وقضاياها ، وينقاد إلى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان كأردشير بن بابك ، واجتهد في قراءة الكتب القديمة ، وأمعن في درسها ، وواظب على قراءتها ، فافتن في فهمها ، وبلغ درايتهما ، فلما كان من الفضل بن سهل ذى الرياستين ما اشتهر وقدم العراق فانصرف عن ذلك كله ، وأظهر القول بالتوحيد والوعد والوعيد ، وجالس المتكلمين ، وقرب إليه كثيرا من الجدليين والنظارين كأبي الهذيل وأبي إسحق إبراهيم بن سيار النظام وغيرهم ممن وافقهم وخالفهم ، وألزم مجلسه الفقهاء ، وأهل المعرفة من الأدباء ، وأقدمهم من الأمصار ، وأجرى عليهم الأرزاق ، فرغب الناس في صنعة النظر ، وتعلموا البحث والجدل ، ووضع كل فريق منهم كتباً ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله ، وكان أكثر الناس عموماً ، وأشدهم احتمالاً ، وأحسنهم مقدرة ، وأجودهم بالمال الرغيب ، وأبذلهم

للعطايا ، وأبعدهم من التسافه ، واتبعه وزراؤه وأصحابه في فعله ، وسلوكوا سبيله
وذهبوا مذهبه .

ثم المعتصم فانه يا أمير المؤمنين سلك في النحلة رأى أخيه المأمون ، وغلب
عليه حب الفروسية ، والتشبه بالملوك الأعاجم في الآلة ، ولبس القلانس والشاشيات
فلبسها الناس اقتداء بفعله ، وانتماء به ، فسميت المعتصميات ، وعم الناس إفضاله
وأمنت به السبل في أيامه ، وشمل إحسانه

المعتصم

ثم هرون بن محمد الواثق فانه اتبع ديانة أبيه ، وعمه ، وعاقب الخالف ،
وامتحن الناس ، وكثر معروفه ، وأمر القضاة في سائر الأمصار أن لا يقبلوا شهادة
من خالفه ، وكان كثير الأكل ، واسع العطاء ، سهل الانقياد ، متحجبا إلى رعيته
ثم المتوكل يا أمير المؤمنين فانه خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق
من الاعتقاد ، ونهى عن الجدل والمناظرة في الآراء ، وعاقب عليه ، وأمر بالتقليد
وأظهر الرواية للحديث ، فحسنت أيامه ، وانتظمت دولته ، ودام ملكه ، وغير
ذلك يا أمير المؤمنين مما اشتهر من أخلاقه

الواثق

المتوكل

قال القاهر : قد سمعت كلامك ، وكأني مشاهد للقوم على ما وصفت ، معاين
لهم فيما ذكرت ، ولقد سرني ما سمعت منك ، ولقد فتحت أبواب السياسة ،
وأخبرت عن طرق الرياسة ، ثم أمر لي بجائزة عجل لي عطاءها في وقتها ، ثم
قال لي : إذا شئت فقم ، فقم ، وقام على أثرى بحر بته ، فخیل والله لي أن
يرميني بها من ورائي ، ثم عطف نحو دار الخدم ، فامضت إلا أيام يسيرة حتى
كان من أمره ما ظهر

قال المسعودي : وهذا الرجل الذي أخبرت عنه بهذا الحديث له أخبار حسان
وهو حي يرزق إلى هذه الغاية ، وهي سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، مداحا للملوك
شاعرا لأهل الرياسات حسن الفهم جيد الرأي

وفاء ابن دريد وفي خلافة القاهر بالله — وهي سنة إحدى وعشرين وثلثمائة — كانت

وفاة أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ببغداد ، وكان ممن قد برع في زمننا هذا في الشعر ، وانتهى في اللغة وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين ، وكان يذهب في الشعر كل مذهب ، فطورا يحزل ، وطورا يرق ، وشعره أكثر من أن نحصيه أويأتي عليه كتابنا هذا ، فمن جيد شعره قصيدته المقصورة وأولها :

إِذَا تَرَى رَأْسِي حَاكِي لَوْنُهُ طُرَّةٌ صَبِيحٌ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى
وَأَشْتَعَلَ الْمَبْيِضُ فِي مُسَوْدَةٍ مِثْلَ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي جَزَلِ الْغُضَى
ومنها

إِنْ الْجَدِيدَيْنِ إِذَا مَا اسْتَوَلِيَا عَلَى جَدِيدِ أَذْنِيَاهُ لِلْبَلَى
لَسْتُ إِذَا مَا انْهَضْتَنِي غَمْرَةٌ مِمَّنْ يَقُولُ بَلَّغَ السَّيْلُ الزَّبَى
ومنها

وإن ثوت بين ضلوعي زفرة تملأ ما بين الرِّحَا إلى الرِّحَا
وقد عارضه في هذه القصيدة المقصورة جماعة من الشعراء : منهم أبو القاسم علي بن محمد بن داود بن الفهم التنوخي الأنطاكي ، وهو في وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، بالبصرة في جملة اليزيديين ، وأول قصيدته المقصورة التي يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاة :

لَوْلَا انْتِهَائِي لَمْ أَطْعَمْ نَهْيَ الْهَوَى مَدَى الصَّبَا نَطْلَبُ مِنْ حَازِلِ الْمَدَى
إِنْ كُنْتُ أَقْصَرْتُ فَمَا أَقْصَرُ قَلَا بَدَامِيَا تَرْمِيهِ الْخَاطِطُ الدُّمَى
وَمَقْلَةٌ إِنْ مَقَلْتُ أَهْلَ الْغُضَا أَغْضَتْ وَفِي أَجْفَانِهَا جَمْرُ الْغُضَى
وفيها يقول :

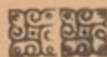
وَكَمْ ظَبَاءَ رَعِيهَا الْحَاطِلُهَا أَسْرَعَ فِي الْأَنْفَسِ مِنْ حَدِّ الظَّبْيِ
أَسْرَعَ مِنْ حَرْفٍ إِلَى جَرٍّ وَمِنْ حَبِّ إِلَى حَبَّةِ قَلْبٍ وَحَشَى

فصاعدمن ملك بن حير ما بعده المرتقين مرتقى
وقد سبق إلى المقصورة أبو المقاتل نصر بن نصر الخلوأتى بن محمد بن زيد
الداعى بطبرستان بقوله :

قفا خليلى على تلك الربى وسائلاها أين هاتيك الدمى
أين اللواتى ربت ربوعها عليك باستنجداتها تشفى الجوى
ولابن ورقاء فى المقصورة أيضا :

ما شئت قل هى المها هى القنا جواهر بكين أطراف الدمى
ومن تأخر بعد موت ابن دريد العمانى أبو عبد الله المفجع ، وكان كاتبها
شاعرا ، بصيرا بالفريب ، وهو صاحب الباهلى المصرى الذى كان يناقض ابن
دريد ، فمما جود فيه المفجع قوله :

ألا طرب القواد إلى ردين ودون مزارها ذو الحلمتين
ألم خيالها وهنأ برحلى فولى رعيه الشرطين عيني
وقد أتينا على ما كان فى أيام القاهر مع قصر مدته من الكوائن فى الكتاب
الأوسط ؛ فمنع ذلك من ذكره فى هذا الكتاب



ذكر خلافة الراشع بالله

وبوعم الراضى بالله محمد بن جعفر المقتدر ، ويكنى أبا العباس ، يوم الخميس
لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، فأقام فى الخلافة
إلى أن مضى من ربيع الأول عشرة أيام سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، ومات
حَتَفَ أَنفَهُ بمدينة السلام ، وكانت خلافته ست سنين وأحد عشر شهرا وثلاثة
أيام ، وأمه أم ولد يقال لها ظلوم

ذكر جملة من أخباره وسيره

ولمعه مما كان فى أيامه

واستوزر الراضى أبا علي محمد بن علي بن مقله ، ثم استوزر أبا علي عبدالرحمن
ابن عيسى بن داود بن الجراح ، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخى ، ثم
أبا القاسم سليمان الحسن بن مخلد ، ثم أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، ثم
أبا عبد الرحمن بن محمد اليزيدى

وكان الراضى أديبا شاعرا ظريفا ، وله أشعار حسان فى معان مختلفة ، إن لم
يكن ضاهى بها ابن المعتز فما نقص عنه ، فمن ذلك قوله فى حاله وحال معشوقه
إذا التقيا :

يصفر وجهى إذا تأمله طرفى ، ويحمرُّ وجهه خجلا

حتى كأن الذى بوجنته من دم وجهى إليه قد نقل

ومن جيد شعره قوله :

يارب ليل قد دنا مزاره يسترنى ومؤنسى أزراره

ساقى مليح القد كدجاره سراجة ، ووجهه مناره

يشهدلى ببذله زناره تاه بخد ظهر أحمراه
ماس مع الحمرة جلناره أى كتيب قد حوى إزاره
وأى نور ضمنت أزاره طوع الكؤوس غره عذاره
اخفاؤه تعتاده أمراؤه لا كان لهو لم يثر غباره

وقد كان أبو بكر الصولى يروى كثيرا من أشعار الراضى ، ويذكر حسن أخلاقه وجميل أخباره ، وارتياضه بالعلم وفنون الأدب ، وإشرافه على علوم المتقدمين ، وخوضه فى بحار الجدليين من أهل الدراية والمتفلسفين وذكر أن الراضى رأى فى بعض منتزهاته باليونان بستانا موقعا ، وزهرا رائقا ، فقال لمن حضر: هل رأيتم أحسن من هذا ؟ فكل قال أشياء ذهب فيها إلى مدحه ووصف محاسنه ، وأنها لا ينفى بها شئ من زهرات الدنيا ، فقال : لعب الصولى بالشطرنج والله أحسن من هذا ومن كل ما تصفون

وذكر أن الصولى فى بدء دخوله إلى المكتفى ، وقد كان ذكر له بمجوده لعبه الشطرنج ، وكان الماوردى اللاعب معجبا بلعبه ، فلعبا جميعا بحضرة المكتفى فحمل المكتفى حسن رأيه فى الماوردى وتقدم الخدمة والألفة على نصرته وتسميعه حتى أدهش ذلك الصولى فى أول وهلة ، فلما انصل اللعب بينهما وجمع له الصولى غايته غلبا لا يكاد عليه شيئا ، وتبين حسن لعبه للمكتفى ، فعدل عن هواه ونصره للماوردى ، وقال له : صار ماء وردك بولا

قال المسعودى : وقد تناهى بنا الكلام وتغلغل بنا التصنيف إلى جمل من أخبار الشطرنج ، وما قيل فيها ، مع ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لأخبار الهند ومبادئ اللعب بالشطرنج والورد ، واتصال ذلك بالأجسام العلوية والأجرام السماوية ، فلنذكر جملا مما ذكر فى ذلك ، مما لم يتقدم له ذكر فيما سلف من هذا الكتاب

وذكر عمرو بن بحر الجاحظ فى كتابه فى تفصيل صنعة الكلام ، وهى

اللاعب
بالشطرنج

الرسالة المعروفة بالهاشمية أن الخليل بن أحمد من أجل إحسانه في النحو والعروض وضع كتابا في الإيقاع وراكيب الأصوات ، وهو لم يعالج وترًا قط ، ولا مَسَّ بيده قضيبا قط ، ولا كثرت مشاهدته للمغنين ، وكتب كتابا في الكلام ، ولو جهد كل بليغ في الأرض أن يتعمد ذلك الخطأ والتعقيد لما وقع له ، ولو أن ممرُ ورأ استغرق قُوى مِرَّته في الهذيان لما تهيأ له مثل ذلك منه ، ولا يتأتى مثل ذلك لأحد إلا بخذلان الذي لا يقي منه شيء ، قال الجاحظ : ولو لا أن أسخف الكتاب وأهجر الرسالة وأخرجها من حد الجد إلى الهزل حكيت صدر كتابه في التوحيد وبعض ما وصفه في العدل ، قال : ولم يرض بذلك حتى عمد إلى الشطرنج فزاده في الدولاب حملا ، فاعبت به أناس من حاشية الشطرنجيين ، ثم رموا به ، وقد ذكر الناس ممن سلف وخلف أن جميع الآلات على هيأتها ست صور لم يظهر في اللعب غيرها ، فأولها آلة المربع المشهورة ، وهي ثمانية في مثلها ، ونسبت إلى قدماء الهند ، ثم الآلة المستطيلة ، وأبياتها أربعة في ستة عشر ، والأمثلة تنصب فيها في أول وهلة في أربعة صفوف من كلا الوجهين ، حتى تكون الرقاب منها في صفين ، والبيادق أيضا أمامها صفين ، ومسيرها كمسير أمثلة الصورة الأولى ، والآلة المربعة وهي عشرة في مثلها ، والزيادة في أمثلتها قطعتان تسميان الدياسين ، ومسيرهما كمسير الشاه إلا أنهما يأخذان ويؤخذان ، ثم الآلة المدورة المنسوبة إلى الروم ، ثم الآلة النجومية التي تسمى الهاكسية ، وأبياتها على عدد نجوم الفلك مقسومة نصفين وينقل فيها سبعة أمثلة مختلفة الألوان على عدد الخمسة الأنجم والنيرين وعلى ألوانها

وقد بينا فيما سلف من أخبار الهند كيفية اتصالها بالأجسام السماوية ، وقد قيل في عشقتها للأشخاص العلوية ، أو تحرك الفلك بمشقه لما فوقه ، وقولهم في النفس ونزولها في عالم العقل إلى عالم الحس حتى نسيت بعد الذكر وجهلت بعد العلم ، وغير ذلك من تخاليطهم مما يتصل علمه عندهم بمنصوبات الشطرنج

ثم آلة أخرى تسمى الجوارحية استحدثت في زماننا هذا ، وهى سبعة
أبيات فى ثمانية ، وأمثلتها اثنا عشر فى كل جهة منها ستة ، كل واحد من الستة
يسمى باسم جارحة من جوارح الانسان التى بها يميز وينطق ويسمع ويبصر
ويبطش ويسمى ، وهى سائر الحواس ، والخامس المشترك ، وهو الذى من القلب
وقد ذكرت الهند وغيرها من اليونانيين والفرس والروم وغيرهم ممن لعب
بها كيفية صورها ومبادئها ووجوه عللها والغرائب فيها وتصنيف القوائم
والمفردات وأنواع ظرائف المنصوبات

وقد استعمل نصاب الشطرنج عليها فنون الهزل والنوادر المدهشة فزعم
كثير منهم أن ذلك مما يبعث على لعبها وانصباب المواد وصحيح الافكار إليها ،
وأن ذلك بمنزلة الارتجاز الذى يستعمله أهل القتال عند اللقاء والحادى عند
الاعياء والمناح للعرب عند الاستقاء وأن ذلك عدة للاعب ، كما أن الشعر
والارتجاز من عدة التحارب

وقد قيل فيما وصفنا أشعار كثيرة مما قاله بعض اللاعب ؛ فمن ذلك :

نوادير الشطرنج فى وقتها أحر من ملتهب الجمر

كم من ضعيف اللعب كانت له عوناً على مستحسن القمر

ومما قيل فيها وبالع فى وصف اللعب بها المأمون :

أرضٌ مربعة حمراء من آدم ما بين إلفين موصوفين بالكرم

تذاكر الحرب فاحتلالها شبيهاً من غير أن يسعيا فيها بسفك دم

هذا يغير على هذا ، وذلك على هذا يغير ، وعين الحرب لم تم

فانظر إلى الخيل قد جاشت بمركة فى عسكرين بلا طبيل ولا علم

ومما قيل لها وبولغ فى وصفها واستوعب النظر لأكثر معانيها ، ما قاله

أبو الحسن بن أبى البغل الكاتب ، وكان من جلة الكتاب وكبار العمال وممن

اشتهر بمعرفتها واللعب بها ، وهو :

بعض ما قيل
فى الشطرنج
من الشعر

فَتَى نَصَبُ الشُّطْرَنْجِ كَيْمَا يَرَى بِهَا عَوَاقِبَ لَا يَسْمُو بِهَا غَيْرَ جَاهِلٍ
وَأَبْصَرَ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ بِعَيْنِي مُجَدِّدٍ فِي مَخِيلَةٍ هَازِلٍ
لِيَجْرَى عَلَى السُّلْطَانِ فِي ذَاكَ أَنَّهُ أَرَاهُ بِهَا كَيْفَ اتَّقَاهُ الْغَوَائِلُ
وَتَصْرِيفَ مَا فِيهَا إِذَا مَا اعْتَبَرْتَهُ شَبِيهَ بِتَصْرِيفِ الْقَنَا وَالْقَنَابِلِ

قال المسعودي : فأما ما قيل في النرد وأوصافها فقد قدمنا فيما سلف من هذا القاعب بالنرد الكتاب كيفية نصبها والحدث للعبها على ما حكى من التنازع في ذلك عند ذكرنا أخبار الهند ، وفيها عند ذوى المعرفة بها ضروب من اللعب وفنون من الترتيب ، ووجوه من النصب ، إلا أن عدد البيوت واحد لا زيادة فيه ولا نقصان ، على ما تقدم في ذلك من عملها والعهود في أصولها ، وأن الفصين فيها محكمان ، واللاعب بها وإن لم يكن مختاراً ولا خارجاً عن حكم الفصين فيها وقضائهما محتاج إلى أن يكون صحيح النقل وسابقه صحيح الحساب حسن الترتيب جيده

وقد قيل في لعبها ووصفها وإحكام الفصين فيها وقضائهما على لعبها أشعار بعض ما قيل في لعب النرد من الشعر : كثيرة بالغوا بالقول فيها وأغرقوا في استيعاب معانيها ؛ من ذلك قول بعضهم :

لا خير في النرد لا يغنى ممارستها حسن الذكاء ، إذا ما كان محروماً
تريك أفعال فصيهاً بحكمهما ضدين في الحال ميمونا ومشئوما
فما تكاد ترى فيها أخصاً أدب يفوته القمراً إلا كان مظلوماً

وأخبرني أبو الفتح محمد بن الحسن السندی بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم ، وكان من أهل العلم والرواية والمعرفة والأدب ، أنه كتب إلى صديق له يذم النرد ، وكان بها مشتهراً أبياتاً ، وهى :

أيها المعجب المفاخر بالنرد د ليزهوبها على الإخوان
فلعمري حرصت جهداً على قم رك لولم تواتك الفصان
غير أن الأديب يكذبه الظ ن ويبكى لشدة الحرمان

وإذا ما القضاة جاءت بحكم لم يحد عن قضائها الخصمان
ولعمري ما كنت أول إنسان تمنى فأخلفته الأمانى
وأنشدنى أبو الفتح أيضا لأبي نواس :

ومأمورة بالأمر تأتى بغيره ولم تتبع فى ذاك غيا ولا رشدا
إذا قلت لم تفعل وليست مطيعة وأفعل ما قالت فصرت لها عبدا

وقد قدمنا فى أخبار ملوك الهند فيما سلف من هذا الكتاب قول من قال
فى الرد والفصين : إنها جعلت مثالا لكاسب ، وإنها لاتنال بالكيس ولا بالحيل ،
وما ذكر عن أرسير بن بابك فى ذلك أنه أول من لعب بها ، وأرى تقلب الدنيا
بأهلها ، وجعله لبيوتها اثنى عشر على ترتيب عدد الشهور ، وإن كلابها ثلاثون
كلها بعدد أيام الشهور ، وإن الفصين مثال القدر ، وتلاعبه بأهل هذا العالم ، وغير
ذلك مما وصفنا من أحوالها ، وما قدمنا من ذكرها فى هذا الكتاب وغيره مما
سلف من كتبنا

وذكر بعض أهل النظر من الإسلاميين أن واضع الشطرنج كان عدليا
مستطيعا فيما يفعل ، وأن واضع الرد كان مجبرا فتبين باللعب بها أنه لا صنع له
فيها ، بل تصرفه فيها على ما يوجهه القدر عليه بها

وذكر العروضى - وهو ممن كان له أدب الراضى وغيره من الخلفاء وأبنائهم
قال : حدثت الراضى ذات يوم خبرا ألقىته عن مسلم الباهلى فى الكبير وغيره من
الخصال التى توجد فى أهل الرياسات مما يحمد فيهم ويكره منهم من الأخلاق ؛
فكتب ذلك فى حال صباه وعنفوان حدائته ، ولقد رأيته مواظبا على درسه
إلى أن استكمل إتيقانه فى مجاسه ، فداخله عند ذلك طرب وفرح وأريحية لم
أعدها منه ، ثم قال لى وقد أقبل على : لعل الزمان أن يبلغ بى أن أتأدب بهذه
الخصال ، وأكون فى مرتبة من يرتاض بهذه الآداب ، وهو أنه قيل لقتيبة بن
مسلم وهو وال على خراسان للحجاج محارب للترك : لو وجهت فلانا ، لرجل من

أصحابه ، إلى حرب بعض الملوك على الجيش ، فقال قتيبة : إنه رجل عظيم الكبر
ومن عظم كبره اشتد عجبه ، ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيا ، ولم يؤمر نصيحاً ،
ومن تبيح بالاعجاب وفخر بالاستبداد كان من الصنع بعيداً ، ومن الخذلان
قرباً ، والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة ، ومن تكبر على عدوه
حقره ، وإذا حقره تهاون بأمره ، ومن تهاون بأمر عدوه وثق بأمر قوته ، وسكن
إلى جميع عدته ، ومن سكن إلى جميع عدته قلّ احتراسه ، ومن قلّ احتراسه كثر
عثاره ، وما رأيت عظيماً تكبر على صاحب حرب قط إلا كان منكوباً ومهزولاً
ومخذولاً ، لا والله حتى يكون أسمع من فرس ، وأبصر من عقاب ، وأهدى من
قطاة ، وأحذر من عتق ، وأشدّ إقداماً من أسد ، وأوثب من فهد ، وأحقّد من
جمل ، وأروغ من ثعلب ، وأسخى من ديك ، وأشحّ من ظبي ، وأحرس من
كركي ، وأحفظ من كلب ، وأصبر من ضب ، وأجمع من النمل ، وإن النفس
إنما تسم بالعناية على قدر الحاجة ، وتحفظ على قدر الخوف ، وتطمع على قدر
السبب ، وقد قيل على وجه الدهر : ليس لمعجب رأى ، ولا لمتكبر صديق ،
ومن أحب أن يحب تحب

قال العروضي : وتذاكرنا يوماً بحضرة الراصي بالله في حال صباه - وقد
حضر جماعة من ذوى العلم والمعرفة بأخبار الناس ممن غبر - فأنهى بنا الأمر إلى
خبر معاوية بن أبي سفيان حين ورد عليه كتاب من ملك الروم أن يرسل إليه
سراويل أجسم رجل عنده ، فقال معاوية : لا أعلمه إلا قيس بن سعد ، فقال
لقيس : إذا انصرفت فابعث إلى سراويلك ، فخلعها ورمى بها ، فقال معاوية :
هلا بعثت بها من منزلك ، فقال قيس :

أردت لكياً يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود

وأن لا يقولوا غاب قيس ، وهذه سراويل عاد قد نمتهمود

فقال قائل من حضر : قد كان جبلة بن الأيهم أحد ملوك بني غسان طوله اثنا عشر شبرا ، فاذا ركب مسحت قدماه الأرض ، فقال له الراضى بالله : قد كان قيس بن سعد هذا المذكور تخط قدماه الأرض ، وإذا مشى بين الناس يتوهمون أنه راكب ، وقد كان جدى على بن عبد الله بن العباس طويلا جميلا يتعجب الناس من طوله ، وكان يقول : كنت إلى منكب عبد الله بن عباس ، وكان عبد الله إلى منكب جدى العباس ، وكان العباس بن عبد المطلب إذا طاف بالبيت يرى كأنه فسطاط أبيض ، قال : فتعجب والله من حضر من إيراده هذا الخبر مع صفر سنه ، ثم تذاكرنا عجائب البلدان وما خص به كل صقع من الأرض من أنواع النبات والحيوان والجماد من أنواع الجواهر وغيرها ، فقال لى قائل من حضر : إن أعجب ما فى الدنيا طير يكون بأرض طبرستان على شاطئ الأنهار شبيه بالباشق ، وأهل طبرستان يسمونه بالككم ، وهو صياحه الذى يصيح به ، ولا يصيح فى السنة إلا فى هذا الفصل ، فاذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصفار الطيور مما يكون فى المياه وغيرها فتزقه من أول النهار ، حتى إذا كان فى آخره أخذ واحدا مما قرب من الطير فأكله ، وكذلك يفعل فى كل يوم إلى أن ينتضى هذا الفصل الربيعى ، فاذا انتضى ذلك انعكست عليه الطيور فلا تزال تجتمع عليه وتضربه وتطرده وهو يهرب منها ولا يسمع له صوت إلى الفصل الربيعى ، وهو طير حسن موشى حسن العينين ، قال : وذكر على بن يزيد الطبيب الطبرى صاحب كتاب فردوس الحكمة أن هذا الطائر ليس بكاد يرى ، ولم ترق قدماه على الأرض معا ، بل يطاء على الأرض باحدى قدميه على البديل لا يطاء الأرض بهما فى حالة واحدة ، قال : وقد ذكر الجاحظ أن هذا الطير من إحدى عجائب الدنيا ، وذلك أنه لا يطاء الأرض بقدميه ، بل باحداهما خوفا على الأرض ، أن تنخسف به من تحته ، قال : والمعجب الثانى دودة تكون من المثقال إلى الثلاثة تضى بالليل كضوء الشمع ، وتطير بالنهار ، ويرى لها

أجنحة خضراء ملساء لاجنّاحين لها غذاؤها التراب لاتشبع منه قط ، خوفا أن يفنى تراب الأرض فتهلك جوعا ، وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة ، قال :
والعجب الثالث أعجب من الطير والدودة ، من يكرى نفسه للقتل ، يعنى المرتزقة من الجند ، فاستحسن هذا الخبر من حضر ، فقال أبو العباس الراضى معارضه لهذا الخبر الذى أخبر بالخبر الأول : قد ذكر عمرو بن بحر الجاحظ أن أعجب ما فى الدنيا ثلاث : اليوم لا يظهر بالنهار خوفا أن تصيبها العين لحسنها وجالها ، ولما قد تصور فى نفسها أنها أحسن الحيوان ، فتظهر بالليل ، والعجب الثانى الكركى لا يبطأ بقدميه الأرض ، بل باحداها فاذا وطىء باحداها لا يعتمد عليها اعتمادا قويا ، ومشى بالتأنى ، خوفا من أن تنخسف الأرض من تحته ، ولثقله ، والعجب الثالث الطائر الذى يقعد على سوق الماء من الأنهار إذا انخرزت الذى يعرف بمالك الحزين على شبه الكركى خوفا من الماء أن يفنى من الأرض فيموت عطشا ، قال العروضى : فافترق من حضره وكل متعجب من الراضى مع صباه وصغر سنه كيف تتأتى منه هذه المذاكرات ، مع أن من حضره من أهل الرأى والسن والمعرفة

قال المسعودى : وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على عجائب الأرض والبحار وما فيها من عجائب البنيان والحيوان والجماد والمائع والجراج ، فأغنى ذلك عن إيرادها فى هذا الموضع

وإنما ذكرنا أخبار الراضى وما كان من أمره فى صباه وما أخبر عنه مؤدبه ونظمنا من أخباره ما تأتى لنا ذكره فى هذا الكتاب

وأخبرنا العروضى قال : سمعت عند الراضى فى ليلة شاتية صها كية ، فرأيتة قلقا متمللا ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، أرى منك خصالا لم أعهدا ، وضيق صدر لم أعرفه ، فقال له : دع عنك هذا ، وحدثنى بحديث فإن أنت أزلت

يحديثك ما أجده من المهم فلك ما على وما تحتي، على أن اشترط عليك إزالة
الهم بالضحك، قلت: يا أمير المؤمنين، رحل رجل من بني هاشم إلى ابن عمه
بالمدينة، فأقام عنده حولا لم يدخل مستراحا، فلما كان بعد الحول أراد الرجوع
إلى الكوفة، فحلف عليه أن يقيم عنده أياما آخر، فأقام، وكان للرجل قينتان
فقال لهما: أما رأيكما ابن عمي وظرفه، أقام عندنا حولا لم يدخل الخلاء، فقالتا
له: فعلينا أن نصنع له شيئا لا يجرد معه بدا من الخلاء، قال: شأنكما وذلك،
فعمدتا إلى خشب العشر، فدقته، وهو مُسهل، وطرحتاه في شرابه، فلما حضر
وقت شرابهما قدمته إليه، وسقيا مولاها من غيره، فلما أخذ الشراب منهما
تناوم المولى، وتمغص القتي، فقال للتي تليه: ياسيدي، أين الخلاء؟ فقالت لها
صاحبتها: ما يقول لك؟ قالت: يسألك أن تغنيه:

خَلَا من آل فاطمة الديار فَنَزَلَ أَهْلُهَا مِنْهَا قَفَّارُ

فغنته، فقال القتي: أظنهما كوفيتين وما فهمتا، ثم التفت إلى الأخرى
فقال لها: ياسيدي، أين الحش؟ فقالت لها صاحبتها: ما يقول لك؟ قالت:
يسألك أن تغنيه

أَوْحَشَ الدُّقْرَاتِ وَالْدِيرَ مِنْهَا فَعْنَاهَا بِالْمَنْزِلِ الْمَعْمُورِ

فغنته، فقال القتي: أظنهما عراقيتين وما فهمتا عني، ثم التفت إلى الأخرى
فقال لها: أعزك الله أين المتوضأ؟ فقالت لها صاحبتها: ما يقول لك؟ قالت:
يسألك أن تغنيه

تَوْضَا لِلصَّلَاةِ وَصَلَ خَمْسَا وَأَذِنَ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ

فغنته، فقال: أظنهما حجازيتين وما فهمتا عني، ثم التفت إلى الأخرى فقال
لها: ياسيدي أين الكنيف؟ قالت لها صاحبتها: ما يقول لك؟ قالت: يسألك
أن تغنيه

تَكْنِفِي الْوَاشُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَلَوْ كَانَ وَاشٌ وَاحِدٌ لَكَفَانِيَا

ففتنته ، فقال : أظنهما يمانيتين وما فهمتا عني ، ثم التفت إلى الأخرى فقال لها : يا هذه أين المستراح ، فقالت لها صاحبتهما : ما قال لك ؟ قالت : يسألك أن تغنيه

ترك الفُكاهة والمُزَاحا وقلَى الصبابة واستراحا

ففتنته ، والمولى يسمع ذلك وهو متناوم ، فلما اشتد به الأمر أنشأ يقول :

تكفني السلاح وأضجروني على ما بي بتكرير الأغاني

فلما ضاق عن ذاك اضطباري ذرقت به على وجه الزواني

ثم إنه حل سراويله وسلح عليهما فتركما آية للناظرين ، واتبه المولى في أثر ذلك ، فلما رأى ما نزل بجواريه قال : يا أخى ، ما حملك على هذا الفعل ؟ قال : يا ابن الفاعلة لك جَوَارِيَرُونَ الخرج صراطا مستقيما لا يدلنني عليه ، فلم أجد جزاء غير هذا ، ثم رحل عنه ، قال : فذهب بالراضى الضحك كل مذهب ، وسلم إلى كل ما كان عليه وتحت من لباس وفرش ، فكان مبلغ ثمن ذلك نحواً من ألف دينار

وذكر الصولى قال : قال الراضى : ما كان السبب فى لبس المأمون الخضره ورفعه السواد ثم لبسه السواد بعد ذلك ؟ قلت : هو ما أخبرنا به محمد بن زكريا العلأى قال : حدثنا يعقوب بن جعفر بن سليمان قال : لما قدم المأمون بغداد اجتمع الهاشميون إلى زينب بنت سليمان بن على ، وكانت أقعد ولد العباس نسباً ، وأكرمهم بيتاً ، فسألوها أن تكلم أمير المؤمنين فى تغييره الخضره ، فضمنت لهم ذلك ، وجاءت إلى المأمون فقالت : يا أمير المؤمنين ، إنك على بر أهلك من ولد على بن أبى طالب أقدر منك على برهم لنا ، من غير أن تزيل سنة من مضى من آبائك ، فدع لباسك الخضره ، ولا تطعن أحداً فيما كان منك ، قال لها : يا عمة ، ما كلمنى أحداً فى هذا المعنى بكلام أوقع من كلامك ، ولا أقصد لما أردت ؛ لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فولى الامرة أبو بكر ، فقد عرفت ما

كان من أمره فينا أهل البيت ، ثم وليها عمر فلم يتعد فيها فعل من تقدمه ، ثم
 وليها عثمان فأقبل على بني أمية وأعرض عن غيرهم ، ثم آل الأمر إلى علي بن
 أبي طالب من غير صفو كصفوها لغيره بل مشوبة بالأكدار ، فولى مع ذلك
 عبد الله بن العباس البصرة ، وولى عبيد الله بن العباس اليمن ، وولى قثم البحرين ،
 وما أحد منهم إلا ولاء ، فكانت هذه في أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت ،
 ولا يكون بعد هذا إلا ما تحبون ، ثم رجع إلى لبس السواد ، ولعمامون
 يا أمير المؤمنين شعر يشاكل معنى ما ذكرت من هذا الخبر ، وهو قوله :

ألام على شكر الوصى أبي الحسن	وذلك عندي من عجائب ذا الزمن
خليفة خير الناس والأول الذي	أعان رسول الله في السر والعلن
ولولاه ما عدت لها شم مرة	وكانت على الأيام تقضى و تمتهن
فولى بنى العباس ما اختص غيرهم	ومن فيه أولى بالتكريم والمن
فأوضح عبد الله بالبصرة الهدى	وقاض عبيد الله جودا على اليمن
وقسم أعمال الخليفة بينهم	فلا زلت مربوطا بهذا الشكر مرتين

وكان القاهر قد عمد إلى كثير من الأموال عند قتله لمؤنس و بليق وابنه على
 وغيرهم ففبيها ، فلما قبض عليه و سملت عيناه وأفضت الخلافة إلى الراضى
 طوب القاهر بالأموال ، فأنكر أن يكون عنده شيء من ذلك ، فأودى وعذب
 بأنواع من العذاب ، وكل ذلك لا يزيده إلا إنكارا ، فأخذ الراضى وقربه
 وأدناه ، وظالت مجالسته إياه ، وإكرامه له ، وأعطاه حق العمومية والسن
 والتقدم فى الخلافة ، ولاطفه وأحسن إليه غاية الإحسان ، وكان للقاهر فى بعض
 الحصون بستان من ريحان وغرس من التارنج قد حمل إليه من البصرة وعمان مما
 حمل إلى أرض الهند قد اشتبكت أشجاره ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر
 وبين ذلك أنواع الغروس والرياحين والزهر ، وقد جعل مع ذلك فى الصحن
 أنواع الطياري من القمارى والدبابى والشحارير والبيغاء ، مما قد جلب إليه من

المالک والأمصار ، وكان فى غاية الحسن ، وكان القاهر كثير الشرب عليه والجلوس فى تلك المجالس ، فلما أفضت الخلافة إلى الراضى اشتد شغفه بذلك الموضع ، فكان يداوم الجلوس والشرب فيه ، ثم إن الراضى رفق بالقاهر وأعلمه بما هو فيه من مطالبة الرجال بالأموال والحاجة إليها ولا شئ قبله منها ، وسأله أن يسعفه بما عنده منها إذ كانت الدولة له وأن يدبر تدبيره ويرجع فى كل الأمور إلى قوله ، وحلف له بالآيمان الوكيدة أن لا يسعى فى قتله ولا الاضرار به ولا بأحد من ولده ، فأنعم له القاهر بذلك ، وقال : ليس لى مال إلا فى بستان النارج ، فصار به إلى البستان وسأله عن الموضع ، فقال له القاهر : قد حجب بصرى فلست أعرف موضعه ، ولكن مر بحفره فانك تظهر على الموضع ولا يخفى عليك ، فكان ذلك ، فحضر البستان وقلع تلك الأشجار والعروس والأزهار حتى لم يبق منه موضع إلا حفرة وبولغ فى حفره فلم يجد شيئا ، فقال له الراضى : فما ههنا شئ مما ذكرت ، فما الذى حملك على ما صنعت ، فقال له القاهر : وهل عندى من المال شئ ؟ إنما كانت حسرتى جلوسك فى هذا الموضع وتمتعك به ، وكان لذتى من الدنيا ، فتأسفت على أن يتمتع به بعدى غيرى ، فتأسف الراضى على ما توجه عليه من الحيلة فى أمر ذلك البستان ، وندم على قبوله منه ، وأبعد القاهر فلم يكن يدنو منه خوفا على نفسه أن يتناول بعض أطرافه

وكان الراضى كثير الاستعمال للطبيب ، حسن الهيئة ، سخيا جوادا ، حسن المذاكرة باخبار الناس وأيامهم ، مقربا لأهل العلم والأدب والمعرفة ، كثير الدنو منهم ، فائضا بمجوده عليهم ، ولم يكن ينصرف عنه أحد من ندمائه فى كل يوم إلا بصلة أو خلعة أو طيب ، وكانوا عدة ندماء : منهم محمد بن يحيى الصولى ، وابن حمدون النديم ، وغيرهما ، فموتب على كثرة إفضاله على من يحضره من الجلساء ، فقال : أنا أستحسن فعل أمير المؤمنين أبى العباس ، لأنه كانت فيه فضائل لا تكاد تجتمع فى أحد ، لا يحضره نديم ولا مَعَنٍ ولا قِيَمَةٍ فينصرف

إلا بصلة أو كسوة قلّت أو كثرت ، وكان لا يؤخر إحسان مُحسِن لغد ، ويقول :
العجب من إنسان يفرح إنسانا فيتمتع بالسرور ويؤخر ثواب من سره تسويقا
وعِدّة ، فكان أبو العباس في كل ليلة أو يوم يقعد لشغله لا ينصرف أحد من
حضره إلا مسرورا ، ونحن وإن لم تتأت لنا الأمور كتأتيتها لمن سلف فانا نواسي
جلساءنا بل إخواننا ببعض ما حضرنا ، وكان سخيا على سائر الأشياء لا يستكثر
لأحد من ندمائه كثرة ما يصل إليه على طول الأيام ، حتي كان بعضهم ربما يتأخر
عن الحضور لما يترادف عليه من فضله ، وكان الغالب عليه من الخدم راغب
الخادم وزيرك ، ومن الغلمان ذكي وغيره

وحدث أبو الحسن العروضي مؤدب الراضى قال : اجتزت في يوم مهرجان
بدجلة بدار يحكم التركي ، فرأيت من الهرج والملاهي واللعب والفرح والسرور
ما لم أر مثله ، ثم دخلت إلى الراضى بالله فوجدته خاليا بنفسه قد اعتراهم ،
فوقفت بين يديه ، فقال لى ادن ، فدنوت ، فاذا بيده دينار ودرهم ؛ في الدينار
نحو من مثاقيل ، وفي الدرهم كذلك ، عليه صورة يحكم شاك في سلاحه وحوله
مكتوب :

إنما العز فاعلم للأمر المعظم

* سيد الناس يحكم *

ومن الجانب الآخر الصورة بعينها جالس في مجلسه كالفكر المطرق ، فقال
الراضى : أما ترى صنع هذا الانسان ، وما تسمو إليه همته ، وما يتحدث به نفسه ؟
فلم أجبه بشيء ، وأخذت به في أخبار من مضى من ملوك الفرس وغيرها ، وما
كانت تلقى من أتباعها ، وصبرهم عليهم ، وحسن سياستهم لذلك ، حتى تصالح
أمورهم ، وتستقيم أحوالهم ، فسلا عما عرض لنفسه ، ثم قلت : يمتع الله أمير المؤمنين
أن يكون كالمؤمن في هذا الوقت حيث يقول :

صل الندمان يوم المهرجان بصاف من معتقة الدنان

بكأس خسرواني عتيق فان العيد عيد خسرواني
وجنبي الزيبين طراً فشان ذوى الزيب خلاف شانى
فأشربها وأزعمها حراما وأرجو عفو رب ذى امتنان
ويشربها ويزعمها حلالا وتلك على الشقى خطيئتان

فطرب وأخذته أريحية ، فقال لى : صدقت ، ترك الفرح فى مثل هذا اليوم
عجز ، وأمر باحضار الجلساء ، وقعد فى مجلس التاج على دجلة ، فلم أريوما كان أحسن
منه فى الفرح والسرور ، وأجاز فى ذلك اليوم من الندماء والمغنين والمهين بالدنانير
والدراهم والخلع وأنواع الطيب ، وأنته هدايا يحكم وألطافه من أرض المعجم ،
فسر فى ذلك اليوم وجميع من حضره

قال المسعودى: وقد أتينا على ما كان فى أيام الراضى من الكوائن والحوادث
مجملا ومفصلا فى كتابنا « أخبار الزمان » ومن أباده الحدثنان من الأمم الماضية
والأجيال الخالية والمالك الدائرة ، وما كان من أمره حال خروجه مع يحكم إلى
بلاد الموصل وديار ريبة ، وما كان بين يحكم وأبى محمد الحسن بن عبد الله بن
حمدان المسمى بعد ذلك بناصر الدولة ، وقصدنا فيما ذكرنا فى هذا الكتاب إلى
الاختصار دون الشرح والاكتثار ، إذ كان فى الاكثار من الأخبار ثقل على
القلوب ، وملل للسامع ، وقليل الأخبار يغنى عن كثير الاقتدار

ذكر خلافة المتقي لله

وبويع المتقي لله ، وهو أبو إسحق إبراهيم بن المقتدر ، لعشر خلون من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثمانئة ، وخلع وُسِمَتْ عِيْنَاهُ يوم السبت ثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانئة ، وكانت خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهرا وثلاثة وعشرين يوما ، وأمه أم ولد .

مجل تاريخه

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولم مما كان في أيامه

ولما أفضت الخلافة إلى المتقي لله أقر على الوزارة سليمان بن الحسن بن مخلد ، ثم استوزر أبا الحسن أحمد بن محمد بن تيمون ، وكان كاتبه قبل الخلافة ، ثم استوزر أبا إسحق محمد بن أحمد القراريطي ، ثم استوزر أبا العباس أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، ثم استوزر أبا الحسن علي بن مقلة ، وغلب على الأمر أبو الوفاء تورون التركي .

وزراؤه

واشتد أمر الزيديين بالبصرة ومنعوا السفن أن تصعد ، وعظم جيشهم ، وكثرت رجالهم ، وصار لهم جيشان جيش في الماء في السدوات والطيارات والسماريات والديارب ، وهذه أنواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار ، وجيش في البر عظيم ، واصطنعوا الرجال ، وبذلوا الرغائب ، فانضاف إليهم حجرية السلطان وغلمانة ، وصار جيش السلطان الأتراك والديلم والجيل ونفرا من القرامطة ، وكل ذلك مع تورون ، وكان تورون من رفقاء يحكم والخواص من أصحابه ، فأنحدر تورون إلى واسط لحرب الزيديين ، وكانوا ملكوا واسط وتغلبوا عليها ، فكانت بينهم سجلا ، والمتقي لله لا أمر له ولا نهى ، فكانت للمتقي أبا محمد الحسن بن

الزيدون
بالبصرة

عبد الله بن حمدان ناصر الدولة وأخاه أبا الحسن على بن عبد الله سيف الدولة أن
ينجدوه ويستنقذوه مما هو فيه ، ويفوض إليهما الملك والتدبير ، وقد كان قبل
ذلك خرج إليهم وتورون في جملتهم منضاف وغيره من الأتراك والديلم ، وذلك
عند قتلهم محمد بن رائق في سنة ثلاثين وثلثمائة وانحدرهم إلى مدينة السلام
واستبلاهم على الملك والقيام له وحربهم اليزيديين وما كان بينهم من الوقائع إلى
أن توجه عليهم ما ذكرنا في كتابنا « أخبار الزمان » من خروج أبي محمد الحسن
ابن عبد الله من الحضره إلى الموصل ولحق أخيه أبي الحسن على بن عبد الله
وخلاصه مما دبره عليه تورون وجمعج التركي ، فخرج المتقى إلى الموصل ، فلما بلغ
تورون ذلك رجع إلى بغداد وقصد بني حمدان ، فكان التقاؤهم بمكبر ، فكانت
بينهم سجالا ، ثم كانت لتورون عليهم ، فرجع إلى بغداد ، ثم أجمعوا له أيضا ،
ورجعوا إليه ، فتردكهم حتى قربوا إلى بغداد ، فخرج عليهم فلقمهم فهزمهم بعد
مواقعات كانت بينهم ، وسار هو حتى دخل الموصل ، وخرج عنها إلى مدينة بلد
فصالحوه على مال حملوه إليه ، فرجع إلى بغداد وهو مستظفر بمن معه من الأتراك
والجيل والديلم وكال العدة والكراع ، وسار المتقى إلى نصيبين ، ورجع عنها إلى
الرقه فزلها ، وذلك لأيام بقين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ،
وكانت الأخشيد محمد بن طفج فسار إلى الرقة وحمل إليه مالا كثيرا ، وأهدى إليه
غلمانا وأثانا ، وضم إليه قائدا من قواده ، وجمل أمره ، وزاد في حاله ، وبر جميع
من معه من وزيره أبي الحسن على بن مقلة وقاضى القضاة أحمد بن عبد الله بن
إسحق الحرقى وسلام الحاجب المعروف بأخى نبح الطولونى وجماعة الوجوه
والغلمان ، ثم لم يعبر الأخشيد محمد بن طفج إلى الرقة ولا إلى شيء من جانب
الجزيرة وديار مصر ، وعبر المتقى ، وسار إلى معسكره من الجانب الشامى ، فكانت
بينهم خطوب وأيمان وعهود ، وأبو الحسن على بن عبد الله بن حمدان مقيم بحران
طول مقام المتقى بالرقه ، وقد كان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان سار

عن حلب و بلاد حمص عند مسير الاخشيذ إلى بلاد قنسرين والعواصم فانقض
 جمعه ، وتفرق جنده عنه ، وانضافوا إلى الحسن بن على بن عبد الله ، واتصلت
 كتب توروون بالمتقى ، وتواترت رسله يسأله الرجوع إلى الحضرة ، وأشهد توروون
 من حضره من القضاة والفقهاء والشهود ، وأعطى اليهود والموائيق بالسمع والطاعة
 للمتقى ، والتصرف له بين أمره ونهيه ، وترك اخلاف عليه ، وأنفذ إليه كتب
 القضاة والشهود مما بذل من الأيمان وأعطى من اليهود ، وأشار بنو حمدان على
 المتقى أن لا ينحدر ، وخوفوه من توروون ، وحذروه أمره ، فانه لا يأمنه على
 نفسه ، فأبى إلا مخالفتهم ، والثقة بما ورد عليه من توروون ، وقد كان بنو حمدان
 أنفقوا على المتقى نفقة واسعة عظيمة طول مقامه عندهم واجتيازه بهم ، يكثر
 وصفها ويعسر علينا في التحصيل إيرادها باكثر الخبرين لنا بتحديددها ، وانصرف
 الأخشيذ عن الفرات متوجها نحو مصر ، وانحدر المتقى في الفرات ، فتلقيه أبو جعفر
 ابن سيرار كاتب توروون باحسن لقاء ، وأقام الأتراك ، ومضى في انحداره حتى
 دخل النهر المعروف بنهر عيسى ، وسار إلى الضيعة المعروفة بالسندرية على شاطئ
 هذا النهر ، فتلقيه توروون هنالك ، وترجل له ، ومشى بين يديه ، فأقسم عليه أن
 يركب ، ففعل ، حتى وافى به إلى المضرب الذي كان ضربه له على الشط من نهر
 عيسى ، وذلك على شوط من مدينة السلام ، فأقام هنالك ، وأنفذ رسلا إلى
 دار طاهر ليحضر المستكفي ، فلما حصل المستكفي في المضرب قبض على المتقى ،
 ونهب جميع ما كان معه وقبض على وزيره أبي الحسن على بن محمد بن مقله ،
 وعلى قاضيه أحمد بن عبد الله بن إسحق ، ونهب جميع العسكر ، وانصرف القائد
 الذي كان الاخشيذ ضمه إلى المتقى ومن معه إلى صاحبهم ، وأحضر المستكفي
 فبيع له وبكى المتقى ، وصاح النساء والخدم لصياحه ، فأمر توروون بضرب
 الدبابد حول المضرب ، فنفخ صراخ الخدم ، وأدخل إلى الحضرة مسمول العينين ،
 وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم وسلم إلى المستكفي بالله ، وبلغ ذلك القاهر ،
 فقال : قد صرنا بحقيق نحتاج إلى صدر ، يعرض بالمستكفي بالله

وحدث محمد بن عبد الله الدمشقي قال : لما نزل المتقي الرقة كنت فيمن يتصرف بين يديه ، وأقرب منه في الخدمة ، لطول صحبته ، فقال لي في بعض الأيام في الرقة وهو جالس في داره على الفرات : اطلب لي رجلا أخباريا يحفظ أيام الناس أنفجإ إليه في خلواتي وأستريح به في الأوقات ، قال : فسألت بالرقة عن رجل بهذا الوصف ، فأرشدت إلى رجل بالرقة كهل لازم لمنزله ، فصرت إليه ، ورغبته في الدخول إلى المتقي لله ، فقام معي كالمكره ، وصرنا إلى المتقي فأعلمته إحضاري للرجل الذي طلبه ، فلما خلا وجهه دعا به واستدناه ، فوجد عنده ما أراد ، فكان معه أيام مقامه بالرقة ، فلما انحدر كان معه في الزورق ، فلما صار إلى نهر سعيد - وذلك بين الرقة والرحبة - أرق المتقي ذات ليلة ، فقال للرجل : ما تحفظ من أشعار المبيضة وأخبارها ؟ فمر الرجل في أخبار آل أبي طالب إلى أن صار إلى أخبار الحسن بن زيد وأخيه محمد بن زيد بن الحسن وما كان من أمرهما ببلاد طبرستان ، وذكر كثيرا من محاسنهما ، وقصد أهل العلم والأدب إياهما ، وما قالت الشعراء فيهما ، فقال له المتقي : آتحفظ شعر أبي المقاتل نصر بن نصر الحلواني في محمد بن زيد الحسنى الداعى ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين لكن معى غلام لى قد حفظ بحدائث سنه وحدة مزاجه وغلبة الهمة لطلب العلم والأدب عليه مالم أحفظ من أخبار الناس وأيامهم وأشعارهم ، قال : أحضره ، ولم أخفيت ، عنى خبر مثل هذا فيكون حضوره زيادة فى أنسنا ؟ فأحضر الغلام من زورق آخر ، فوقف بين يديه ، فقال له صاحبه : آتحفظ قصيدة أبى المقاتل فى ابن زيد ؟ قال : نعم ، قال المتقى : أنشدنيها ، فابتدأ ينشده إياها :

لاتقل بُشْرَى وقل لى بُشْرِيان	غرّة الداعى ويوم المهرجان
خلقت كفاء موتا وحياة	وحوت أخلاقه كنه الجنان
فهو فصل فى زمان بدوى	وابن زيد مالك رق الزمان
فهو للكل بكل مستقل	بالعطايا والمنايا والأمان

أوحد قام بتشيد المباني
مصرف في الجود من غير اعتذار
وهو من أرسى رسول الله فيه
سيد عرق فيه السيدان
مُخْتَفٍ فكرته في كل شيء
يعرف الدهر على ما غاب عنه
يتنأى لفظنا عنه ولكن
أخرجت ألفاظه ما في الخفايا
كافر بالله جبرا والمشائي
وإذا ما أسبغ الدرع عليه
بعثت سطوته في الموت رعبا
يحدق الأبطال بالألحاظ حتى
ملك الموت يناديه أجرني
لا تكلفني فوق الوسع وارفق
يا شقيق القدر المحتوم كم قد
لك يومان فيوم من لبنان
أنجزت كفاك وعدا ووعيدا
فاذا ما أروت اليمنى حباء
جدتافي النفع والضر بدارا
أرخت كفاك في الآفاق حتى
قدمتك المدح الغروصا

فيه استنيط أجناس المعان
وعظيم البر من غير امتنان
وعلياه المعلى والحسان
والذي يكبر عن ذكر الحصان
فهو في كل محل ومكان
فيرى المضمرفي شخص العيان
هو بالأوصاف في الأذهان دان
وكفاه الدهر نطق الترجمان
كل من قال له في الخلق ثان
وانكفت يمناه بالسيف اليمان
أيقن الموت بأن الموت فان
يرك المقدام في شخص الجبان
منك كم تغزو بضرب وطعان
فلقد ملكك الله عنان
رُضت بالضم عمادا وحران
يقتفي يوم أرون أرونان
وأحاطت لك بالدنيا اليدان
همت اليسرى بارواء السنان
فهما في كل حال ضربتان
ماتلاقي بسواك الشفتان
لك أيضا في أعاديك المهجان

أنت لا تحوى بمقول كتاب لك شأن خارج عن كل شان
 لك أنقال أباد مثقلات عجزت عن حملهن الثقلان
 إنما مدحك، وحي وزبور والذي ضمت عليه الدفتان
 هاكها جوهرة تبرية تو لى وجوه الموت تكفين الحنان
 يا إمام الدين خذها من إمام ملكت أشعاره سبق الرهان
 واستمع للرمل الأول ممن كشف الحنة من غير امتحان
 فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن ستة أجزاؤها عز الوزان
 كرة الآفاق لا تطلع إلا صارت الريح لها كالصوّلجان
 حلّيت فى صنعة الألفاظ مما يرتجيه كل ذى عفو وجان
 أنت تحكى جنة الخلد طباعا والقوافى فيك كالبحور الحسان
 وابق للشعر بقاء الشعر والشك ر مع الدهر فنعم الباقيان
 عمر رضوى بل تبير وشام وأرام وشمسار يخ أبان
 شهد الله على ما فى ضميرى فاستمع لفظى ترجيع أذان
 حسنات ليس فيها سيآت مدحة الداعى اكتبها يا كاتبان

فلم يزل الملقى كلما مر به بيت استعاده ، ثم أمر الغلام بالجلوس ، فلما كان
 فى اليوم الذى لقيه فيه ابن سيرار السكاتب سمعه ينشد هذا البيت

* لا تـقل بشرى وقل لى بشرىان *

فقال له الغلام وقد كان أنس به : يا أمير المؤمنين

* دامت البشرى قـل لى بشرىان *

وقد كان أنشده أولا القصيدة « لا تـقل بشرى » وأنشده هذا الوجه

« دامت البشرى قـل لى » وذكر له خبر أبى المقاتل مع الداعى ، فوالله ما زال

المتقى يقول « لاتقل بشرى » ولا يختار فى ذلك الوجه غير ذلك ، فقال له الرقى والغلام : والله لتطيرنا لأمر المؤمنين من اختياره إنشاد هذا البيت على هذا الوجه فكان من أمره ما ذكرنا

وحدث محمد بن عبد الله الدمشقى قال : لما انحدرنا مع المتقى من الرحبة وصرنا إلى مدينة غانة دعا بالرقى وغلامه فحدثاه ، وتسلسل بهم القول إلى فنون من الأخبار ، إلى أن صاروا إلى ذكر الخيل ، فقال المتقى : أيكم يحفظ خبر سليمان ابن ربيعة الباهلى ، فقال الغلام : ذكر [أبو] عمرو بن العلاء يا أمير المؤمنين أن سليمان بن ربيعة الباهلى كان يهجن الخيل ويعديها فى زمن عمر بن الخطاب ، فجاءه عمرو بن معد يكرب بفرس كميته هجيناً^(١) ، فاستعدى عليه عمر وشكاه إليه ، فقال سليمان : ادع باناء رجراج قصير الجدر ، فدعاه ، فصب فيه ماء ، ثم أتى بفرس عتيق لاشك فى عتقه ، فأسرع ونزل وشرب ، ثم أتى بفرس عمرو الذى كان هجن فأسرع سنبكه ومد عنقه كما فعل العتيق ، ثم ثنى أحد السنبكين قليلاً فشرب ، فلما رأى ذلك عمر بن الخطاب وكان ذلك بمحضره قال : أنت سليمان الخيل ، فقال المتقى : فما عندكم عن الأصمعى وغيره من علماء العرب فى صفاتها ؟ قال الرقى : ذكر الريحانى عن الأصمعى قال : إذا كان الفرس طويل أوظفة اليدين قصير أوظفة الرجلين طويل الذراعين قصير الساقين طويل الفخذين طويل العضدين منفرج الكتفين لم يكديسقب ، وقال : إذا سلم من الفرس شيآن لم يضره عيب سواهما : مغروز عنقه فى كاهله ، ومغروز عجزه فى صلبه ، وإذا جادت حوافره فهو هو ، وأنشدنا المبرد

ولقد شهدت الخيل تحمل شكى عتد كسر حان القضية منهب
فرس إذا استقبلته فكأنه فى العين جرع من أوائل مشرب
وإذا اعترضته استوت أقطاره فكأنه مستدبر المتصوب

(١) كذا ، ولعل الأصل « بفرس كميته هجيناً »

وسأل يا أمير المؤمنين معاوية مطرب دراج : أى الخيل أفضل وأوجز ؟
فقال : الذى إذا استقبلته قلت نافر ، وإذا استدبرته قلت زاجر ، وإذا استعرضته
قلت زافر ، سوطه عنانه ، وهواه أمامه ، قال : فأى البراذين شر ؟ قال : الغليظ
الرقبة ، الكثير الجلبة ، الذى إذا أرسلته قال أمسكنى ، وإذا أمسكته قال
أرسلنى ، قال الغلام : أحسن ما قيل فى الفرس ووصفه قول بعضهم

خير ما يركب الشجاع إذا ما	قيل يوما ألا اركبوا للغوار
كل نهدي أقب معتدل الخا	ق متين الشظى عتيق النجار
سلجم اللحن واسع السحر حدا	أذن وافي الدماغ والوجه عار
ما حتمه الحرار واشتد عليا	ه فأكدى محدودبا بالعوار
محضر القصر مكرب الرسغ دامى	إبط ساعى الجفون والأشفار
مُسْرِف مقتل نجيب إذا ما أد	بر مُسْتَدْبِر ككر صغار
فهو فى خلقه طوال ورحب	وعراض إلى سداد قصار
طال زاهيه والذراعان والأض	لاع منه فتم فى إخفار
ثم طالت وأيدت فخذاه	فهو كفت الوثوب بيت الخيار
والرحيب الفروج والجلد والمش	مرقدام منعر كالوجار
والعريض الوظيف والجنب والأو	راك والبجبة العريض الفقار
والحديد الفؤاد والسمع والعر	قوب والطرف حدة فى وقار
فهو صافى الأديم والعين والحا	فرغمر بديهة الاحضار
والقصير الكراع والظهر والرس	غ العصيب العسيب والصلب وار
لم تحن مثله القطاة ولم يس	امه تركيها إلى استنخار
مطمئن النسر بين حزام	كل لأم أحمر كالمُنْقَار

يكفت المشى كالذى يتخطى طنباً أو يستل كالسمار
وإذا ما استمر من غير ماباً س به مانع من استمرار
لان فاهتز مقبلاً فاذا أد بر أهوى متابع الادبار
فى تماقيب كالتمثيل أو كالـ جن أو كالظباء أو كالخوار
فاذا ما طحا به الجرى فالعة بان تهوى كواسر الأعصار

خيل الحلبة
وأسمائها

فلما كان فى الليلة الثانية دعا بهما ، فقال : عودا إلى ما كنتم عليه البارحة ،
واشرعا فى أخبار الحلائب ومراتب الخيل فيها ، قال الغلام : يا أمير المؤمنين ،
أذكر قولاً جامعاً أخبرنى به كلاب بن حمزة العقيلي قال : كانت العرب ترسل
خيلها عشرة عشرة أو أسفل والقصبة تسعة ولا يدخل الحجر الحجر من الخيل
إلا ثمانية ، وهذه أسمائها : الأول السابق ، وهو المجلى ، قال أبو الهندى كلاب :
إنما سمى المجلى لأنه جلى عن صاحبه ما كان فيه من الكرب والشدة ، وقال الفراء :
إنما سمى المجلى لأنه يجلى عن وجه صاحبه ، والثانى المصلى ؛ لأنه وضع جَحْفَلَتَهُ
على قِطَاةِ المجلى ، وهى صلاه ، والصلا : عجب الذنب بعينه ، والثالث المسلى ؛ لأنه
كان شريكاً فى السبق ، وكانت العرب تعد من كل ما يحتاج ثلاثة ، أو لأنه سلى
عن صاحبه بعض همه بالسبق ، والرابع التالى ، سمى بذلك لأنه تلا هذا المسلى
فى حال دون غيره ، والخامس المرتاح ، وهو المفتعل من الراحة لأن فى الراحة
خمس أصابع لا يعد منها غيرهن ، وإذا أومات العرب من العدد إلى خمس فتح
الذى يُومىء بها يَدَهُ و فرق أصابعه الخمس ، وذلك أيضاً ما يومئون به من غير
عقد الحساب ، ثم يكون بعدها إلى أن تكون عشرة فيفتح الذى يومىء به يديه
جميعاً ، ويقابل الخمس أصابع الخمس ، فلما كان الخامس مثل خامسة الأصابع وهى
الخنصر سمى مرتاحاً ، وسمى السادس حظياً ، لأن له حظاً ، وقيل : لأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعطى السادس قصة ، وهى آخر حظوظ خيل الحلبة ، فله
حظ ، وسمى السابع العاطف لدخوله الحجرة لأنه قد عطف بشئ وإن قل وحسن

إذ كان قد دخل المحجور ، وسمى الثامن المؤمل على القلب والتناول كما سمو الفلاة
مفازة والديغ سليما ، وكنوا الحبشى أبا البيضاء ، ونحو ذلك ، فكذاك سمووا
الخائب المؤمل أى أنه يؤمل وإن كان خائبا لأنه قرب من بعض ذوات الحظوظ
بعد ، والتاسع اللطيم لأنه لورام الحجرة للطعم دونها لأنه أعظم جرما من السابع
والثامن ، والعاشر السكيت لأن صاحبه يعاوه خشوع وذلة ويسكت حزنا وعيا ،
فكانوا يجعلون فى عنق السكيت حبلا ويحملون عليه قردا ويدفعون للقرد سوطا
فيركضه القرد ليعير بذلك صاحبه ، وأنشد فى ذلك الوليد بن حصن الكلبي :

إذا أنت لم تسبق وكنت مخلفا سبقت إذا لم تدع بالقرد والحبل
وإن تك حقا بالسكيت مخلفا فتورث مولاك المذلة بالنبل

أما ذكره النبل فإن بعضهم كان يفعل ذلك : ينصب فرسه ثم يرميه بالنبل
حتى يتعجب ، وقد فعل ذلك النعمان بفرسه النهب ، قال كلاب بن حمزة : ولم نعلم
أحدا من العرب فى الجاهلية والاسلام وصف خيل الحلبة العشرة بأسمائها صفاتها
وذكرها على مراتبها غير محمد بن يزيد بن مسleme بن عبد الملك بن مروان . وكان
بالجزيرة بالقرية المعروفة بحصن مسleme من إقليم بلخ من كورة الرقة من ديار مضر
فانه قال فى ذلك :

شهدنا الرهان غداة الرهان بجميمة ضمها الموسم
تقود إليها مقاد الجميع ونحن بصنعها أقوم
غدونا بمقودة كالتقداح غدت بالسعود لها الأنجم
مقابلة نسبة فى الصريح فما هنّ للأكرم الأكرم
كميت إذا ما تباطى بيل يفوت الخطوط إذا يلجم
فمنهن أحوى ممر أغر وأجود ذو غرة أرثم

تلاؤاً في وجهه فرجة	كان تلاؤها المرزم
فقيدت لمدخور ما عندها	لمنتظري أنها تنجم
عليهن سحيم صغار الشخوص	نمام لحام أنى تنجم
كانهم فوق أشباحها	زراير في تقق حوم
فصفت على الخيل في محضر	يلي أمره ثقة مسلم
تراضوا به حكما بينهم	فبالحق بينهم يحكم
وربك بالسيف عن ساعة	من الناس كلهم أعلم
فقلت ونحن على جدة	من الأرض نيرها مظلم
لقد فرغ الله مما يكون	ومهما يكن فهو لا يكم
فأقبل في أمرنا نافر	كما يقبل الوابل المثجم
وأتبع فوضى ومرفضة	كما ارفض من سلكه المنظم
أوالسرب سرب القطارعه	من الجو شوذانق مظلم
فواصل من كل سقط له	كأن عنايبها العندم
والمرء من فرح ما تستثير	سنايكن سنا يحزم
فخلى الأغروصلى الكميت	وسلى فلم يذمم الأدهم
وأردفها رابع تاليا	وأين من المنجد المتهم
وما ذم مرتاحها خامسا	وقد جاء يقدم ما يقدم
وجاء الحظي لها سادسا	فأسهمه حظه المسهم
وسابعا العاطف المستجير	يكاد لحيرته يحرم
وجاء المؤمل فيها يخيب	وغنى له الطائر الأشيم
وجاء اللطيم لها تاسعا	فمن كل ناحية يُلطم

يحب السكيت على إثره وذفرأه من قبة أعظم
 كأن جوانبه بين ذى جهانة نيط بها ققم
 إذا قيل من رب ذا لم يجز من الخزى بالصمت يستعصم
 ومن لا يعد للحلاب الجواد وشيك لعمرك ما يندم
 وما ذو اقتضاب لمحوها مكن ينتميهما ويستازم
 فرحنا بسبق شهرنا به ونيل به الفخر والمغم
 وأحرزن عن قصبات الرهان رغائب أمثالها تقسم
 برود من القصب مؤشية وأكسية الخرز والملحم
 فراحت عليهن منشورة كأن حواشيهن الدم
 ومن ورق صامت بدرة ينوء بها الأغلب الأعصم
 فقضت لهن خواتيمها وبدرتنا الدهر لا تحتم
 نوزعهما بين خدامها ونحن لها منهم أخدم
 وإنا لنتربط المعربا ت فى اللدنيات فما ترزم
 يعد لها المحض بعد التليث كما يصلح الصبية المعظم
 ويخلطها بصميم العيال بمن لم يحب وهو المحرم
 مشاربها الصافيات العذاب ومطعمها فهو المطعم
 فهن بأكناف أبياتنا صوافن يسهلن أوحوم

ومال محمد بن يزيد فى كلمته هذه إلى أنه لاحظ للثامن ، وجعل للسابع حظا
 فى السبق ؛ والهندسة إجراء الخيل وتجربتها فيما دون الغاية ، وإنما سميت الحلبة
 حلبة لأن العرب تحلب إليها خيولها من كل مكان
 قال المتقى : أثبتنا ما يجرى فى هذه الأوقات ودوناه ، فلم يزالا معه فى ذلك
 يحدد لهما البر إلى أن كان من أمره ما قد اشتهر

وقد تناهى بنا الكلام إلى هذا الموضع من خلافة المتقى ، فلنذكر الآن
 بعض من أشهر شعره في هذا الوقت واستفاض في الناس وظهر ؛ فمنهم أبو نصر
 القاسم الحروري القاسم بن أحمد الحروري ، وهو أحد المطبوعين المجودين في البديهة المعروفين
 وشعره بالفزل ، فمن جيد شعره قوله :

أضنى الهوى جسدى وبدلنى به جسدًا تكون من هوى متجسد
 مازال إيجاد الهوى عدوى إلى أن صرت لو أعدمته لم أوجد
 ومن جيد شعره ما عاتب به ابن لنكك الشاعر ، وهو :

لم لا ترى لصداقتى تصديقًا فينالولم تدع الصديق صديقًا
 ذو العقل لا يرضى بوسم صداقة حتى يرى لحقوقها تحقيقًا
 فلمن يرجى الحب أن يدعى أخا وعلى الرفيق بأن يكون رفيقًا
 إن غاب غاب محافظًا أو حل ن مداعبا أو قال كان صدوقًا
 وفي هذا الشعر يقول :

ويكاد من علق الهوى بفؤاده مما تفكر أن يرى زنديقًا
 وقوله :

أعليك أعتب أم على الأيام بدأت وكنت مؤكدا بتمام
 قطع التواصل قربنا بتواعد وقطعت أنت تواصل الأقلام
 هلا ألفت إذ الزمان مشئت والالف للأرواح لا الأجسام
 وفي هذا الشعر يقول :

عذرا أبا عيسى عسى لك في القلأ عذر وذا علم بلا إعلام
 من غابت الأخبار عنه ودينه دين الامامة قال بالأوهام
 خذ من فرائدك الذى أعطيتنى فالدردرك والنظام نظامى
 حكّم معانيها معانيك الى فصلتها لى ، والكلام كلامى

وشعره في الهزل وغيره أكثر من أن تأتي عليه وأكثر الغناء المحدث في وقتنا هذا من شعره، وقد أشيع بموته وأن اليزيدي غرقه لأنه كان هجاءه، وقيل: بل هرب من البصرة ولحق بهجر ولجأ بأبي طاهر بن سليمان بن الحسن صاحب البحرين

قال المسعودي: وقد أتينا على أخبار المتقى وما كان في أيامه من الكوائن والأحداث على الشرح والايضاح في الكتاب الأوسط الذي كتبنا هذا تال له، وإيمانذكر من أخبارهم في هذا الكتاب لمعاً لاشتراطنا فيه على أنفسنا الاختصار والايجاز، وكذلك أتينا على خبر مقتل يحكم التركي، وكان مقتله في رجب سنة تسع وعشرين وثلثائة، وما كان من أمره مع الأكراد بناحية واسط، وما كان من كونكار الديلمي واستيلائه على جيش يحكم، وانحدار محمد بن رائق من الشام ومحاربتة كونكار بمكبر، ومخاتلته إياه، ودخوله الحضرة، وما كان بينهم من الوقعة بالحضرة إلى أن انهزم كونكار، واستولى محمد بن رائق على الأمر، وما كان من اليزيديين وموافاتهم الحضرة، وخروج المتقى عنها مع محمد بن رائق الموصلي، في كتابنا المترجم « بأخبار الزمان » فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب

ذكر خلافة المستكفي بالله

بجمل تاريخه
وبويع المستكفي بالله ، وهو أبو القاسم عبد الله بن علي المكتفي ، يوم
السبت لثلاث خلون من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، وخلع في شعبان سنة
أربع وثلاثين وثلثمائة ، لسبع بقين من هذا الشهر ، فكانت خلافته سنة وأربعة
أشهر إلا أياما ، وأمه أم ولد

ذكر جمل من أخباره وسيره

ولم مما كان في أيامه

البيعة له
قد قدمنا عند ما ذكرنا خلع المتقي لله أن المستكفي بويع له بالسبق على
نهر عيسى من أعمال قاذور بازاء القرية المعروفة بالسندية في الوقت الذي سمت
فيه عينا المتقي ، بايع له أبو الوفاء تورون وسائر من حضره من القواد وأهل الدولة
وأهل عصره من القضاة منهم القاضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن أبي الشوارب
وجماعة من الهاشميين ، فصلى بهم في يومهم ذلك المغرب والعشاء ، وسار حتى
نزل في يوم الأحد بالشماسة ، فلما كان في يوم الاثنين انحدر في الماء راكبا في
الطيار الذي يسمى الغزالة ، وعليه قانسوة طويلة محدودة ، ذكر أنها كانت لأبيه
المكتفي بالله ، وعلى رأسه تورون التركي ومحمد بن محمد بن يحيى شيرزاد
وجماعة من غلمانه ، وسلم إليه المتقي ضريرا ، وأحمد بن يحيى القاضي مقبوضا
عليه ، وحضر بعد ذلك سائر القضاة والهاشميين فبايعوا له . واستوزر أبا الفرج محمد
ابن علي السامري مدة ، ثم غضب عليه ، وغلب على أمره محمد بن شيرزاد ،
وجلس للناس ، وسأل عن القضاة وكشف عن أمر شهود الحضرة ، فأمر باسقاط
بعضهم ، وأمر باستتابة بعضهم من الكذب وقبول بعضهم لأشياء كان قد علمها

منهم قبل الخلافة ، فامتثل القضاة ما أمر به من ذلك ، واستقضى على الجانب الشرقى محمد بن عيسى المعروف بابن أبي موسى الحنفى ، وعلى الجانب الغربى محمد ابن الحسن بن أبي الشوارب الأموى الحنفى ، فقالت العامة : إلى ههنا انتهى سلطانه ، وانتهى فى الخلافة أمره ونهيه ، وقد كان بينه وبين الفضل بن المقتدر الذى يسمى بالمطيع قبل ذلك محاورة فى دار ابن طاهر ، وعداوة فى اللعب بالحمام وتطيرها ، واللعب بالكباش والديوك والسمان ، وهو الذى يسمى بالشام الفتخ ، فلما حمل المستكنى إلى نهر عيسى ليبيع له هرب المطيع من داره ، وعلم أنه سيأتى عليه ، فلما استقرت للمستكنى طلب المطيع فلم يقف له على خبر ، فهدم داره ، وآتى على جميع ما قدر عليه من بستان وغيره

وذكر أبو الحسن على بن أحمد الكاتب البغدady قال : لما استخلف المستكنى ضم إليه توروون غلاما تركيا من غلمانه يقف بين يديه ، وكان للمستكنى غلام قد وقف على أخلاقه ونشأ فى خدمته ، فكان المستكنى يميل إلى غلامه ، وكان توروون يريد من المستكنى أن يقدم المضموم إليه على غلامه الأول ، فكان المستكنى يبعث بالغلام التركى فى حوائجه اتباعا لمرضاة توروون ، فلا يبلغ له ما يبلغ غلامه .

قال : وأقبل المستكنى يوما على محمد بن محمد بن يحيى بن شيرزاد الكاتب فقال له : أتعرف خبر الحجاج بن يوسف مع أهل الشام ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، قال : ذكروا أن الحجاج بن يوسف كان قد اجتنب قوما من أهل العراق وجدّ عندهم من الكفاية ما لم يجد عند مختصيه من الشاميين ، فشق ذلك على الشاميين وتكلموا فيه ، فبلغ إليه كلامهم ، فركب فى جماعة من الفريقين ، وأوغل بهم فى الصحراء ، فلاح لهم من بعد قطار إبل ، فدعا برجل من أهل الشام فقال له : امض فاعرف ما هذه الأشباح ، واستقص أمرها ، فلم يلبث أن جاء وأخبره أنها إبل ، فقال : أمحمة هى أم غير محملة ؟ قال : لا أدرى ، ولكنى أعود وأتعرف

ذلك ، وقد كان الحجاج أتبعه برجل آخر من أهل العراق وأمره بمثل ما كان أمر الشامي ، فلما رجع العراقي أقبل عليه الحجاج وأهل الشام يسمعون ، فقال : ماهي ؟ قال : إبل ، قال : ومك عددها ؟ قال : ثلاثون ، قال : وما تحمل ؟ قال : زيتا ، قال : ومن أين صدرت ؟ قال : من موضع كذا ، قال : ومن ربها ؟ قال : فلان ، فالتفت إلى أهل الشام فقال :

أَلَا مٌ عَلَى عَمْرُو ، وَلَوَّمَاتٍ أَوْ نَأَى لَقُلَّ الَّذِي يُغْنِي غِنَاءَكَ يَا عَمْرُو

فقال ابن شيرزاد : فقد قال يا أمير المؤمنين بعض أهل الأدب في هذا المعنى

شر الرسولين من يحتاج مرسله منه إلى العود ، والأمران سيان

كذلك ما قال أهل العلم في مثل طريق كل أخى جهل طريقان

قال المستكفي : ما أحسن ما وصف البخري الرسول بالذكاء بقوله :

وَكَاَنَّ الذِّكَاءَ يَبْعَثُ مِنْهُ فِي سَوَادِ الْأُمُورِ شُعْلَةً نَارٍ

وعلم ابن شيرزاد استئصال المستكفي لعلام تورون فأخبر تورون بذلك ، فأعفاه

منه ، وأزاله عن خدمته

وحدث أبو إسحق إبراهيم بن إسحق المعروف بابن الوكيل البغدادي ، قال :

كان أبي قديما في خدمة المكتفي ، فلما كان من أمره ما اشتهر صرت في خدمة

أخيه عبد الله بن المكتفي ، فلما أفضت الخلافة إليه كنت أخص الناس به ،

فرايته في بعض الأيام وعنده جماعة من ندمائه ممن كان يعاشرهم قبل الخلافة من

جيرانه بناحية دار ابن طاهر ، وقد تذاكروا الخمر وأفعالها ، وما قال الناس فيها من

المنثور والمنظوم ، وما وصفت به ، فقال بعض من حضر : يا أمير المؤمنين ،

ما رأيت أحدا وصف الخمر بأحسن من وصف بعض من تأخر فانه ذكر في بعض

كتبه في الشراب ووصفه أنه ليس في العالم شيء واحد أخذ من أمهاته الأربع

فضيلتها وابتزها أكرم خواصها إلا الخمر ، فلها لون النار وهو أحسن الألوان ،

حدث بين
المستكفي
وجلائه في
الخمر وصفاتها

ولدونة الهواء وهى ألين الجسات ، وعذوبة الماء وهى أطيب المذاقات ، وبرد الأرض وهى ألد المشروبات ، قال : وهذه الأربع وإن كن فى جميع المآكل والمشارب متركبة فليس الغالب عليه ما وصفنا من الغالب على الحمر ، قال واصفها :
قد قلت فى اجتماع الصفات التى ذكرنا فيها :

لست أرى كالراح فى جمعها لأربع هنَّ قِوَامُ الورى
عذوبة الماء ولين المسوا وسخنة النار وبرد الثرى

ولما كانت الراح بالموضع الذى وصفناها به من الفضل على سائر ما ينال ويوصف من صنوف اللذات والمدح بها بما ينفع من فنون الشهوات قال : فأما شعاع الحمر فانه يشبه بكل شئ نورى من شمس وقر ونجم ونار وغير ذلك من الأشياء النورية ، فأما لونها فيحتمل أن يشبه بكل أحمر فى العالم وأصفر من ياقوت وعقيق وذهب وغير ذلك من الجواهر النفيسة والحلى الفاخرة ، قال : وقد شبهها الأولون بدم الذبيح ، ودم الجون ، وشبهها غيرهم بالزيت ، والرازق ، وغيرها ، وتشبيها بالجواهر الأكرم أفضل لها وأحسن فى مدحها ، قال : فأما صفاتها فيحتمل أن يشبه بكل ما يقع عليه اسم الصفاء ، وقد قال بعض الشعراء المتقدمين فى صفاتها :
* ثُرَيْكَ القذى من دونها وهىَ دونه *

وهذا أحسن ما قاله الشعراء فى وصف الحمر ، قال : وقد آتى أبو نواس فى وصفها ووصف طعمها وريحها وحسنها ولونها وشعاعها وفعالها فى النفس وصفة آلتها وظروفها وأدنانها وحال المناديات عليها والاصطباح والاعتباق وغير ذلك من أحوالها ، بما يكاد يعلو به باب وصفها ، لولا اتضاع الأوصاف لها ، واحتمالها إياها ، وأنها لا تكاد تحصر ، ولا يبلغ إلى غاياتها ، قال : وقد وصف أبو نواس نورها فقال :

فكأنه فى كفه شمسٌ وراحته قر

وقال :

فعلت في البيت إذ مُرِجَتْ مثل فعل الصبح في الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها كاهتداء السفر بالعلم

وقال أيضا :

إذا عَبَّ فيها شارب القوم خِلْتُهُ يَقْبَلُ في داج من اللَّيْلِ كَوُكْبَا
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا وما لم تكن فيه من البيت مغربا

وقال أيضا :

وكانَّ شاربها لقرط شعاعها في السكاس يكرع في ضياء مقباس

وقال أيضا :

فقلت له تَرَفَّقْ بي فاني رأيت الصُّبْحَ من خَلَلِ الديار
فقال تعجبا مني : أَصْبَحُ ولا صبح سوى ضوء العقار
وقام إلى الدنان فسدَّ فاهَا فعاد الليل مصبوغ الازار

وقال أيضا :

وحمرأ قبل المزج صفراء دونه كأن شعاع الشمس يلقاك دونها

وقال :

كان نارابها محرشة تهابها تارة وتخشاها

وقال أيضا :

حمرأ لولا انكسار الماء لاختطفت نور التواظر من بين الحمايق

وقال أيضا :

ينقضُّ منها شعاعٌ كلما مزجت كالشهب تنقض في اثر المغاريت

وقال :

عُتِّقَتْ في الدَّنان حتى استفادت نور شمس الضحى وبرد الظلام

وقال :

يجودها حتى عيانا يرى لها إلى الشرف الأعلى شعاعاً مطّناً

وقال :

قال : ابغى المصباح ، قلت له : انتد ، حسبي وحسبك ضوءها مصباحا
فسكنت منها في الزجاجة شربة كانت لنا حتى الصباح صباحا
قال : وله في هذا الفن أشياء كثيرة قد وصفها في مشابهة النار ومخالفة الأنوار
والرفع للظلام وتصيير الليل نهارا والظلم أنوارا مما هو إغراق الواصف واشتطاط
المادح ، قال : وليس إلى صفة لونها ونورها ما هو أحسن مما وصفها ، إذ ليس بعد
الأنوار شيء في الحسن ، قال : فداخل المستكفي سرور وفرح وابتهاج بما وصف ،
فقال : ويحك ! فرّج عني من هذا الوصف ، قال : نعم ياسيدي

قال عبد الله بن محمد الناشئ : وقد كان المستكفي ترك النبذ حتى أفضت
الخلافة إليه ، فدعا بها من وقته ، ودعا إلى شربها ، وقد كان المستكفي — حين
أفضت الخلافة إليه — طلب الفضل بن المقتدر ، على حسب ما قدمنا ، لما كان
بينهما من العداوة فيما ذكرنا وغير ذلك مما عنه أعرضنا ، فهرب الفضل ، وقيل :
إنه هرب إلى أحمد بن بويه الديلمي منتصرا ، وأحسن إليه أحمد ولم يظهره ، فلما
مات توروون ودخل الديلمي إلى بغداد وخرج الأتراك عنها صار إلى ناصر الدولة
أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ، وانحدر معه هو وابن عمه أبو عبد الله بن
العلاء ، فكان بينه وبين ابن بويه الديلمي من الحرب ما قد اشتهر ، وانحاز
الديلمي إلى الجانب الغربي ومعه المستكفي والمطيع مختلف ببغداد ، والمستكفي
يطلبه أشد الطلب ، وأنزل المستكفي في بيعة النصاري المعروفة بدرنا من الجانب
الغربي ، فذكر أبو إسحق إبراهيم بن إسحق المعروف بابن الوكيل ، ومنزلته
من خدمة المستكفي ما قدمنا ، قال : كان المستكفي في سائر أوقاته فازعا وجلاً

المستكفي
والفضل بن
المقتدر

من المطيع أن يلى الخلافة ، وُيَسَلِّمَ إليه فيحكم فيه بما يريد ، فكان صدره يضيق لذلك ، فيشكو ذلك في بعض الأوقات إلى من ذكرنا ممن كان يألفه من ندمائه ، فيشجعونه ويهونون عليه أمر المطيع ، إلى أن قال لهم في بعض الأيام : قد اشتبهت أن نجتمع في مكان كذا وكذا ففتذاكر أنواع الأطعمة وما قال الناس في ذلك منظوما ، فاتفق معهم على ذلك ، فلما كان في اليوم الذي حضروا أقبل المستكفي فقال : هاتوا ما الذي أعده كل واحد منكم ؟ فقال واحد منهم : قد حضرني يا أمير المؤمنين أبيات لابن المعتز يصف سلة سكارج كوامخ ، فقال :

حديث
للمستكفي
وجلسائه في
وصف
الأطعمة

أمتع بسلة قضبان أتنك وقد	حفت جوانبها الجامات أسطار
فيها سكارج أنواع مصففة	حمر وصفر ، وما فيهن إنكار
فيهن كامخ طرخون مبهورة	وكامخ أحمر فيها وتيسار
أعطته شمس الضحى لونا فجاء به	كأنه من ضياء الشمس عطار
فيهن كامخ مرزنجوش قابله	من القرنفل نوع منه مختار
وكامخ الدارصيني فليس له	في الطعم شبه ولا في لونه عار
كأنه المسك ريحا في تنسمه	حريف في طعمه والريح معطار
وكامخ الزعر البرى إن له	لونا حكاة لدينا المسك والقار
وكامخ الثوم لما أن بصرت به	أبصرت عطرا له بالأكل أمار
كأن زيتونها فيها ظلام دجى	في الجيب منه من الحضور أسفار
إذا تأملت ما فيهن من بصل	كأنهن لحسن حشوه نار
وسلجم مستدير القد خالطه	طعم من الخل قد حازته أسطار
كأن أبيضه فيه وأحمره	دراهم صففت فيهن دينار
في كل ناحية منها يلوح لنا	نجم إلينا بصفو الفجر نظار
كأنها زهرة البستان قابله	بدر وشمس وإظلام وأنوار

قال المستكفي : تحضر هذه الجونة بعينها على هذا الوصف ، وهاتوا ،
فليس نأكل اليوم إلا ما تصفون ، فقال آخر من الجلساء : يا أمير المؤمنين ،
لمحمود بن الحسين الكاتب المعروف بكشاجم في صفة سلة نوادر :

متى تشط للأكل	فقد أصلحت الجونة
وقد زينها الطاهي	لنا أحسن ما زينه
فجاءت وهي من أطيه	ب ما يؤكل مشحونه
فمن جدى شويناه	وعصبتنا مصارينه
ونضدنا عليه نه	نع الفلفل وطرخونه
وفرخ وافر الزور	أجدنا لك تسفينه
وطهيج وفروج	أجدنا لك تطحينه
وسنبوسجة مقلو	ة في إثر طربونه
وحراء من البيض	إلى جانب زيتونه
وأوساط سطيرات	بزيت المساء مدهونه
يولدن لندى التخم	ة جوعا ويشهينه
ربوع بكسور الن	د بالعنبر معجونه
وحريف من الخبز	به الأوساط مقرونة
وطلع كاللآلى في	سُموط العيد مكنونه
وخل ترعف الآنا	ف منه وهي مختونه
وباذنجان بوران	به نفسك مفتونه
وهليون وعهدى :	ك تستعذب هليونه
ولو زينجة في الده	ن والسكر مدفونه
وعندى لك رستيچ	ة مطبوخ وقنينه

وساق واعد بالوص ل منه عطفة النونه
له شدة الحـاظ وفي ألفاظه لينه
وقرى يغنيك لحونا غير ملحونه
ألا يامن لمحزون نأى عن دار محزونه
فما عذرك فى أن لا ترى من سكره ظينه

فقال المستكفى : أحسنت وأحسن القائل فيما وصف ، ثم أمر باحضار كل ما
يجرى فى وصفه مما يمكن إحضاره ، ثم قال : هاتوا من معه شيء فى هذا المعنى ،
فقال آخر : فى هذا المعنى لابن الرومى فى صفة وسط

ياسائلى عن مجمع اللذات سألت عنه أنعت النعات
فهاك ما أنشأته من قصه مسلما من سوئه ونقصه
خذ يا مريد المأكـل اللذيذ جردقى خبز من السميز
لم تر عينا ناظر مثلـهما فقشر الحرفين عن وجهـهما
حتى إذا ما صارنا طقاطفا فاضف على إحداهما تأنفا
من لحم قـرْوج ولحم فرخ تذوب جوزاباها بالنفخ
واجعل عليها أسطرا من لَوَز معارضات أسطرا من جَوَز
أكفاحها الجبن مع الزيتون وشكلها النعنع بالطرخوف
حتى ترى بينهما مثل اللبن مقسومة كأنها وشى اليمن
واعمد إلى البيض السليق الأحمر فدَرِّهم الوَسَطَ به ودَنِّر
وترب الأسطر بالملح ولا تكثر ولا تزل معتدلا
وردد العينين فيه لحظا فان للعينين منه حظا
ومتع العين به ملياً وأطبق الوَسَطَ وكلُّ هنيئاً
وامسك بناييك وأكدم كدما تشرعُ فيما قد بنيتَ هدماً

طورا ترى حلقة الدولاب حروفه ودوره كاللاداب
وتارة مثل الرحي بلا سغب قد شذبت عنها بنايك الشذب
لهفى عليها وأنا الزعيم بمعدة شيطانها رجم
وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لإسحق بن إبراهيم الموصلى فى صفة سنبوسج :
ياسائلى عن أطيب الطعام سألت عنه أبصر الأنام
اعمد إلى اللحم اللطيف الأحمر فدقّه بالشحم غير مكتر
واطرح عليه بصلاً مدورا وكرنبا طرحا جنيا أخضرا
والق السذاب بعده موفرا ودارصينى وكف كزبرا
وبعده شىء من القرقل وزنجبيل صالح وفلفل
وكف كمون وشىء من مرى وملء كفين بملح تدمر
فدقه ياسيدى شديدا ثم أوقد النار له وقودا
واجعله فى القدر وصبّ الماء من فوقه واجعل له غطاء
حتى إذا الماء فى وقلا ونشفت النار عنك كلا
فلفه إن شئت فى رقاق ثم أحكم الأطراف بالازلاق
أوشئت خذ جزءا من العجين معتدل التفريك مستكين
فابسطه بالسويق مستديرا ثم أظفرن أطرافه تظفيرا
وصبّ فى الطابق زيتا طيبا ثم أقله بالزيت قليلا عجبا
وضعه فى جام له لطيف ووسطه من خردل حريف
وكله أكل طيبا بخردل فهو ألد المأكّل المعجّل
فقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لمحمود بن الحسين بن السندى كشاجم الكاتب

فى وصف هليون :

لنا رماح فى أعاليها أود مشكلات الجسم فتلا كالمد

مستحسنات ليس فيها من عُقْدُ لها رؤوس طالعات في جسد
مكسورة من صنعة الفرد الصمد منتصبات كالقذاح في العمد
ثوب من السندس من فوق برد قد أُشْرِبَتْ حُمْرَةَ لون يتقد
كانها ممزوجة حمرة خذ قد فرضت حمرة كف حرد
فخالطته حمرة خذ ويد كأنها في صحن جام أو برد
مُنْصَدَّات كتناضيد الزَّرْدُ نسائج العَسَجَدُ حُسْنًا منتضد
كانها مطرف خز قدنضد لو أنها تبقى على طول الأبد
كانت فصوصا بخواتيم الحرد من فوقها مودى عليها يطرد
يجول في جانبها جرد مرد مكشوفة من فوقها ثوب زبد
كانه من فوقه حين لبد شراك تَبْرٍ أو لجين قد مسد
فلو رآها عابد أو مجتهد أفطر مما يشتهيها وسجد

فلما فرغ منها قال له المستكفي : هذا مما يتعذر وجوده في هذا الوقت بهذا
الوصف في هذا البلد ، إلا أن نكتب إلى الإخشيد محمد بن طنج يحمل إلينا من
ذلك البر من دمشق ، فأنشدونا فيما يمكن وجوده ، قال آخر : يا أمير المؤمنين ،
لمحمد الوزير المعروف بالحافظ الدمشقي في صفة أرزية :

لله در أرزة وافي بها طام كحسن البدر وسط سماء
أنقى من الثلج المضاعف سحبه من صنعة الأهواء والأنداء
وكانها في صحيفة مقدودة بيضاء مثل الدرة البيضاء
تهرب عيون الناظرين بضوئها وتريك ضوء البدر وقت مساء
وكان سكرها على أكنافها نور تجسد فوقها بضياء

فقال آخر : يا أمير المؤمنين ، أنشدت لبعض المتأخرين في هريسة :

أله ما يأكله الانسان إذا أتى من صيفه نيسان

وكانت الجديان والخرفان
لهن طيب الكف والاتقان
وتلتقى في قدرها الأدهان
وبعد أوزة السمان
وبعد الأرز واللبن
وبعد الملح وخولنجان
تخجل من رؤيتها الألوان
تضمها الصحفة والخوان
يمسكه سقف له حيطان
أبرزها لآكل الولدان
والمرء فيها فله مكان
ويشبهها الأهل والضيغان
تصفونها العقول والأذهان
أبدعها في عصره ساسان
إذا رآها الجائع الفرثان

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لبعض المتأخرين في صفة المضيرة :

إن المضيرة في الطعام
إشراقها فوق الموا
مثل الهلال إذا بدا
في صحفة مملوءة
قد أعجبت لأبي هري
حتى لقد مال الهوى
كالبدر في ليل التمام
ند كالضياء على الظلام
للناس في خذل الغمام
للناس من جرع الهمام
رة إذ أتت بين الطعام
بهواه عن طلب الصيام

ولقد رأى في أكلها حذا فبادر بالقيام
ولقد تنكب أن يكو ن مؤاكلا عند الامام
إذ ليس ثمَّ مَـضِـيرَةٌ تشفى السقيم من السقام
لاعذر في إتيانها من غير إتيان الحرام
فهى اللذيذة والغريـبة والعجيبة فى الأنام
وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لمحمود بن الحسين فى صفة جوزابة :

جوزابة من أرزفائق مصفرة فى اللون كالعاشق
عجيبة مشرقة لونها فى كف طاه محكم حاذق
نسيجة كالتبر فى حمرة ورديّة من صنعة الخالق
بسكر الأهواز مصنوعة فطعـمها أحلى من الرائق
غريقة فى الدهن رجـرأجة تزور بالنفـخ من الرائق
ليـسنة ملمسها زبدة وريحها كالعنبر الفائق
كأنها فى جامها إذ بدت تزهر كالكوكب فى الفاسق
عقيقة صفرتها فاقع فى جيد خـودٍ بضة عاتق
أحلى من الأمن أتى مومنا إلى فؤاد قلق خافق

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، معى لبعض الحـديثين فى صفة جوزابة :

وجوزابة ————— مثل لون العقيق وفى الطعم عندى كطعم الرحيق
من السكر المحض معمولة ومن خالص الزعفران السحيق
مُـفـرّقة بشحوم الدجاج وبالشحم أكرم بها من غريق
لذيذة طعم إذا استعملت وفى اللون منها كلون الخلق
عليها اللآلىء من فوقها تضمُّ جوانبها ضم ضيق
يردها فى الانا نفخة وما فى حلاوتها من مطيق

وقال آخر : يا أمير المؤمنين ، لمحمود بن الحسين كشاجم في صفة قطائف :

عندى أصحابي إذا اشتد السغب قطائف مثل أضيير الكتب
 كأنه إذا ابتدى من كشب كوافر النحل بياضا قد ثقب
 قد مَجَّ دهن اللوز مما قد شرب وابتل مما عام فيه ورسب
 وجاء ماء الورد فيه وذهب فهي عليه حبيب فوق حبيب
 إذا رآه وآله القلب طرب مدرج تدريج أبناء الكتب
 أطيب منه أن تراه ينتهب كل امرئ لذته فيما أحب
 فأقبل المستكني علي معلم كان يعلمه في صباه طيب النفس ، وكان يضحك
 منه ويستظرفه ، فقال له : أنشدنا ما سمعت ، فقال : أنشدنا أنت ، قال : لا أدرى
 ما قال هؤلاء ، وما أنشدوا ، غير أني مضيت في أمس يومنا هذا أدور حتى أتيت
 باطرنجا فرأيت رياضها فذكرت من أمرها فقلت :

نَوْمٌ عَيْنَيْكَ يَا بَن وَهَبِ غِرَارُ وَلَنَارِ الْهُوى بِقَلْبِكَ نَارُ
 من حديثي أني مررت بها يو ما وقلبي من الهوى مُسْتَطَارُ
 وبها ترجمن ينادى علاناً قف فقد أدركت لدينا العقار
 وتغنى دراج واستمطر الله ووجادت بنورها الازهار
 فاثنتينا إلى رياض عيون ناظرات ما إن بهن اخورارُ
 ومكان الجفون منها ابيضاض ومكان الأحداق منها اصفرار
 بينما نحن عندها صرخ الور د إلينا يا معشر السمار
 عندنا قهوة تغافل عنها دهرها فالوجوه منها خمار
 واثنتينا للورد من غير أن تد بو عن النرجس المضاعف دار
 فرأى النرجس الذي صنع الور د فنادى مستصرخا يا بهار
 ورأى الورد عسكرين من ال صفر فنادى فجاءه الجَلَنَارُ

واستجاشا تَفَاحَ لُبْنَانَ لَمَّا حَمَيْتُ مِنْ وَطَيْسِهَا الْأَوْتَارِ
واستجاش البهارجيشا من الْأَثَرِ رُجٌّ فِيهِ صِغَارُهُ وَالْكَبَارِ
فَرَأَيْتُ الرِّبِيعَ فِي عَسْكَرِ الصَّفَرِ رَ وَقَلْبِي يَشْفُوهُ الْأَحْمَرُ
لَيْسَ إِلَّا بِحَمْرَةٍ مِنْ خُدُودٍ مِنْ أَنْاسٍ بَقَوْا عَلَيْنَا وَجَارُوا

فلم أر المستكفي منذ ولى الخلافة أشد سرورا منه في ذلك اليوم ، وأجاز جميع من حضر من الجلساء والمغنين والمهين ، ثم أحضر ما حضره في وقته من عين وورق عن ضيف الأمر إليه ، فوالله ما رأيت له بعد ذلك يوما مثله ، حتى قبض عليه أحمد بن بويه الديلمي ، وسمل عينيه ، وذلك أن الحرب لما طالت بين أبي محمد الحسين بن عبد الله بن حمدان — وكان في الجانب الشرقى ومعه الأتراك — وابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان ، وابن أحمد بن بويه الديلمي في الجانب الغربى ، والمستكفى معه ، اتهم الديلمي المستكفى بمسألة بنى حمدان ومكاتبتهم بأخباره وإطلاعهم على أسرارهم ، ما كان قد تقدم له في نفسه ، فسمل عينيه ، وولى المطيع ، وأعمل الديلمي الحيلة في البيات بالديلم ، فحملهم في السفن مع بوقات ودبابات في الليل ، وألقاهم في مواضع كثيرة من الشارع إلى الجانب الشرقى فتوجهت له على بنى حمدان الحيلة ، فخرجوا نحو الموصل من بعد أحداث كثيرة بين الأتراك وبينهم ببلاد تكريت ، واستوثق الأمر لأحمد بن بويه الديلمي وشرع في عمارة البلد ، وسد البثوق ، على حسب ما ينمو إليهم من أخباره ، واتصل بنا من أفعاله ، على بعد الدار ، وفساد السبل ، وانقطاع الأخبار ، وكوننا ببلاد مصر والشام

قال المسعودى : ولم يتأت لنا من أخبار المستكفى مع قصر أيامه غير ما ذكرنا ، والله الموفق للصواب

ذكر خلافة المطيع لله

وبويع المطيع لله وهو أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، وقيل : إنه بويع في جمادى الأولى من هذه السنة ، وغلب على الأمر ابن بويه ، والمطيع في يده لا أمر له ولا نهى ، ولا خلافة تعرف ، ولا وزارة تذكر ، وقد كان أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد يدبر الأمر بحضرة الديلمي ، قيا بأمر الوزارة برسم الكتبة ، ولم يخاطب بالوزارة إلى أن استأمن الحسين بن علي بن حمدان إلى الجانب الغربي وخرج معه عند خروجه إلى ناحية الموصل ، إلى أن اتهمه بتغريته الأتراك عليه ، فسلم عينيه ، وقد قيل : إن أبا الحسن محمد بن علي بن مقلة يعرض الكتب على الديلمي والمطيع ، ويتصرف برسم الكتبة لابرسم الوزارة في هذا الوقت ، وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، ولم تفرد بجوامع تاريخ المطيع بابا مفصلا عن أخباره كافرادنا لغيره مما سلف ذكره في هذا الكتاب لأنافي خلافته بعد

قال المسعودي : وقد كنا شرطنا في صدر كتابنا هذا أن نذكر مقاتل آل أبي طالب ، ومن ظهر منهم في أيام بني أمية وبني العباس ، وما كان من أمرهم من قتل أو حبس أو ضرب ، ثم ذكرنا ما تأتى لنا ذكره من أخبارهم من قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبقي علينا من ذلك ما لم نورد ، وقد ذكرناه في هذا الموضع وفاء بما تقدم من شرطنا في هذا الكتاب . فمن ذلك أنه قام بصعيد مصر أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقتله أحمد بن طولون ، بعد أقاصيص قد أتينا على ذكرها فيما سلف من كتبنا ، وذلك نحو سنة سبعين ومائتين

وكان خروج ابن عبد الرحمن العمري على أحمد بن طولون بصعيد مصر
وما كان من أمره إلى أن قتل

ومن ذلك ظهور ابن الرضا ، وهو محسن بن جعفر بن علي بن مومى بن
جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم ، فى أعمال
دمشق سنة ثلثمائة ، فكانت له مع أميرها أحمد بن كيغلق [أحداث] فقتل صبورا ،
وقيل : قتل فى المعركة ، وحمل أسه إلى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد
بالجانب الغربى

وظهر ببلاد طبرستان والديلم الأطروش ، وهو الحسن بن علي بن محمد بن علي
ابن أبي طالب رضى الله عنهم ، وأخرج عنها المسودة ، وذلك فى سنة إحدى
وثلاثمائة ، وقد كان أقام فى الديلم والجبل سنين ، وهم جاهلية ومنهم مجوس ،
فدعاهم إلى الله تعالى فاستجابوا وأسلموا إلا قليلا منهم فى مواضع من بلاد الجبل
والديلم فى جبال شاهقة وقلاع وأودية ومواقع خشنة على الشوك إلى هذه الغاية ،
وبنى فى بلادهم مساجد ، وقد كان للمسلمين بازائهم ثغور مثل قزوین وسالوس
وغيرها من بلاد طبرستان ، وقد كان بمدينة شال حصن منيع وبنیان عظيم بنته
ملوك فارس يسكن فيه الرجال المرباطون بأزاء الديلم ، ثم جاء الاسلام فكان
كذلك إلى أن هدمه الأطروش والحسن بن القاسم الحسنى الداعى وافى الرى ،
وذلك فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة فى جيوش كثيرة من الجبل والديلم ووجوههما ،
فأخرج عساكر أحمد بن إسماعيل بن أحمد وصاحبه عنها ، واستولى عليها وعلى
قزوین وزنجار وقم وأتمار وغير ذلك مما اتصل بالرى ، فكتب المقتدر كتابا إلى
نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان ينكر عليه ذلك ، ويقول :
إني ضمنتك المال والدم ، فأملت أمر الرعية ، وأضعفت البلد ، حتى دخلته المبيضة
وألزمه إخراجهم عنه ، فوقع اختيار نصر صاحب خراسان على إنفاذ رجل من
أصحابه بالجبل يقال له اسفار بن شيرويه ، وأخرج معه ابن النساج ، وهو

أمير من أمراء خراسان ، في جيش كثير ليحارب من مع الداعي ، وما كان بن كلكي من الديلم لما بين الجبل والديلم من الضغائن والتنافر ، فسار أسفار بن شيرويه الجبلي فيمن معه من الجيوش إلى حدود الري ، فكانت الوقعة بين أسفار ابن شيرويه الجبلي وبين ما كان بن كلكي الديلمي ، فاستأمن أكثر أصحاب ما كان بن كلكي الديلمي وقواده مثل مستر وتايحين وسليمان بن سلكتة والأسكري ومرد الأشكري وهشونه ابن أومكن في آخرين من قواد الجبلي ، فحمل عليهم ما كان في نقر يسير من غلمانه سبع عشرة حملة ، ومدت له عساكر خراسان ومن معه من الأتراك ، فولى ما كان ودخل بلاد طبرستان ، وانهمزم الداعي بين يديه ، وما كان على حاميته ، فلحقته خيول خراسان والجبل والديلم والأتراك فيهم أسفار ابن شيرويه ، ومضى ما كان لكثرة الخيول ، وانحاز الداعي ، وقد لحق بقرب بلاد طبرستان إلى ناحية هنالك ، وقد تخلى عنه ما كان معه من الأنصار ، فقتل هنالك ، ولحق ما كان بالديلم ، واستولى أسفار بن شيرويه على بلاد طبرستان والري وجرجان وقزوین وزنجار وانهر وقم وحمذان والكرج ، ودعا لصاحب خراسان ، واستوثقت له الأمور ، وعظمت جيوشه ، وكثرت عدته ، فتجبر وطمى ، وكان لا يدين بملة الاسلام ، وعصى صاحب خراسان ، وخالف عليه ، وأراد أن يعقد التاج على رأسه ، وينصب بالري سريرا من ذهب للملك ، ويتملك على ما في يده مما قد ذكرنا من البلاد ، ويحارب السلطان وصاحب خراسان ، فسير المقتدر هرون بن غريب في الحال نحو قزوین ، فكانت له معه حروب ، فأنكشف هرون ، وقتل من أصحابه خلق كثير ، وذلك بباب قزوین وقد كان أصحاب قزوین عاونوا أصحاب السلطان فقتلوا منهم عدة ، فكانت لهم بعد هزيمة هرون بن غريب مع الديلم حروب ، وسار إليهم أسفار بن شيرويه ، فأتى على خلق عظيم بها ، وملك القاعة التي في وسط قزوین وتدعى بالفارسية مكشرين ، وهو الحصن الذي كان للمدينة أولا في نهاية المنعة مما كانت الفرس

جعلته ثغرا بازاء الديلم وشعنته بالرجال ؛ لأن الديلم والجبل مذ كانوا لم ينقادوا إلى ملة ، ولا استحبوا شرعا ، ثم جاء الاسلام وفتح الله على المسلمين البلاد فجعلت قزوين للديلم ثغرا هي وغيرها مما أطاف ببلاد الديلم والجبل ، وقصدها المطوعة والغزاة فرابطوا وغزوا ونفروا منها ، إلى أن كان من أمر الحسن بن علي العلوي الداعي والأطروش و إسلام من ذكرنا من ملوك الجبل والديلم على يديه ما تقدم ذكره في صدر هذا الباب من خبره ، والآل فقد فسدت مذاهبيهم ، وتغيرت آراؤهم ، وألحد أكثرهم ، وقد كان قبل ذلك جماعة من ملوك الديلم ورؤسائهم يدخلون في الاسلام وينصرون من ظهر ببلاد طبرستان من آل أبي طالب مثل الحسن بن محمد بن زيد الحسيني ، وخرب أسفار بن شيرويه قزوين لما كان من فعل أهلها ومعاونتهم أصحاب السلطان على رجاله ، وقلع أبوابها ، وسبى ، وأباح القروج ، وسمع المؤذن يؤذن على صومعة الجامع فأمر أن ينكس منها على أم رأسه ، وخرب المساجد ، ومنع الصلوات ، فاستغاث الناس في المساجد في أمصار المشرق ، واستفحل أمره ، وسار صاحب خراسان يريد الري لحرب أسفار بن شيرويه في عساكره ، وانفصل عن مدينة بخارى ، وهي دار مملكة صاحب خراسان في هذا الوقت ، وعبر نهر بلخ فنزل مدينة نيسابور ، وسار أسفار بن شيرويه إلى الري وجمع عساكره ، وضم إليه رجاله من الأطراف ، وعزم على محاربة صاحب خراسان ، فأشار عليه وزيره وهو مطرف البرجاني ، وكان يخاطب بالوزير الرئيس أن يلاطف صاحب خراسان ويراسله ويطمعه في المال وإقامة الدعوة فإن الحرب تارات وأوقاتها سجال والاتفاق عليها من رأس المال ، فإن جنح إلى ما دعوته وراسلته به ، وإلا فالحرب بين يديك ، لأن من معك من الاتراك وأكثر فرسان خراسان إنما هم رجاله ، وإنما قد تملكتمهم بالاحسان إليهم ، ولا يدرى عله إذا قرب منك صاروا مع صاحبهم ، فقبل قوله ، وأمر بمكاتبتة ، فلما وردت الكتب على صاحب خراسان أبي أن يقبل شيئا من ذلك ، وعزم على المسير إليه ،

فأشار عليه وزيره أن يقبل منه ، وأن يرضى منه بما يحمل من الأموال وإقامة الدعوة ، فإن الحرب عثراتها لا تقال ، ولا يدري إلى ما تؤول ؛ لأن الرجل قوى بالمال والرجال ، فإن هزم لم يكن في ذلك كبير فتح ، إذ كان رجلا من رجالك انتدبته لحرب عدوك وضممت إليه عساكرك وغلماذك ، فخالف عليك ، وإن كانت وعائذ بالله عليك لم تستقل من ذلك ، فشاور صاحب خراسان ذوى الرأى من قواده وأصحابه فيما قال وزيره فسدوا رأيه وصوبوا قوله ، فجنح إلى قولهم وما أشير عليه ، فأجاب أسفار بن شيرويه إلى ما سأل ، وأعطاه ما طاب من بعد شروط اشتراطها عليه من حمل أموال وغير ذلك ، فلما ورد الكتاب على أسفار بن شيرويه قال لوزيره : هذه أموال عظيمة قد اشتراط علينا حملها ، ولا سبيل إلى إخراجها من بيت المال ، فالواجب أن نستفتح خراج هذه البلاد ، فقال له وزيره : إن في استفتاح الخراج في غير وقته مضرة على أرباب الضياع ، وخراب البلاد ، وخللا للكبير من أهل الخراج قبل إدراك غلاتهم ، قال له أسفار : فما الوجه ؟ قال الوزير : الخراج إنما يخص بعض الناس من أرباب الضياع خاصة ، وههنا وجه يعم سائر الناس من أرباب الضياع وغيرهم ، من المسلمين وسائر الملل من أهل هذه البلاد وغيرهم من الغرباء من غير ضرر عليهم ولا كثير مؤنة ، بل إعطاء شيء يسير ، وهو أن تجعل على كل رأس ديناراً ، فيكون في ذلك ما اشتراط علينا من المال وزيادة عليه كثيرة ، فأمره أسفار بذلك ، فكتب أهل الأسواق والمحال من المسلمين وأهل الذمة حتى استوفى الإحصاء إلى من في الفنادق والخانات من الغرباء من التجار وغيرهم ، وحشر الناس إلى دار الخراج يالرى وسائر أعمالها ، فطولبوا بهذه الجزية ، فمن أدى كتب له براءة بالأداء مختومة على حسب ما تكتب براءة أهل الذمة عند أدائهم الجزية في سائر الأمصار ، فأخبرني جماعة من أهل الرى وغيرهم ممن طرأ عليهم من الغرباء والتجار والكتاب وغيرهم وأنا يومئذ بالأهواز وفارس أنهم أدوا هذه الجزية وأخذوا هذه

البراء بأدائها ، فاجتمع من ذلك أموال عظيمة حمل منها ما اشترط حمله ، وكان الباقي من ذلك ألف ألف دينار ونيفا ، وقيل : أضعاف ما ذكرنا على حسب الخلاق الذين بالرى وأعمالها ، ورجع صاحب خراسان إلى بخارى ، وعظم أمر أسفار على خلاف ما عهد ، وبعث برجل من أصحابه يقال له مرداويج بن زياد إلى ملك من ملوك الديلم مما يلي قزوين ، وهو صاحب الطرم من أرض الديلم ، وهو ابن أسوار المعروف بسلام الذى ولده فى هذا الوقت صاحب أذربيجان وغيرها ، ليأخذ عليه البيعة لأسفار بن شيرويه والعهد والدخول فى طاعته ، فسار مرداويج إلى سلام قنشا كيا ما نزل بالاسلام من أسفار بن شيرويه ، وإخراجه البلاد ، وقتله الرعية ، وتركه العماره والنظر فى عواقب الأمور ، فتحالفا وتعاقدا على النظافر على أسفار والتعاون على حربيه ، وقد كان أسفار سار فى عساكره إلى قزوين ، وقرب من نحو الديلم من أرض الطرم من مملكة ابن أسوار منتظرا لصاحبه مرداويج بن زياد وأنه إن لم ينقد ابن أسوار إلى طاعته ورجع إليه رسوله بما لا يجب وطىء بلاده ، وسلام هذا هو خال على بن دهشودان المعروف بابن حسان ملك آخر من ملوك الديلم ، وهو الذى قتل بالرى ، قتله ابن أسوار هذا فى خبر يطول ذكره ، فلما قرب مرداويج من عساكر أسفار راسل قواده وكاتبهم فى معاونته على الفتك بأسفار ، وأعلمهم مظافرة سلام عليه ، وقد كان القواد وسائر أصحابه سثموا وملوا دولته ، وكرهوا سيرته ، فأجابوا مرداويج إلى ذلك فلما دنا من الجيش استشعر أسفار بن شيرويه البلاء ، وعلم توجه الخيلة عليه ، وأن لا ناصر له من أصحابه ولا غيرهم لما تقدم من سوء سيرته ، فهرب فى نفر من غلمانة ، فوافى مرداويج وقد فاته أسفار ، فاستولى على الجيش وحاز الخزائن والأموال ، وأحضر وزير أسفار المعروف بمطرف الجرجانى ، فاستخرج منه الأموال ، وأخذ البيعة على القواد والرجال ، وفرق فيهم الأموال من الأرزاق والجوائز ، وزاد فى إنزالهم ، وأحسن إليهم بما لم يكونوا يعرفونه من أسفار ،

ومضى أسفار إلى نحو مدينة السارية من بلاد طبرستان فلم يجد له ملجأ يقصده ،
وحار في أمره ، فرجع يريد قلعة من قلاع الديلم منيعة تعرف بقلعة الموت ، وكان
فيها شيخ من شيوخ الديلم يعرف بأبي موسى مع عدة من الرجال قبكه ذخائر
أسفار بن شيرويه من خزائنه وأمواله ، وكان مرداويج لما توجه له ذلك وملك
الجيش والأموال خرج يتصيد على أميال من قزوین نحو الطريق الذي سلكه
أسفار ليستعلم أمره ، وأى البلاد سلك ، وإلى أى القلاع لجأ ، فمال إلى القلعة
فنظر إلى خيل يسيرة في بعض الأودية ، فأسرع أصحابه نحوها ليأخذوا خبرها
فوجدوا أسفار بن شيرويه في عدة يسيرة من غلمانه يؤم القلعة ليأخذ ماله فيها
من الأموال ويجمع الرجال والديلم والجبل ويعود إلى حرب مرداويج بن زياد فأتى
عليه مرداويج ، فلما وقعت عينه عليه نزل فذبجه من ساعته ، وأقبل رجال الديلم
والجبل نحو مرداويج لما ظهر من بذله وإحسانه إلى جنده ، وتسامع الناس بادراره
الأرزاق على جنده ، فقصدوه من سائر الأمصار ، فعضمت عساكره ، وكثرت
جيوشه ، واشتد أمره ، ولم يسهه ما في يديه من الأمصار ، ولا كفى رجاله ما فيها
من الأموال ، ففرق قواده إلى بلاد قم ، وخرج أبو دلف إلى البرج وهمذان وأمر
وزنجان ، فكان ممن أُنقذ إلى همذان ابن أخت له في جيش كثيف مع جماعة
من قواده ورجاله ، وكان بها جيش السلطان مع أبي عبد الله محمد بن خلف
الدينورى السمرانى ومعه خفيف غلام أبى المہجاء عبد الله بن حمدان في جماعة من
قواد السلطان ، فكانت لهم مع الديلم حروب متصلة ووقائع كثيرة ، وعاون أهل
همذان أصحاب السلطان فقتل من رجال مرداويج خلق كثير من الديلم والجبل
أربعة آلاف ، وقتل ابن أخت مرداويج صاحب الجيش المعروف بأبي
الكراديس بن على الطالحي ، وكان من وجوه قواد مرداويج ، وولت الديلم نحو
مرداويج أوحش هزيمة ، فلما أتاه الخبر وضجت أخته ورأى ما نزل بها من أمر
ولدها سار عن الرى في جيوشه حتى نزل مدينة همذان على الباب المعروف بباب

الأسد وإنما سمي هذا الباب بباب الأسد لأن أسدا من حجارة كان على أعمدة من هذا الباب على الطريق المؤدية إلى الرى وجادة خراسان أعظم ما يكون من الأسد كالثور العظيم كأنه أسد حتى يدنو الانسان منه فيعلم أنه حجر قد صور أحسن صورة ومثل أقرب ما يكون من تمثيل الأسد ، فكان أهل همدان به يتوارثون أخبارهم عن أسلافهم مستفيضا : فمنهم أن الاسكندر بن فيليبس بنى همدان حين انصرف من بلاد خراسان ورجوعه من مطافه من الهند والصين وغيرها ، وأن ذلك الأسد جعل طلسمًا للمدينة وسورها ، وأن خراب البلد وفناء أهله وهدم سوره والقتل الذريع يكون عند كسر ذلك الأسد وقلعه من موضعه ، وأن ذلك من وجه الديلم والجبل ، وكان أهل همدان يمتنعون من يجتاز بهم من العساكر والسابلة والمتألفة من أحداشهم أن يقلبوا ذلك الأسد أو يكسروا شيئاً منه ، ولم يكن ينقلب لعظمه وصلابة حجره إلا بالخلق الكثير من الناس ، وقد كان عسكر مرداويج الذى سير مع ابن أخته نزلوا على هذا الباب وانبسطوا فى تلك الصحراء قبل الوقعة بينهم وبين أصحاب السلطان فقلب على ما ذكر هذا الأسد فكسر ، فكان من أمر الوقعة ما ذكرنا ، وذلك على طريق الولع من الديلم ، فلما سار مرداويج ونزل على هذا الباب ونظر إلى مصارع أصحابه وقتل أهل همدان لابن أخته اشتد غضبه لذلك ، فكانت بينه وبين أهل همدان ثورة ، ثم ولى القوم وقد أسلمهم قبل ذلك أصحاب السلطان ، فدخلوا فقتلوا فى اليوم الأول فى قول القتل من الناس على ما أدركه الاحصاء ممن حمل السلاح فى المعركة نحو من أربعين ألفا ، وأقام السيف يعمل فيها ثلاثة أيام والنار والسبي ، ثم نادى برفع السيف فى اليوم الثالث ، وأمن بقيتهم ، ونادى أن تخرج شيوخ البلد ومستوروه إليه ، فلما سمعوا النداء أملوا الفرج ، فخرج من وثق بنفسه من الشيوخ وأهل الستر ، ومن لحق بهم ، فخرجوا إلى المصلى ، فدخل إليه صاحب عذابه ، وكان يقال له الشقطينى ، فسأله عن أمره فيهم ، فأمره أن يطوف بهم الديلم والجبل بحرابهم

وخنأجرهم فيؤتى عليهم ، فأطافت بهم الرجال من الديلم فأتى على القوم جميعا ،
 وألحقوا بمن مضى منهم ، وبعث منها بقائد من قواده يعرف بابن علان القزويني
 وكان يلقب بخواجه ، وذلك أن أهل خراسان إذا عظموا الشيخ فيهم سموه خواجه ،
 في عسكر من عساكره إلى مدينة الدينور ، ومن ههنا إليها ثلاثة أيام ، فدخلها
 بالسيف ، وقتل من أهلها في اليوم الأول سبعة عشر ألفا في قول المقلل ، والمكثر
 يقول : خمسة وعشرين ألفا ، فخرج إليه رجل من مشهورى أهل الدينور وصوفيتها
 وزهادها يقال له ممشاد ويده مصحف قد نشره ، فقال لابن علان المعروف بخواجه :
 أيها الشيخ ، اتق الله وارفع السيف عن المسلمين ، فبلا ذنب لهم ولا جنسية
 يستحقون ما قد نزل بهم ، فأمر بأخذ المصحف من يده فضرب به وجهه ، ثم
 أمر به فذبح ، وسبى وأباح الأموال والدماء والفروج ، وبلغت عساكر مرداويج
 وجنوده إلى الموضع المعروف بالسحوس ، وهو فرز بين الجبل وأعمال حلوان مما
 يلي العراق ، وذلك من بلاد طرز والمطامير ومرج القلعة قتلا وسبيا ، وغنم الأموال ،
 ثم ولت جيوشه راجعة وقد غنمت الأموال وقتلت الرجال وملكت الأولاد ،
 وأخذوا الغلمان ، وتملكوهم ، وسبوا من بلاد الدينور وقديسين والربذة إلى حيث
 ما بلغوا مما وصفنا من البلاد مما أدركه الاحصاء من الجوارى العتق العواتق والغلمان
 في قول المقلل خمسين ألفا ، وفي قول المكثر مائة ألف ، فلما تم لمرداويج ما وصفنا
 وحملت إليه الأموال والغنائم بعث بها إلى أصبهان بجماعة من قواده في قطعة من
 عساكره فملكوها ، وأقيمت لهم الأنزال والعلوفات ، وعمرت لهم قصور أحمد بن
 أبي دلف المعجلي ، وهيئت له البساتين والرياض ، وزرع له فيها أنواع الرياحين ،
 على حسب ما كان في آل عبد العزيز ، فسار مرداويج إلى أصبهان فنزلها وهو
 في نحو من خمسين ألفا ، وقيل : أربعين ، سوى ماله بالرى وقم وههنا وسائر
 أعماله من العساكر ؛ وقد كان أتقذ جماعة من قواده وعساكره مع أبي الحسن
 محمد بن وهبان الصنعاني ، وهو الذي استأمن بعد ذلك إلى السلطان ثم

قصد إلى محمد بن رائق وهو بالركة من بلاد ديار مضر قبل دخول الشام
ومحاربته الأخشيدي محمد بن طفج ، فاحتال عليه رافع القرمطى ، وكان من قواد
ابن رائق ، حتى فرق بينه وبين عسكره وغرقه في الفرات ، وذلك نحو رجة
مالك بن طوق ، وقد أتينا على خبره وما كان من الحيلة في أمره ومدة بقاءه في
الماء مقيدا إلى أن خرج ثم قتل بعد ذلك في الكتاب الأوسط في أخبار محمد بن
رائق ، وسار ابن وهبان فيمن معه من العساكر إلى أوسع كور الأهواز ، وذلك
على طريق مناذر والعش ونوح ، واحتوى على هذه البلاد وجبى أموالها ، وحمل
ذلك إلى مرداويج ، فتكبر وعظمت جيوشه وأمواله وعساكره ، وضرب
سريرا من الذهب رصع له بالجواهر ، وعملت له بدلة وتاج من الذهب ، وجمع
في ذلك أنواع الجواهر ، وقد كان سأل عن تيجان الفرس وهياتها فصورت له
ومثلت ، فاختر منها تاج أنوشروان بن قباد ^(١)

وكان نعى إليه من كتابه ومن أطاف به من أتباعه من دهاة العالم وشياطينه
أن الكواكب ترى شعاعاتها إلى بلاد أصهبان فيظهر بها ديانة ، وينصب بها
سرير ملك ، ويحجى له كنوز الأرض ، وأن الملك الذي يليها يكون مصفر الرجلين
ويكون من صفته كيت وكيت ، وأن مدة عمره في الملك كذا وكذا ، ثم يتلوه
من بعده في هذه المملكة أربعون ملكا ، وقرىوا له الزمان في ذلك وحدوده
وتقرىوا إليه بأشياء من هذه المعاني مما مال إليه هواه واستدعاه منهم واستهواه
وأنه المصفر الرجلين الذي يتملك الأرض ، وكان معه من الأتراك نحو أربعة
آلاف ممالك ، دون من في عسكره من الأتراك ، مع ماعنده من الأمراء
والأتراك ، وكان سيء الصحبة لهم ، كثير القتل فيهم ، فعملوا على قتله ، وتحالفوا
وقد كان على المسير إلى مدينة السلام والقبض على الملك وتولية أصحابه مسدن
الاسلام بأسرها في شرق البلاد وغربها مما في يد ولد العباس وغيرهم ، فأقطع
الدور ببغداد لأهله ، ولم يشك أن الأمر في يده والملك له ، فخرج ذات يوم إلى

(١) في الأصول « أنوشروان بن قتادة »

الصيد وهو فرح مسرور لما قد تم له من الأمر وتأتى له من الملك ، فدخل الحمام بعد رجوعه في قصر أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي بأصبهان ، فدخل إليه غلام من وجوه الأتراك ، وهو يحكم ، وكان من خواص الغلمان ، ومعه ثلاثة نفر من وجوه الأتراك أرى أحدهم تورون مدير الدولة بعد يحكم ، فقتلوه ، فخرج يحكم ومن معه ، وقد كان أعلم الأتراك بذلك فكانوا له متأهبين ، فركبوا من قورم — وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة في خلافة الراضى — وتفرق في الجيش عند وقوع الضجة ، ونهب بعض الناس بعضا ، وأخذت الخزائن وانتهبت الأموال ، ثم إن الجبل والديلم ثابوا واجتمعوا وتشاوروا ، وقالوا : إن بقينا على ما نحن عليه من التحزب بغير رئيس ننقاد إليه هلكنا ، فاجتمع أمرهم على مبايعة وشمكير أخى مرداويج ، وتفسير مرداويج معلق الرجال ، وقد يكتب مرداويج بالزاي ، فبايعوا وشمكير بعد أن تفرق كثير من الجيش ، ففرق فيهم كثيرا مما بقي من الأموال ، وأحسن إليهم ، وتوجه فيمن معه من العساكر إلى الرى فنزلها ، وسار يحكم التركي فيمن معه من الأتراك وقد جمعوا أنفسهم إلى أن يخلصوا من الديلم ، وسار إلى بلاد الدينور فجبي منها الخراج وأخذ كثيرا من الأموال ، وسار إلى النهران على أقل من يومين من مدينة السلام ، فراسل الراضى ، وكان الغالب على أمره الساحة وعدة من الغلمان الحجرية ، فأبوا أن يتركوه يصل إلى الحضرة خوفا أن يغلب على الدولة ، فضى يحكم لما منع من الحضرة إلى واسط إلى محمد بن رائق ، وكان مقيا بها ، فأدناه وحياه وغلب عليه ، وقوى أمر يحكم واصطنع الرجال وضعف أمر ابن رائق عنه ، فكان من أمره ما قد اشتهر ، وقد قدمنا ذكره فيما سلف من كتبنا من اختفائه وخروج يحكم مع الراضى إلى الموصل ومعهم على بن خلف بن طباطب إلى ديار بنى حمدان من بلاد الموصل وديار ربيعة ، وظهور محمد بن رائق ببغداد ، ومعاونة الفوغاء له ، ومسيره إلى دار السلطان ، وقتله لابن بدر الشرايى ، وخروجه من الحضرة ومن

تبعه من الجبل والقرامطة مثل رافع وعمارة وغيرهما ، وكانوا أنصاره ، ومسيره إلى ديار مصر ، ونزوله الرقة ، وما كان بينه وبين نمر ، ودخول يانس المؤنسى ، وحملته ومسيره إلى جند قنسرين والعواصم ، وإخراجه ظريفا اليشكرى عنها وتوليه الثغر الشامي

وقد أتينا في الكتاب الأوسط الذي كتبنا هذا تال له ، والأوسط [تال] إكتابنا « أخبار الزمان » ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة ، على ما كان منه ، ومحاربته الأخشيد بن محمد بن طغج بالعريش من بلاد مصر ، وانكشافه ، ورجوعه إلى دمشق ، وما كان من قتله لأخيه الأخشيد محمد بن طغج باللاجون من بلاد الأردن ، وما كان قبل وقعة العريش بينه وبين عبد الله بن طغج ، وما كان معه من القواد ، وانكشافهم عنه ، واستئمان من استأمن منهم إليه مثل محمد بن بكسين الخاصة وبكير الخاقاني غلام خاقان المفلحى وغيرهما ، وغير ذلك من أخباره وأخبار غيره ، وذكرنا مقتل ظريف اليشكرى في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة على باب طرسوس ، وما كان من وقيعته مع التيميلية ، وهم غلمان تميم الخادم ، فأغنى ذلك عن إعادته مبسوطا في هذا الكتاب

وإنما تغفل بنا الكلام في التصنيف فيما ذكرنا من أخبار الديلم والجبل وما كان من أمر أسفار بن شيرويه ومرداويج عند ذكرنا لآل أبي طالب وأمر الداعى الحسن بن القاسم الحسنى صاحب طبرستان ومقتله ، وخبر الأطروش الحسن بن على بن الحسن

قال السعوى : وقد أتينا على ذكر سائر الأحداث والكوائن في أيام من ذكرنا من الخلفاء والملوك في كتابينا « أخبار الزمان » والأوسط ، وذكرنا في هذا الكتاب ما يكتفى به الناظر فيه ، وانتهى التصنيف فيه إلى هذا الوقت ، وهو جهادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، ونحن بفسطاط مصر ، والقالب

على أمر الدولة والحضرة أبو الحسن أحمد بن بويه الذي يلقى المسمى معز الدولة ، وأخوه الحسن بن بويه صاحب بلاد أصبهان وكور الأهواز وغيرها المسمى ركن الدولة ، وأخوها الأكبر ، والرئيس المعظم ، على بن بويه الملقب بعميد الدولة المقيم بأرض فارس ، والمدير منهم لأمر المطيع أحمد بن بويه معز الدولة ، وهو المحارب لليزيديين بأرض البصرة ، والمطيع معه على حسب ما ينمو إلينا من أخبارهم ، ودلنا في كتابنا هذا بالقليل على الكثير ، وبالجزء القليل على الجليل الخطير ، وذكرنا في كل كتاب من هذه الكتب ما لم نذكره في الآخر ، إلا ما لا يسع تركه ، ولم نجد بدا من إirاده لما دعت الحاجة إلى وصفه ، وأتينا على أخبار أهل كل عصر ، وما حدث فيه من الأحداث ، وما كان فيه من الكوائن إلى وقتنا هذا ، مع ما أسلفناه في هذا الكتاب من ذكر البر والبحر والعامر منهما والفاقر والملوك وسيرها ، والأمم وأخبارها

طريقة المؤلف
في تصنيف
كتبه

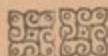
وأرجو أن يفسح الله تعالى لنا في البقاء ، ويمدنا بالعمر ، ويسعدنا بطول الأيام ، فنعقب تأليف هذا الكتاب بكتاب آخر تضمنه فنونا من الأخبار ، وأنواع من ظرائف الآثار ، على غير نظم من التأليف ، ولا ترتيب من التصنيف على حسب ما يسنح من فوائد الأخبار ، ونترجمه بكتاب « وصل المجالس بجوامع الأخبار ومختلط الآثار » تاليا لما سلف من كتبنا ، ولاحقا بما تقدم من تصنيفنا

وجميع ما أوردناه في هذا الكتاب لا يسع ذوى الدراية جهله ، ولا يعذر في تركه والتغافل عنه ، فمن عد أبواب كتابي هذا ولم يعمن النظر في قراءة كل باب منه لم يبلغ حقيقة ما قلنا ، ولا عرف للعلم مقداره ، فلقد جمعنا فيه في عدة السنين باجتهاد وتعب عظيم وجولان في الأسفار وطواف في البلدان من الشرق والغرب وكثير من الممالك غير مملكة الاسلام ، فمن قرأ كتابنا هذا فليتبدره

ما أودعه
المؤلف في
كتابه هذا

بعين المحبة ، وليتفضل هو باصلاح ما أنكر منه مما غيره الناسخ وصحفه الكاتب
وَلْيَرْعَ لى نسبة العلم ، وحرمة الأدب ، وموجبات الرواية ، مما تجشمت من
التعب فيها ، فان منزلى فيه وفى نظمه وتأليفه بمنزلة من وجد جوهرها منشورا ذا
أنواع مختلفة وفنون متباينة فنظم منها سلسكا ، واتخذ عقدا نفيسا ثمينا
باقيا لطلابه

وليعلم من نظرفيه ائى لم أنتصرفيه لمذهب ، ولا تحيزت إلى قول ، ولا
حكيت عن الناس إلا مجالس أخبارهم ، ولم أعرض فيه لغير ذلك
فلنذكر الآن الباب الثانى من جامع التاريخ على حسب ما قدمنا الوعد
بايراده فى صدر هذا الكتاب



ذكر جامع التاريخ الباقي من الهجرة إلى هذا الوقت

وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة الذى فيه انتهينا من الفراغ من هذا الكتاب

قد أفردنا فيما سلف من هذا الكتاب بابا للتاريخ فى تاريخ العالم والأنبياء والملوك إلى مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه إلى هجرته ، ثم ذكرنا هجرته إلى وفاته ، وأيام الخلفاء والملوك إلى هذا الوقت ، على حسب ما يوجبه الحساب ، وما فى كتب السير وأصحاب التواريخ من غنى بأخبار الخلفاء والملوك ولم نعرض فيما ذكرنا من ذلك لما فى كتب الزيجات مما ذكره أصحاب النجوم ، على حسب ما يوجبه تاريخهم ؛ فلنذكر فى هذا الباب جميع ما أثبتوه فى كتب زيجات النجوم من الهجرة إلى هذا الوقت المؤرخ ، ليكون ذلك أكثر لفائدة الكتاب ، وأجمع لمعرفة تباين أصحاب التواريخ من الأخباريين والمنجمين ، وما اتفقوا عليه من ذلك

فالذى وجدناه من ذلك فى كتاب الزيجات أن الابتداء فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة إحدى للتروية ، وذلك يوم ستة عشر من تموز سنة تسعمائة وثلاثة وثلاثين لئلى القرنين ، وكانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة سنة إحدى بعد أن مضى منها شهران وثمانية أيام ، فمكث بها حتى قبض صلى الله عليه وسلم تسع سنين وأحد عشر شهراً واثنتين وعشرين يوماً ، فذلك عشر سنين وشهران

أبو بكر الصديق رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام ، فذلك اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام

عمر بن الخطاب رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً ؛ فذلك اثنتان وعشرون سنة

عثمان بن عفان رضى الله عنه إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما

على بن أبى طالب رضى الله عنه أربع سنين وسبعة أشهر ، فذلك تسع وثلاثون سنة وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما ، وإلىبيعة معاوية بن أبى سفيان ستة أشهر وثلاثة أيام ؛ فذلك أربعون سنة وشهران وعشرون يوما

معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما ، فذلك تسع وخمسون سنة وستة أشهر وخمسة وعشرون يوما

يزيد بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر
معاوية بن يزيد بن معاوية ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما

مروان بن الحكم أربعة أشهر

عبد الله بن الزبير ثمان سنين وخمسة أشهر

عبد الملك بن مروان حتى قتل ابن الزبير سنة وشهرين وستة أيام



ذكر أيام بني مروان

عبد الملك بن مروان بن الحكم اثنى عشرة سنة وأربعة أشهر وخمسة أيام
الوليد بن عبد الملك تسع سنين وتسعة أشهر وعشرين يوما
سليمان بن عبد الملك سنتين وسبعة أشهر وعشرين يوما
عمر بن عبد العزيز بن مروان سنتين وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما
يزيد بن عبد الملك أربع سنين ويوما واحدا
هشام بن عبد الملك تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام ، فذلك مائة
سنة وأربعة وعشرون سنة وثلاثة أشهر وستة أيام
الوليد بن يزيد بن عبد الملك حتى قتل سنة وشهرين وعشرين يوما ،
فذلك مائة سنة وخمسة وعشرين سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرون يوما ،
وكانت الفتنة بعد مقتله بشهرين وخمسة وعشرين يوما ، فذلك مائة سنة وخمسة
وعشرون سنة وثمانية أشهر واثنان وعشرون يوما
يزيد بن الوليد بن عبد الملك شهرين وسبعة أيام ، فذلك مائة وخمس
وعشرون سنة وأحد عشر شهرا ويوم واحد
إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك حتى خلع شهرين وأحد عشر يوما ، فذلك
مائة سنة وست وعشرون سنة وشهر واثنا عشر يوما
مروان بن محمد حتى قتل خمس سنين وشهرين ، فذلك مائة سنة وإحدى
وثلاثون سنة وثلاثة أشهر واثنا عشر يوما



ذكر الخلفاء من بني هاشم

أبو العباس عبد الله بن محمد أربع سنين وثمانية أشهر ويومين ، فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما ، حتى انتهت البيعة إلى المنصور أربعة عشر يوما ؛ فذلك مائة وخمس وثلاثون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية وعشرون يوما

أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وستة أيام حتى انتهى الخبر إلى المهدي اثني عشر يوما ، فذلك مائة وسبع وخمسون سنة وأحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما

المهدي عشر سنين وشهرا واحدا وخمسة أيام ، فذلك مائة وثمان وستون سنة وثلاثة عشر يوما ، حتى انتهى الخبر إلى الهادي ثمانية أيام ، فذلك مائة وثمان وستون سنة وشهر واحد ويوم واحد

الهادي سنة وثلاثة أشهر ، فذلك مائة وتسع وستون سنة وشهران وستة عشر يوما

الرشيد ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوما ، فذلك مائة واثنان وتسعون سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما

الأمين حتى خلع وحبس ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوما ، فذلك مائة وخمس وتسعون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما ، وأخرج وبويع له وحارب وحوصر حتى قتل سنة وستة أشهر وثلاثة عشر يوما

المأمون عشرين سنة وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما ، فذلك مائتان وسبع عشرة سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوما

المعتصم ثمان سنين وثمانية أشهر ويوما ، فذلك مائتان وستة وعشرون سنة
وشهران وتسعة عشر يوما

الواثق خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام ، فذلك مائتان وإحدى وثلاثون
سنة وأحد عشر شهرا وأربعة وعشرون يوما
المتوكل أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام ، فذلك مائتان وست
وأربعون سنة وتسعة أشهر ويوم واحد

المنتصر ستة أشهر ، فذلك مائتان وسبعة وأربعون سنة وثلاثة أشهر ويوم
واحد ، إلى أن انحدر المستعين إلى مدينة السلام سنتين وتسعة أشهر وثلاثة أيام
فذلك مائتان وخمسون سنة وأربعة عشر يوما ، وإلى أن خطب للمعتز بمدينة
السلام أحد عشر شهرا وعشرين يوما ، فذلك مائتان وإحدى وخمسون سنة
وأربعة أيام ، وإلى أن خلع ثلاث سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوما ،
فذلك مائتان وأربعة وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة وعشرون يوما ، وإلى
بيعة المهتدى يومين ، فذلك مائتان وأربع وخمسون سنة وسبعة أشهر

المهتدى أحد عشر شهرا وثمانية وعشرين يوما ، فذلك مائتان وخمس
وخمسون سنة وستة أشهر وسبعة عشر يوما

المعتمد ثلاثا وعشرين سنة وثلاثة أيام ، فذلك مائتان وثمان وثمانون^(١) سنة
وثلاثة أشهر واثنان وعشرون يوما

المقتدر حتى خلع إحدى وعشرين سنة وشهرين وخمسة أيام ، فذلك ثلثمائة
سنة وست عشرة سنة^(١) وتسعة عشر يوما

ابن المعتز حتى خلع يومين ، فذلك ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وإحدى
وعشرون يوما

(١) كذا في الأصول ، والحساب غير مستقيم

المقتدر حتى قتل ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام ، فذلك ثلثمائة وتسع
عشرة سنة وعشرون يوما

القاهر حتى خلع سنة وستة أشهر واثني عشر يوما ، فذلك ثلثمائة سنة وإحدى
وعشرون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام

الراضى ست سنين وأحد عشر شهرا وثمانية أيام ، فذلك ثلثمائة وثمانية
وعشرون سنة وسبعة عشر يوما

المتقى ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما ، فذلك ثلثمائة واثنان وثلاثون
سنة وشهر واحد وثلاثة أيام

المستكفى سنة وثلاثة أشهر ، فذلك ثلثمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة وسبعة
أشهر واثنا عشر يوما

المطيع لله إلى غرة جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة سنة وثمانية
أشهر وخمسة عشر يوما ، فذلك ثلثمائة وخمس وثلاثون سنة وأربعة أشهر إلا
ثلاث ليال

قال المسعودى : وسنو الهجرة قمرية ، وبين هذا التاريخ وتاريخ أصحاب
الأخبار والسير تفاوت من زيادات الشهور والأيام ، ومُعَوَّلْنَا - فيما ذكرنا من
التاريخ من الهجرة إلى هذا الوقت - على ما وجدنا في كتب الزيجات ، وكان
أهل هذه الصناعة يراعون هذه الأوقات ، ويحيطون علمها على التحديد ، والذي
نقلناه من التاريخ فمن زيج أبى عبد الله محمد بن جابر السامى وغيره من الزيجات
إلى هذا الوقت ، فأما ما قدمنا ذكره في هذا الوقت - من الهجرة إلى هذا
الوقت - فإنا نعيد ذكره مفصلا في هذا الكتاب ، لكي يقرب تناوله على الطالب
له ، ولا يبعد عما ذكرناه من الزيجات

فألذنى صح من تاريخ أصحاب السير والأخبار من أهل النقل والآثار أنه
بعث صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ،
هاجر عشرا ، وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم
أبو بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام

عمر بن الخطاب عشر سنين وتسعة أشهر وأربع ليال

عثمان بن عفان إحدى عشرة سنة ^(١)

علي بن أبي طالب أربع سنين ^(١)

الحسن بن علي ستة أشهر وعشرة أيام

معاوية بن أبي سفيان سبع عشرة سنة وثمانية أشهر

يزيد بن معاوية ثلاث سنين وثمانية أشهر وإثمان ليال

معاوية بن يزيد شهرا واحدا وأحد عشر يوما

مروان بن الحكم ثمانية أشهر وخمسة أيام

عبد الملك بن مروان إحدى وعشرين سنة وشهرا ونصفا

الوليد بن عبد الملك سبع سنين وثمانية أشهر ويومين

سليمان بن عبد الملك سنتين وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوما

عمر بن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام

يزيد بن عبد الملك أربع سنين وشهرا ويومين

هشام بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وإحدى عشرة ليلة

الوليد بن يزيد سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما

مروان بن محمد خمس سنين وعشرة أيام

عبد الله بن محمد السفاح أربع سنين وتسعة أشهر

(١) كذا في الأصول في الموضعين

المنصور اثنتين وعشرين سنة إلا تسع ليال
المهدي عشر سنين وشهرا وخمسة عشر يوما
الهادي سنة وستة أشهر

الرشيد ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر
الأمين أربع سنين وستة أشهر

المأمون إحدى وعشرين سنة سواء
المعتصم ثمان سنين وثمانية أشهر

الواثق خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام
المستنصر أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليال
المنتصر ستة أشهر

المستعين ثلاث سنين وثمانية أشهر
المعتز أربع سنين وستة أشهر
المهتدي أحد عشر شهرا

المعتد ثلاثا وعشرين سنة

المعتضد تسع سنين وتسعة أشهر ويومين

المكتفي ست سنين وسبعة أشهر ويومين

المقتدر أربعين سنة وأحد عشر شهرا وستة عشر يوما

الظاهر سنة وستة أشهر وستة أيام

الراضي ست سنين وأحد عشر شهرا وثمانية أيام

المتقي ثلاث سنين وتسعة أشهر وستة عشر يوما

المستكفي سنة وثلاثة أشهر

الطبع إلى غرة جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة : سنة وثمانية أشهر

وخمسة عشر يوما

ونحن نؤمل من الله تعالى البقاء والزيادة في العمر لنزيد في هذا الكتاب ما يحدث في أيامهم ، وما يكون في المستقبل من دولتهم

فهذا جل التاريخ من الهجرة إلى هذا الوقت ، وهو جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وثمانئة ، وقد أوردنا في الكتاب ما ذكر الفريقان جميعا لكي لا يبعد فهم ذلك على مريده والطالب له ، إن شاء الله تعالى

والتاريخ من المولد إلى هذا الوقت معلوم ، ومن المبعث إلى الوفاة معروف غير مجهول ، ولا يتعذر تناوله على ذى الدراية من هذا الكتاب ، إلا أن معول الناس أن بدء التاريخ من الهجرة على حسب ما بينا فيما سلف من كتبنا من مشاورة عمر الناس في التاريخ عند حدوث بدئه ، وما قاله الناس من كل فريق منهم ، وأخذه بقول علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، أن يؤرخ بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتركه أرض الشرك ، وأن ذلك كان من عمر رضى الله عنه في سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة ، على حسب التنازع في ذلك ، والله أعلم

ذكر تسمية من حج بالناس أول الاسلام

إلى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة

حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثمان من الهجرة ، ورجع إلى المدينة ، واستعمل عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية على مكة ، فحج بالناس سنة ثمان ، وقيل : بل حج الناس أوزاعا ليس عليهم أحد

حج أبي بكر ثم كانت سنة تسع فحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، حين خرج من المدينة مع ثلثمائة ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بدنة ، ثم أرسل على أثره علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأدركه بالعرج ومعه سورة براءة فأذن بها يوم النحر عند العقبة ، فأقام أبو بكر الحج ، وخطب أبو بكر بمكة قبل التروية بيوم ، ويوم عرفة بعرفة ، ويوم النحر بمنى

حج رسول الله ثانيا ثم كافت سنة عشر ، فحج بالناس سيد المرسلين رسول الله صلى الله عليه وسلم

حج عمر ثم كانت سنة إحدى عشرة ، فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بقية أمراء الحج ثم كانت سنة اثني عشرة فحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه
ثم كانت سنة ثلاث عشرة فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف
ثم كانت سنة أربع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،

ثم كانت سنة خمس عشرة فحج بالناس^(١) ، ثم كانت سنة ست عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم كانت سنة سبع عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم كانت سنة ثمان عشرة فحج بالناس عمر بن الخطاب^(٢) ، ثم كانت سنة عشرين

(١) يياض (٢) لم يذكر سنة تسع عشرة

فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم كانت سنة إحدى وعشرين فحج بالناس عمر
ابن الخطاب ، ثم كانت سنة اثنتين وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ،
ثم كانت سنة ثلاث وعشرين فحج بالناس عمر بن الخطاب ، ثم قتل رضى الله
عنه آخر ذى الحجة

ثم كانت سنة أربع وعشرين فحج بالناس عبد الرحمن بن عوف
ثم كانت سنة خمس وعشرين فحج بالناس عثمان بن عفان ، إلى سنة
أربع وثلاثين

ثم كانت سنة خمس وثلاثين فحج بالناس عبد الله بن عباس بأمر عثمان
وهو محصور

ثم كانت سنة ست وثلاثين حج بالناس عبد الله بن عباس
ثم كانت سنة سبع وثلاثين بعث على بن أبى طالب على الموسم عبد الله بن
العباس ، وبعث معاوية بن أبى سفيان سحرة^(١) الرهاوى ، فاجتمعا بمكة وتنازعا
الإمارة ولم يسلم أحدهما لصاحبه ، فاصطاحا على أن يصلى بالناس شيبة بن عثمان
الجمعى ، ففعل ذلك

ثم كانت سنة ثمان وثلاثين حج بالناس قثم بن عباس نائب مكة
ثم كانت سنة تسع وثلاثين حج بالناس شيبة بن عثمان
ثم كانت سنة أربعين والتنازع مع معاوية والحسن بن على فى الخلافة فحج
بالناس المغيرة بن شعبة عن كتاب يقال إنه افتعله فيما قيل

ثم كانت إحدى وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ، ثم حج بعده
مروان بن الحكم ، ثم كانت سنة أربع وأربعين حج معاوية بن أبى سفيان ، ثم
كانت سنة خمس وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ، ثم كانت سنة ست
وأربعين حج بالناس عتبة بن أبى سفيان ، ثم كانت سنة سبع وأربعين حج بالناس

(١) فى نسخة « شجرة »

عتبة بن أبي سفيان ، ثم كانت سنة ثمان وأربعين حج بالناس مروان بن الحكم ،
ثم كانت سنة تسع وأربعين حج بالناس سعيد بن العاص ، ثم كانت سنة خمسين
حج بالناس معاوية بن أبي سفيان ، ثم كانت سنة اثنتين وخمسين حج بالناس
سعيد بن العاص عامين ، ثم كانت سنة أربع وخمسين حج بالناس مروان بن
الحكم ، ثم كانت خمس وخمسين حج بالناس مروان بن الحكم ، ثم كانت
سنة ست وخمسين حج بالناس عتبة بن أبي سفيان ، ثم كانت سنة سبع وخمسين
حج بالناس الوليد بن عتبة عامين^(١) ، ثم كانت سنة تسع وخمسين حج بالناس
عثمان بن أبي سعيد ، ثم كانت سنة ستين حج بالناس عمرو بن سعيد بن العاص ،
ثم كانت سنة إحدى وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ثم
كانت سنة اثنتين وستين حج بالناس الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ثم كانت
سنة ثلاث وستين حج بالناس عبد الله بن الزبير ، إلى سنة إحدى وسبعين حج
بالناس الحجاج بن يوسف ، وقتل عبد الله بن الزبير^(٢) ، ثم كانت سنة أربع وسبعين
حج بالناس الحجاج بن يوسف ، ثم كانت سنة خمس وسبعين حج بالناس
عبد الملك بن مروان ، ثم كانت سنة ست وسبعين حج بالناس إلى سنة ثمانين
أبان بن عثمان بن عفان ، ثم كانت سنة إحدى وثمانين حج بالناس سليمان بن
عبد الملك بن مروان ، ثم كانت سنة اثنتين وثمانين حج بالناس أبان بن عثمان
ابن عفان ، ثم كانت سنة ثلاث وثمانين حج بالناس إلى سنة خمس وثمانين
هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، ثم كانت سنة ست
وثمانين حج بالناس العباس بن الوليد بن عبد الملك ، ثم كانت سنة سبع
وثمانين حج بالناس عمر بن عبد العزيز بن مروان ، ثم كانت سنة ثمان وثمانين
حج بالناس الوليد بن عبد الملك ، ثم كانت سنة تسع وثمانين حج بالناس عمر
ابن عبد العزيز ، ثم كانت سنة تسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ، ثم

(١) كذا في جميع الأصول ، وقد سقط من أثناء الكلام سنوات لعله لم يعرف
الأمير فيها

كانت سنة إحدى وتسعين حج بالناس الوليد بن عبد الملك ، ثم كانت سنة
اثنيتين وتسعين حج بالناس عمر بن عبد العزيز ، ثم كانت سنة ثلاث وتسعين
حج بالناس عثمان بن الوليد بن عبد الملك ، ثم كانت سنة أربع وتسعين حج
بالناس مسلمة بن عبد الملك ، ثم كانت سنة خمس وتسعين حج بالناس الوليد
ابن عبد الملك ، ثم كانت سنة ست وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن عمرو
ابن حزم ، ثم كانت سنة سبع وتسعين حج بالناس سليمان بن عبد الملك ، ثم
كانت سنة ثمان وتسعين حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد
ابن العاص بن أمية ، ثم كانت سنة تسع وتسعين حج بالناس أبو بكر محمد بن
عمرو بن حزم ، ثم كانت سنة مائة حج بالناس أبو بكر أيضا ، ثم كانت سنة
إحدى ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عبد الله أمير مكة ، ثم كانت سنة
اثنيتين ومائة حج بالناس عبد الرحمن بن الضحاك الفهري ، ثم كانت سنة ثلاث
ومائة حج بالناس عبد الله بن كعب بن عمير بن سبيع بن عوف بن نضر بن
معاوية النضري ، ثم كانت سنة أربع ومائة حج فيها أيضا ، ثم كانت سنة
خمس ومائة حج بالناس إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومي ، ثم كانت سنة
ست ومائة حج بالناس هشام بن عبد الملك ، ثم كانت سنة سبع ومائة حج
بالناس إبراهيم بن هشام الخزومي ، إلى سنة اثنى عشرة ومائة ، ثم كانت سنة
ثلاث عشرة ومائة حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ، ثم كانت سنة
أربع عشرة ومائة حج بالناس خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم بن
العاص بن أمية ، ثم كانت سنة خمس عشرة ومائة حج بالناس محمد بن هشام
ابن إسماعيل بن الوايد بن المغيرة ، ثم كانت سنة ست عشرة ومائة حج بالناس
الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهو ولي عهده ، ثم كانت سنة سبع عشرة ومائة
حج بالناس خالد بن عبد الملك ، ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائة حج بالناس
محمد بن هشام بن إسماعيل ، ثم كانت سنة تسع عشرة ومائة حج بالناس مسلمة
ابن هشام بن عبد الملك أبو شاكر ، وقيل : بل مسلمة بن عبد الملك ، ثم كانت

سنة عشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل ، ثم كانت سنة إحدى وعشرين ومائة حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل ، إلى سنة أربع وعشرين ومائة ، ثم كانت سنة خمس وعشرين ومائة حج بالناس يوسف بن أخى الحجاج بن يوسف ، ثم كانت سنة ست وعشرين ومائة حج بالناس عمر بن عبد الله ابن عبد الملك ، ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، ثم كانت سنة تسع وعشرين ومائة حج بالناس عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وكان أبو حمزة المختار بن عوف الخارجى من الأزد داعية المعروف بطالب الحق قد وقف وخرج تلك السنة فكلمه الناس حتى نزل عبد الواحد يصلى بالناس ويخرج إلى منزله ، ثم كانت سنة ثلاثين ومائة حج بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان ، ثم كانت سنة إحدى وثلاثين ومائة حج بالناس عروة بن محمد بن عطية السعدى بكتاب افتعله على لسان عمه عبد الملك بن محمد وهو والى الحجاز واليمن لمروان بن محمد

قال المسعودى : فهذا آخر ما حج بنو أمية ، ثم كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائة حج بالناس داود بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ثم كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة حج بالناس زياد بن عبد الله الحرثى ، ثم كانت سنة أربع وثلاثين ومائة حج بالناس عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، ثم كانت سنة خمس وثلاثين ومائة حج بالناس سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ، وفيها بويج لأبى جعفر المنصور ، ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائة حج بالناس إسماعيل بن على بن عبد الله بن العباس ، ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائة حج بالناس الفضل بن صالح بن على ، ثم كانت سنة تسع وثلاثين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن على ، ثم كانت سنة أربعين ومائة حج بالناس

أمراء الحج في
عهد العباسيين

أبو جعفر المنصور ، ثم كانت سنة إحدى وأربعين ومائة حج بالناس صالح بن علي ، ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائة حج بالناس إسماعيل بن علي ، ثم كانت ثلاث وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ، ثم كانت سنة أربع وأربعين ومائة حج بالناس^(١) ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائة حج بالناس السري بن عبد الله بن الحرث بن العباس بن عبد المطلب ، ثم كانت سنة ست وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي ابن علي بن عبد الله بن العباس ، ثم كانت سنة سبع وأربعين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ، وقيل : محمد بن إبراهيم الامام ، وقتل^(٢) في سنة ثمان ، ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائة حج بالناس عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة خمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن علي ، ثم كانت سنة إحدى وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائة حج بالناس أبو جعفر المنصور ، ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائة حج بالناس المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائة حج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائة حج بالناس عبد الصمد بن علي ، ثم كانت سنة ست وخمسين ومائة حج بالناس العباس بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائة حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائة حج بالناس إبراهيم بن يحيى أيضا ، ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائة حج بالناس يزيد بن منصور بن عبد الله بن شهر بن يزيد ابن مثنوب الحميري ، ثم كانت سنة ستين ومائة حج بالناس الهادي بن موسى ابن المهدي ، وهو ولي عهد ، ثم كانت^(٣) سنة اثنتين وستين ومائة حج بالناس

١) ياصر بالاصل (٢) كذا في الأصول في الموضعين ، وفيهما سقط فتأمل

إبراهيم بن جعفر بن أبي جعفر ، ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائة حج بالناس
 على بن المهدي ، ثم كانت سنة أربع وستين ومائة حج بالناس صالح بن أبي
 جعفر ، ثم كانت سنة خمس وستين ومائة حج بالناس صالح أيضا ، ثم كانت
 سنة ست وستين ومائة حج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ، ثم كانت
 سنة سبع وستين ومائة حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة
 ثمان وستين ومائة حج بالناس علي بن محمد المهدي ، ثم كانت سنة تسع وستين
 ومائة حج بالناس سليمان بن أبي جعفر المنصور ؛ ثم كانت سنة سبعين ومائة حج
 بالناس هرون الرشيد ، ثم كانت سنة إحدى وسبعين ومائة حج بالناس عبد الصمد
 ابن علي ، ثم كانت سنة اثنتين وسبعين ومائة حج بالناس ^(١) ثم كانت سنة
 ثلاث وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد : خرج محرما من عسكره إلى
 مكة ، ثم كانت سنة أربع وسبعين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ؛ إلى سنة
 تسع وسبعين ومائة ، ثم كانت سنة ثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى
 ابن موسى بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة إحدى وثمانين ومائة حج بالناس
 هرون الرشيد ، ثم كانت سنة اثنتين وثمانين ومائة حج بالناس موسى بن عيسى ،
 ثم كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة حج بالناس العباس بن محمد المهدي ، ثم
 كانت سنة أربع وثمانين ومائة حج بالناس إبراهيم بن المهدي ، ثم كانت
 سنة خمس وثمانين ومائة حج بالناس منصور بن المهدي ، ثم كانت سنة ست
 وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ، ثم كانت سنة سبع وثمانين ومائة حج
 بالناس عبد الله بن العباس بن علي ، وقيل : منصور بن المهدي ، ثم كانت سنة
 ثمان وثمانين ومائة حج بالناس هرون الرشيد ، ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائة
 حج بالناس العباس بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة تسعين
 ومائة حج بالناس علي بن الرشيد ، ثم كانت سنة إحدى وتسعين ومائة حج

بالناس العباس بن عبيد الله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، ثم كانت سنة
اثنين وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن عبيد الله أيضا ، ثم كانت سنة
ثلاث وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ،
ثم كانت سنة أربع وتسعين ومائة حج بالناس علي بن الرشيد ، ثم كانت سنة
خمس وتسعين ومائة حج بالناس داود بن عيسى بن موسى ، ثم كانت سنة ست
وتسعين ومائة حج بالناس العباس بن موسى ، إلى ثمان وتسعين ، ثم كانت سنة
تسع وتسعين ومائة حج بالناس محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن علي ، ووثب بن
الأفطس العلوي بمكة فقبض عليها فتنحى محمد بن داود ، وخرج الناس ، فوقفوا
بغير إمام ، فلما كانوا بالمرذلة طلع عليهم [ابن] الأفطس فأقام لهم باقي حجهم ،
ثم كانت سنة مائتين حج بالناس للمعتصم بن إسحق ، ثم كانت سنة إحدى
ومائتين حج بالناس إسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ، ثم
كانت سنة اثنين ومائتين حج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن
علي بن الحسين بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو أول طالبي أقام للناس الحج
في الاسلام ، على أنه أقام متغلبا عليه ، لا مؤكلى من قبل خليفة ، وكان ممن
سعى في الأرض بالفساد ، وقتل أصحاب إبراهيم بن عبيد الله الحنفي وغيره في
المسجد الحرام ، ويزيد بن محمد بن حنظلة الخزومي وغيره من أهل العبادة ، ثم
كانت سنة ثلاث ومائتين حج بالناس سليمان بن عبد الله بن جعفر بن سليمان
ابن علي ، ثم كانت سنة أربع ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن بن
عبيد الله ، ثم كانت سنة خمس ومائتين حج بالناس عبيد الله بن الحسن أيضا ،
ثم كانت سنة ست وسبع ومائتين حج بالناس أبو عيسى بن الرشيد ، ثم كانت
سنة ثمان ومائتين حج بالناس صالح بن الرشيد ، ومعه زبيدة ، إلى سنة عشر
ومائتين ، ثم كانت سنة إحدى عشرة ومائتين حج بالناس إسحق بن العباس بن

محمد بن علي ، ثم كانت سنة اثنتي عشرة ومائتين حج بالناس للمأمون ، ثم كانت سنة ثلاث عشرة ومائتين حج بالناس أحمد بن العباس ، ثم كانت سنة أربع عشرة ومائتين حج بالناس عبيد الله بن عبد الله ، ثم كانت سنة خمس عشرة ومائتين حج بالناس عبيد الله بن عبد الله أيضا ، ثم كانت سنة ست عشرة ومائتين حج بالناس^(١) ، ثم كانت سنة سبع عشرة ومائتين حج بالناس سليمان بن عبد الله بن علي ، ثم كانت سنة ثمان عشرة ومائتين حج بالناس صالح بن العباس بن محمد ، ثم كانت سنة تسع عشرة ومائتين حج بالناس صالح بن العباس بن محمد ، ثم كانت سنة عشرين ومائتين حج بالناس صالح بن العباس أيضا ، ثم كانت سنة إحدى وعشرين ومائتين حج بالناس أيضا صالح بن العباس بن محمد ، ثم كانت سنة اثنتين وعشرين ومائتين حج بالناس محمد بن داود بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ثم كذلك إلى سنة ست وعشرين ومائتين ، ثم كانت سنة سبع وعشرين ومائتين حج بالناس جعفر المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، ثم كانت سنة ثمان وعشرين ومائتين حج بالناس إلى سنة خمس وثلاثين ومائتين محمد بن داود بن عيسى ، ثم كانت سنة ست وثلاثين ومائتين حج بالناس محمد المنتصر ، ومعه جدته شجاع ، ثم كانت سنة سبع وثلاثين ومائتين حج بالناس علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور ، ثم كانت سنة ثمان وثلاثين ومائتين إلى سنة إحدى وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس ، ثم كانت سنة اثنتين وأربعين ومائتين حج بالناس إلى سنة أربع وأربعين ومائتين عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ثم كانت سنة خمس وأربعين ومائتين حج بالناس إلى سنة ثمان وأربعين ومائتين محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الامام ، ثم كانت سنة تسع وأربعين ومائتين حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله

ابن عباس ، ثم كانت سنة خمسين ومائتين حج بالناس جعفر بن الفضل بن موسى بن عيسى بن موسى ، ويلقب بساسان ، ثم كانت سنة إحدى وخمسين ومائتين وقف بالناس إسماعيل بن يوسف العلوي المقدم ذكره فيما مضى من هذا الكتاب ، وبطل الحج إلا يسيرا ، لأن إسماعيل هذا طلع على الحاج وهم بعرفة في جموعه فقتل من المسلمين خلقا عظيما حتى زعموا أنه كان يسمع بالليل تلبية القتلى ، وكان شأنه في الفساد عظيما ، ثم كانت سنة اثنتين وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور ، ثم كانت سنة ثلاث وخمسين ومائتين حج بالناس عبدالله بن محمد بن سليمان بن عبدالله الرسى ، ثم كانت سنة أربع وخمسين ومائتين حج بالناس على بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة خمس وخمسين ومائتين حج بالناس على بن الحسن أيضا ، ثم كانت سنة ست وخمسين ومائتين حج بالناس كعب البقر محمد بن أحمد بن عيسى بن جعفر بن المنصور ، ثم كانت سنة سبع وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل ابن العباس بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة ثمان وخمسين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ، ثم كانت سنة تسع وخمسين ومائتين حج بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن بويه ، ثم كانت سنة ستين ومائتين حج بالناس ابن بويه أيضا ، ثم كانت سنة إحدى وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد بن علي ، ثم كانت سنة اثنتين وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ، ثم كانت سنة ثلاث وستين ومائتين حج بالناس الفضل بن العباس أيضا ، ثم كانت سنة أربع وستين ومائتين حج بالناس إلى سنة ثمان وسبعين ومائتين خمس عشرة سنة متوالية هرون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، ثم كانت سنة تسع

وسبعين ومائتين حج بالناس إلى سنة سبع وثمانين ومائتين تسع حجج متوالية
 أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى بن موسى ، ثم كانت سنة
 ثمان وثمانين ومائتين حج بالناس محمد بن هرون بن العباس بن إبراهيم بن
 عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، ثم كانت سنة تسع وثمانين ومائتين حج
 بالناس الفضل بن عبد الملك بن عبد الله بن العباس بن محمد بن علي ، ولم يزل يحج
 بالناس كل سنة إلى سنة خمس وثلثائة ، ثم كانت سنة ست وثلثائة حج بالناس
 أحمد بن العباس بن محمد بن عيسى بن سليمان بن محمد بن إبراهيم الامام ، وهو
 المعروف بأخي أم موسى الهاشمية قهرمانة شعب أم المقتدر بالله ، ثم كانت سنة سبع
 وثلثائة حج بالناس أحمد بن العباس أيضاً ، ثم كانت سنة ثمان وثلثائة حج بالناس
 إلى سنة إحدى عشرة وثلثائة إسحاق بن عبد الملك بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس
 ابن محمد ، ثم كانت سنة اثنتى عشرة وثلثائة حج بالناس الحسن بن عبد العزيز
 ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ،
 ثم كانت سنة ثلاث عشرة وثلثائة حج بالناس أبو طالب عبد السميع بن أيوب
 ابن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد خليفة أعمه الحسن ، ثم كانت
 سنة أربع عشرة وثلثائة حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن سليمان بن محمد
 الأكبر ، ثم كانت سنة خمس عشرة وثلثائة حج بالناس عبد الله بن عبيد الله
 ابن العباس بن محمد المعروف بأبي أحمد الأزرق خليفة الحسن بن عبد العزيز بن
 العباس ؛ ثم كانت سنة ست عشرة وثلثائة حج بالناس أبو أحمد الأزرق
 أيضاً ، ثم كانت سنة سبع عشرة وثلثائة دخل سليمان بن الحسن صاحب البحرين
 مكة ، وقد حضر عمر بن الحسن بن عبد العزيز المتقدم نسبه إليه لإقامة الحج
 خليفة لأبيه فكان من أمر الناس ما كان فيما قدمنا ذكره فيما سلف من هذا
 الكتاب ؛ ولم يتم حج في موسم سنة سبع عشرة وثلثائة هذه من أجل حادثة
 القرامطة لعنهم الله إلا لقوم يسير غدروا فم حجهم دون إمام ، وكانوا رجالة ،

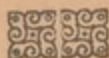
ثم كانت سنة ثمان عشرة وثلثمائة حج بالناس عمر بن الحسن بن عبيد العزيز الهاشمي خليفة لأبيه الحسن بن عبد العزيز ، ثم كانت سنة تسع عشرة وثلثمائة حج بالناس فيها جعفر بن علي بن سليمان خليفة الحسن بن عبد العزيز ، ثم كانت سنة عشرين وثلثمائة حج بالناس فيها عمر بن الحسن بن عبد العزيز خليفة لأبيه أيضا ، ولم يزل يحج بالناس إلى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهو على قضاء مكة في هذا الوقت ، وهو جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، وإليه قضاء مصر وغيرها

تحذير المؤلف
من التصرف
في كتبه

قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي رحمه الله : قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب أنواعا من الأخبار ، وفنونا من العلم : من أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملوك وسيرها ، والأمم وأخبارها ، وأخبار الأرض والبحار وما فيها من العجائب والآثار ، وما اتصل بذلك ؛ لستدل به على ما سلف من كتبنا ، ومدخلا إلى ما تقدم من تصنيفنا في أنواع العلوم مما قدمنا ذكره ، ولم نترك نوعا من العلوم ، ولا فنّا من الأخبار ، ولا طريقا من الآثار ، إلا أوردناه في هذا الكتاب مُفَصَّلًا ، أو ذكرناه مجملا ، أو أشرنا إليه بضرب من الإشارات ، أو لَوَحْنًا إليه بفحوى من العبارات ، من أخبار العجم والعرب والكوائن والأحداث في سائر الأمم ، فمن حرّف شيئا من معنى هذا الكتاب أو أزال ركنا من مبناه ، أو طمس واضحة من معانيه ، أو لبسَ شاهرة من تراجمه ، أو غيره ، أو بدله ، أو انتحله ، أو اختصره ، أو نسبه إلى غيرنا ، أو أضافه إلى سوانا ، أو أسقط منه ذكرنا ، فوافاه من غضب الله وسرعة نقمته وفواحش بلاياه ما يعجز عنه صبره ، ويحار له فكره ، وجعله الله مُثَلَّةً للعالمين ، وعبرة للمعتبرين ، وآية للمتوسمين ، وسلبه الله ما أعطاه ، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه من قوة ونعمة مبدع السموات والأرض ، من أي الملل كان والآراء ، إنه على كل شيء قدير ، وقد جعلنا هذا التحذير في أول كتابنا هذا

وآخره ، وكذلك تقول فى سائر ما تقدم من تصنيفنا ، ونظمناه من تأليفنا ،
فليراقب امرؤ ربه ، وليحاذر منقلبه ، فالمدّة يسيرة ، والمسافة قصيرة ، وإلى
الله المصير .

وقد قدمنا الاعتذار فى مواضع مما سلف من هذا الكتاب من سهو إن
اعتذار المؤلف عرض ، أو تصحيف ، أو تغيير من الكاتب إن وقع ، ولما قد دفعنا إليه من
عماعى أن الأسفار المتواترة ، والحركة المتصلة : تارة مشرقين ، وتارة مغربين ، وطورا
يكون فى كتبه من التحريف متيامنين ، وطورا متشائمين ، وما يلحقنا من سهو الإنسانية ، ويصحبنا من عجز
البشرية ، عن بلوغ الغاية ، وتقصى النهاية ، ولو كان لا يؤلف كتابا إلا من
حوى جميع العلوم إذا ما ألف أحد كتابا ، ولاتأتى له تصنيف ، لأن الله عز وجل
يقول (وفوق كل ذى علم عليم) جعلنا الله ممن يؤثر طاعته ، ويؤقّق لرشده ،
ونسأله أن يمحو بخير شرا ، ويجد هزلا ، ثم يعود علينا بعد ذلك بعفوه ، ويتعمدنا
بفضله ؛ إنه جواد منان ، لا إله إلا هو رب العرش العظيم



قال محمد محي الدين : قد انتهيت بحمد الله تعالى من مراجعة أصول هذا الكتاب وترقيمه وضبط غريبه ، في مدة ثمانية أشهر آخرها ختام شهر المحرم الحرام مفتتح عام ١٣٥٧ من الهجرة النبوية ؛ وقد بالغت في تجويده وتحسينه ، فإن كان قد جاء على ما أحبت فهو من توفيق الله وتيسيره ، وإن تكن الأخرى فبحسبي أننى اجتهدت ؛ ومعذرتى إلى القراء أننى لم أكن أستطيع مراجعته المراجعة الأخيرة لحاجة عمال المطبعة إلى السرعة التى لا تتيسر لى أسبابها ، وإنى مع هذا لأثنى على عمال دار الرجاء الذين ساهموا فى تجويد هذا الكتاب واحتملوا فى سبيله من الجهد والمصاعب ما يستحقون عليه جزيل الشكر . والله تعالى المسئول أن يجعل أحسن أعمالنا خواتمها ، وأن يحشرنا يوم القيامة مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا . آمين .

فهرست الموضوعات

الواردة في الجزء الرابع من كتاب

مِرْقَاتُ الدَّهَبِ
ومعادن الجواهر

تصنيف الرحالة الكبير والمؤرخ الجليل أبي الحسن علي بن الحسين بن علي السعودي
للتوفي في عام ٣٤٦ من الهجرة

الموضوع	ص	الموضوع	ص
ذكر خلافة الواثق	١٩	ذكر خلافة المعتصم	٣
مجل تاريخه	١٩	مجل تاريخه	٣
ذكر لمع من أخباره وسيره	١٩	ذكر مجل من أخباره وسيره	٣
صفات المعتصم	١٩	محمد بن عبد الملك الزيات	٣
أعرابي يذكر لأبي تمام رأيه في المعتصم	١٩	حب المعتصم للعمارة	٣
ورجال دولته	٢١	قوة المعتصم وبأسه	٣
أبو تمام الطائي	٢١	كان للمعتصم يأنس بعلي بن الجعيد	٤
مقارنة بين أبي تمام والبحري	٢٣	الاسكافي ، وحدث عنه	٤
الحكمة ضالة العاقل يطلبها ممن يعرفها	٢٧	مر للمعتصم بشيخ ضعيف قد زلق	٧
حماسة أبي تمام	٢٧	حمارة ورمى بما عليه ، فأعانه	٧
أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي	٢٧	موت جماعة من العلماء	٧
رثاء أبي تمام للحسن بن وهب	٢٨	محمد بن القاسم العلوي	٨
بعض شعر الحسن بن وهب	٢٨	ذكر بعض فرق المهدوية	٨
موت علي بن الجعد	٢٩	اصطناع المعتصم للآثراك	٩
مقتل أحمد بن نصر الخزاعي	٢٩	القاطول وقصر المعتصم عنده	٩
جلس المعتصم للشراب وطلب إلى جلسائه أن يقترحوا ما يختارونه من النقل فاختلفوا	٢٩	بناء سامرا (سر من رأى)	٩
أبو جعفر العلوي	٣٠	بابك الخرمي	١٠
عبد الله بن طاهر	٣٠	زواج الحسين بن الأفشين	١٤
حوار بين المعتصم وجلسائه في التطيب	٣٠	حرب المعتصم والروم	١٤
مبادئ التجربة	٣١	فتح عمورية	١٥
آلات الغذاء وتفصيل الاسنان وأنواعها	٣٣	خروج العباس ابن المأمون	١٥
حنين بن إسحاق يؤلف كتابا في	٣٤	الايقاع بالافشين	١٦
		موت الافشين وصلبه	١٦
		موت أبي دلف العجلي	١٦
		العداوة بين أبي دلف وابنه دلف	١٧
		موت جماعة من العلماء	١٨
		وفاة المعتصم	١٨

ص	الموضوع	ص	الموضوع
	الطب للمعتصم	٤٧	وفاة ابن أبي دواد
٣٤	الكلام على البيئة الطبيعية	٤٧	المعتصم يصطحب يوما مع ندمائه
٣٦	كلام ديوجانس على قبر الاسكندر		بالجوسق
٣٧	ذكر خلافة المتوكل على الله	٤٩	المتوكل وجماعة من الملاحين يطبخون
٣٧	مجل تاريخه		فيستهي طعامهم فيأكل منه
٣٧	ذكر حمل من أخباره ولمع مما كان	٥٠	الجاحظ يذكر للمتوكل ليؤدب ولده
	في أيامه		فاذراآه استبشعه فيأمر له بعطية
٣٧	أمر المتوكل بترك الجدال والمباحثات		وبصرفه
٣٧	كانت أيامه أنضر الأيام وأحسنها	٥٠	بعض قصص العشاق الذين قتلوا
٣٨	الفتح بن خاقان		أنفسهم
٣٨	أحدث بناء سماء الحيرى	٥١	رجل يرفع إلى يزيد بن عبد الملك
٣٨	بيعة المتوكل لأبنائه		أنه يريد أن يسمع بعض جواريه
٣٩	محمد بن عبد الملك الزيات		تغنى فيجيبه إلى ذلك ، فاذا سمعها
٤٠	بقية وزراء المتوكل		قتل نفسه
٤٠	البرد وبعض المجانين	٥٢	غضب المتوكل على عمر الراجحي
٤٢	البحترى عند المتوكل يمدحه	٥٢	هدية من المؤيد إلى المتوكل
٤٣	أبو العنيس يهجو البحترى أمام	٥٢	وفاة أحمد بن حنبل
	المتوكل	٥٣	انقضاء الكواكب في عهد المتوكل
٤٣	حمار أبي العنيس الذى عشق أنانا	٥٣	وفاة جماعة من العلماء
	فأت من عشقه ، ورؤيا أبي العنيس إياه	٥٦	إبراهيم بن العباس الصولى الكاتب
٤٤	وفاة محمد بن سماعة القاضي الحنفى	٥٩	العباس بن الأحنف الشاعر
٤٦	موت جماعة من العلماء	٦٠	أبو ثور إبراهيم بن مخلد الكلبي
٤٦	رجل سندی يحبس لقتله رجلا كان	٦٠	نفي المتوكل على بن الجهم ، وذكر ما
	يشركه فى الفسق فيرى للمتوكل رؤيا		قيل فى نسبه ، ومختار من شعره
	يخرجه بعدها من الحبس	٦٣	رثى أبو صاعد على بن الجهم
٤٧	المتوكل يرضى عن يحيى بن أكنم	٦٤	تآمر الأتراك على قتل المتوكل
	ويغضب على ابن أبي دواد	٦٧	مقتل المتوكل

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٧١	نفقات المتوكل	٩٠	مجل تاريخه
٧٢	محمد بن المغيث وعفو المتوكل عنه	٩٠	ذكر مجل من أخباره ، ولع مما كان في أيامه
٧٢	رثاء الشعراء للمتوكل	٩٠	وزراء المستعين بالله
٧٣	محبوبة جارية للمتوكل	٩١	سعيد بن حميد (ترجمة ، وذكر مختار من شعره)
٧٥	وفاة جماعة من العلماء	٩٢	أبو علي البصير (ترجمته ، وذكر مختار من شعره)
٧٧	ذكر خلافة المنتصر بالله	٩٣	ظهور يحيى بن عمر العلوي ومقتله وما قيل في رثائه
٧٧	مجل تاريخه	٩٨	ظهور الحسن بن زيد العلوي بطبرستان
٧٧	ذكر مجل من أخباره ، ولع مما كان في أيامه	٩٨	ظهور محمد بن جعفر العلوي بالري
٧٧	الموضع الذي قتل فيه المتوكل	٩٨	ظهور أحمد بن عيسى العلوي
٧٨	طرب المنتصر ، وشعره	٩٩	ظهور الحسين بن إسماعيل الكركي العلوي بقزوين
٧٩	أحمد بن الحصب أحد وزراء المنتصر	٩٩	ظهور الحسين بن محمد بن حمزة العلوي بالكوفة
٧٩	الوزير حامد بن العباس أحد وزراء المنتصر	٩٩	المستعين بهم أن عقد لابنه وهو صبي
٨٠	عود إلى الحديث عن أحمد بن الحصب وزير المنتصر بالله	١٠٠	معرفة المستعين وولمه بالأخبار
٨١	موت المنتصر وقبره	١٠١	حديث للمستعين مع أبي البيضاء في شأن عروة بن حرام العذري
٨١	مرض المنتصر وأسبابه	١٠٣	بعض أحاديث عن العشاق والمحبين
٨٢	خلق المنتصر	١٠٥	وفاة بغا الكبير التركي
٨٢	خلق وزيره أحمد بن الحصب	١٠٦	اضطراب الاثراك
٨٢	المنتصر بالله وآل أبي طالب	١٠٦	عزل المستعين وتولية المعتز
٨٣	بيعة المتوكل لأولاده	١١٠	ذكر خلافة المعتز بالله
٨٤	الخوارج الذين خرجوا على المنتصر بالله		
٨٤	حديث آخر عن خلق المنتصر بالله		
٨٥	حديث عن المشق في مجلس المنتصر		
٩٠	ذكر خلافة المستعين بالله		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١١٠	مجل تاريخه	١٢٤	حمل المهتدى الناس على الجادة
١١٠	ذكر جمل من أخباره وسيره ،	١٢٥	كيفية قتل المعتز
	ولم يما كان في أيامه	١٢٥	موسى ، بغا والمهتدى
١١٠	ما قيل في خلع المستعين	١٢٧	كيف قتل المهتدى
١١١	وفاة جماعة من العلماء	١٢٧	تألم القوم بعد قتل المهتدى
١١٢	قصة فص من الياقوت الأحمر تداوله	١٢٨	سبب حنق الأتراك على المهتدى
	كثير من الماوك	١٢٨	أحمد بن المديبر والى خراج فلسطين
١١٢	بعض ما قيل فى رجوع الأمر إلى	١٣٠	بعض أعمال المهتدى المحموده
	المعتز من الشعر	١٣١	سبب عدول المهتدى عن القول
١١٣	وزراء المعتز		بخلق القرآن
١١٣	وفاة على بن محمد بن موسى بن جعفر	١٣٤	جواب المهتدى وقد سأله بعض الناس
	العلوى		عن السبب فى حب الناس للدينا
١١٥	وفاة محمد بن عبد الله بن طاهر	١٣٥	خروج صاحب الزنج وعقيدته
١١٥	ما نى الموسوس	١٣٥	الجاحظ وكتبه ومنزلتها
١١٨	المعتز والمؤيد	١٣٦	يموت بن المزرع (ترجمته ، وبعض
١١٩	جلاء الحوادث فى عهد المعتز		شعره)
١٢١	مقتل المعتز	١٣٨	ذكر خلافة المعتمد على الله
١٢١	رثاء المعتز	١٣٨	بمجل تاريخه
١٢٢	أحدث المميز الركوب بخلية الذهب	١٣٨	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع
١٢٢	أحدث المستعين الأكام الواسعة		مما كان فى أيامه
١٢٢	الخوارج على المعتز	١٣٨	وزراء المعتمد
١٢٣	بعض قتلى آل أبي طالب	١٣٨	وفاة الحسن بن محمد العلوى ، وذكر
١٢٤	ذكر خلافة المهتدى بالله		رأى القطعية من المعتزلة فى الامامة
١٢٤	بمجل تاريخه	١٣٩	خروج يعقوب الصفار
١٢٤	ذكر جمل من أخباره وسيره ،	١٤١	سياسة الصفار وأثرها فى رعيته
	ولم يما كان فى أيامه	١٤٤	وفاة موسى بن بغا
١٢٤	وزراء المهتدى	١٤٥	موت المرتضى

الموضوع	ص	الموضوع	ص
أنواع الغناء وفنونه	١٦١	١٤٥ موت ابن وهب ، وابن عبد الأعلى ،	
الرقص، وأنواء، وصفات الراقص	١٦٢	ويزيد بن سنان	
وفاة الموفق	١٦٥	١٤٥ الموفق وصاحب الزنج وبعض أخبار	
المعتضد	١٦٥	عن الرنج	
كيف قتل المعتضد	١٦٦	١٤٧ حرب الموفق للصفار	
ذكر خلافة المعتضد بالله	١٦٧	١٤٨ وفاة أحمد بن طولون	
مجمّل تاريخه	١٦٧	١٤٨ الموفق وأبو الجيش خمارويه	
ذكر جمّل من أخباره وسيره ،	١٦٧	١٤٩ وفاة الربيع المرادي	
ولمّا كان في أيامه		١٤٩ الشافعي ومحمد بن الحسن صاحب	
حال المماليكة في عهده	١٦٧	أبي حنيفة	
بعض خصاله	١٦٨	١٤٩ بيعة المعتضد لابنه	
قوّته	١٦٨	١٤٩ استيلاء ابن طولون على دمشق	
رسول خمارويه إلى المعتضد وزواج	١٦٩	وحمص وأنطاكية	
المعتضد بنت خمارويه		١٥١ مازنار الخادم مولى الفتح بن خاقان	
الحسين بن الجصاص	١٦٩	١٥١ وفاة عمرو بن عبد الله الاقطع ،	
أبو العيناء الشاعر	١٧٠	وعلى بن يحيى الأرمني	
هدايا عمرو بن الليث الصفار	١٧٢	١٥٢ معاوية وبطريق من بطارقة الروم	
عيسى بن علي بن ماهان والخوارج	١٧٢	١٥٧ شغف المعتضد بالطرب	
أهل البصرة يفدون على المعتضد	١٧٣	١٥٧ أول من اتخذ العود وسببه	
فيشكون له جور الزمان ومحمه		١٥٨ أول من اتخذ الطبول والمعازف	
أبو خليفة الفضل بن الحباب الجحفي	١٧٤	١٥٨ آلات الطرب التي للروم	
خرّج محمد بن أحمد بن عيسى على	١٧٥	١٥٨ آلات الطرب التي للهندي	
المعتضد ، وشأنه		١٥٩ الحداء عند العرب ، وسببه	
شأن رافع بن هرثمة وخروجه على	١٧٦	١٥٩ أول من غنى من العرب	
المعتضد		١٥٩ فضل الغناء وأثره	
محمد بن الحسن بن سهل يدعو	١٧٨	١٦٠ صفة المغني	
الناس إلى البيعة لأحمد العلويين		١٦٠ أنواع الطرب	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
	الكندي ؛ ومصاررة أمواله، وقتله		فيؤخذ ويقتل
١٩٣	ثورة في بغداد سنة ٢٨٤ هـ	١٧٩	فتح المراة بأذربيجان
١٩٣	خيال يظهر للمعتضد في صور مختلفة	١٧٩	فتح عمان
١٩٤	صالح بن مدرك يخيف حجاج البيت ويخرج عليهم	١٧٩	بدر بن المعتضد يتزوج بنت أبي الساج
١٩٤	وفاة ابراهيم بن محمد الحربى المحدث الفقيه	١٧٩	مسير إسماعيل بن أحمد إلى أرض الترك وقتاله أهلها
١٩٦	مفاضلة بين الفقراء والأغنياء	١٨٠	الحرب بين وصيف الخادم وعمرو ابن عبد العزيز يلاذ الجبل
١٩٧	وفاة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد	١٨٠	شأن حمدان بن حمدون
١٩٧	وفاة محمد بن يونس المحدث أبي العباس	١٨١	مقتل أبي الجيش خمارويه
١٩٧	أبو سعيد الجبائي والفرع منه	١٨١	حكم الخصيان في الشريعة الاسلامية
١٩٧	أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي وصالح بن مدرك الطائي	١٨٢	دفن أبي الجيش خمارويه ببلاد مصر
١٩٨	موت إسحاق العبدى	١٨٢	بعض أخبار المعتضد ، وحزمه ،
١٩٨	مسير الداعي العلوى من طبرستان إلى جرجان	١٨٢	ذكر حادثة تدل على مهارته في التحقيق الجنائي
١٩٩	طلب المعتضد وصيفا الخادم	١٨٥	المعتضد ورجل مهرج يقص على الناس نوادر ومضاحك
٢٠١	وفاة ابن أبي الساج	١٨٨	حرب جيوش المعتضد مع هرون الشارى
٢٠١	وفاة وصيف الخادم وصلبه	١٨٩	بعض أخبار عن المعتالين وطرقهم
٢٠٢	صلب أبي الفوارس	١٩١	القول في الكيمياء ، واختلاف الناس في شأنها
٢٠٢	أراجيف أهل بغداد في صلب أبي الفوارس	١٩٢	وفاة أبي عمر الرعيني المالكي
٢٠٢	آل أمى طلب وشأن المعتضد معهم	١٩٢	المعتضد يولى يوسف بن يعقوب قضاء دار السلام
٢٠٣	تأخر الحراج فأهم المعتضد على الناس فمدحه كثير من الشعراء	١٩٢	شأن أحمد بن الطيب بن مروان السرخسى صاحب يعقوب بن اسحاق
٢٠٣	وصول بنت خمارويه إلى المعتضد		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
	ابن عبيد الله		وما قيل فيها من الشعر
٢١٥	وفاة عبد الله بن أحمد بن حنبل	٢٠٤	وفاة جماعة من العلماء
٢١٦	وفاة أبي العباس أحمد بن يحيى	٢٠٥	وفاة المعتضد
	المعروف بثعلب	٢٠٥	وصية المعتضد في شأن دفنه ، وحالته عند الموت
٢١٦	وفاة محمد بن محمد الجدوعى القاضى	٢٠٧	ذكر خلافة المكتنى بالله
٢١٧	وفاة أبي حازم	٢٠٧	مجل تاريخه
٢١٧	تغلب ابن الحليجى على مصر	٢٠٧	ذكر جمل من أخباره ، وسيره ، ولمع مما كان في أيامه
٢١٧	وفاة موسى بن هرون البزار	٢٠٧	أمر بهدم مطامير العذاب التى بناها أسلافه
٢١٧	وفاة أبى مسلم الكجى	٢٠٨	تغلب القاسم بن عبيد الله على شؤون الدولة
٢١٧	حديث مستفيض عن ثعلب ، وعن ابن الرومى	٢٠٨	مقتل بدر بن خير أحد غلمان المتوكل
٢١٩	بعض شعر المكتنى بالله		وما قيل فيه من الشعر
٢٢٠	المكتنى يسمع بيتين لابن الرومى في وصف نبيذ الدوشاب فيأمر بأعداد الطعام والشراب	٢١٠	ذكر سبب مقتله
٢٢٠	هدية أبى مضر زيادة الله بن عبد الله	٢١٠	منزلة بدر عند المعتضد
٢٢١	آل الأغلب بأفريقية	٢١٠	جود المعتضد
٢٢٢	ذكر خلافة المقتدر بالله	٢١٠	حديث عن منزلة بدر عند المعتضد
٢٢٢	مجل تاريخه	٢١١	ظهور القرامطة بالشام
٢٢٢	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع مما كان في أيامه	٢١٢	تركة المكتنى
٢٢٣	عبد الله بن المعتز وشعره	٢١٢	طمع المكتنى
٢٢٥	وفاة محمد بن داود الاصفهاني الفقيه الظاهرى وشعره	٢١٢	قسوة وزير المكتنى القاسم بن عبيد الله
٢٢٦	على بن محمد بن بسام (ترجمة)	٢١٣	مقتل عبد الواحد بن الموفق ، وحديث عنه
٢٣١	محمد بن بسام (ترجمة)	٢١٤	ابن الرومى أحد صرعى القاسم

الموضوع	ص	الموضوع	ص
وصف الواثق	٢٤٦	وزارة ابن الفرات	٢٣٢
وصف المتوكل	٢٤٦	وزارة ابن خاقان	٢٣٣
وفاة ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن	٢٤٦	وزارة ابن الجراح	٢٣٢
مقصورة ابن دريد	٢٤٧	وزارة ابن الفرات ثانيا	٢٣٣
ذكر من عارض مقصورة ابن دريد	٢٤٧	وزارة حامد بن العباس	٢٣٣
ذكر خلافة الرازي بالله	٢٤٩	وزارة ابن الفرات ثالثا	٢٣٤
مجموع تاريخه	٢٤٩	جملة من وزراء المقتدر	٢٣٤
ذكر جملة من أخباره وسيره ، ولمع	٢٤٩	مقتل المقتدر	٢٣٤
مما كان في أيامه		وفاة جماعة من العلماء	٢٣٥
وزراؤه	٢٤٩	بعض أخبار الطالبين	٢٣٥
شعره	٢٤٩	وفيات وحوادث مختلفة	٢٣٧
اتصال الصولي الكاتب بالمكتفي	٢٥٠	ذكر خلافة القاهرة بالله	٢٤٠
وسببه		مجموع تاريخه	٢٤٠
اللاعب بالشطرنج وبعض أخباره	٢٥٠	ذكر جملة من أخباره وسيره ، ولمع	٢٤٠
بعض ما قيل في الشطرنج من الشعر	٢٥٢	مما كان في أيامه	
اللاعب بالنرد	٢٥٣	وزارة القاهرة بالله	٢٤٠
بعض ما قيل في لعب النرد من الشعر	٢٥٣	أخلاقه	٢٤٠
حديث عن النرد واللاعب به	٢٥٤	استوصف القاهرة محمد بن علي العبدى	٢٤١
الرازي وتأديبه بما يسمع من خلال	٢٥٤	الحراساني خلفاء بني العباس فوصفهم له	
الملوك		وصف السفاح	٢٤١
معاوية وقيس بن سعد وقد أرسل	٢٥٥	وصف المنصور	٢٤١
ملك الروم يطلب سراويل أجسم		وصف المهتدي	٢٤٢
رجل في العرب		وصف الهادي	٢٤٣
الطول في العباس بن عبد المطلب	٢٥٦	وصف الرشيد	٢٤٣
وأبنائه		وصف أم جعفر زبيدة	٢٤٤
حديث عن عجائب البلدان في حضرة	٢٥٦	وصف المأمون	٢٤٥
		وصف المعتصم	٢٤٦

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٧٨	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع ما كان في أيامه	الراضى	
٢٧٨	البيعة له	٢٥٧	سمر العروضى ليلة عند الراضى فرآه قلعا فـأله عما به فوعده إن سرى عنه أن يعطيه جميع ما عليه وتحت من لباس وفرش ففعل
٢٧٩	تورون بضم إلى المستكنى غلاما تركيا ليراقه وتقوم بشؤونه فيضيق به المستكنى فيحتال لابعاده	٢٥٩	العلة في لبس المأمون الأخضر ثم رجوعه إلى لبس السواد
٢٨٠	حديث بين المستكنى وجلسائه في الخر وصفاتها وذكر بعض ما قيل فيها من الشعر	٢٦٠	الراضى ومطالبته القاهرة بأماله
٢٨٣	المستكنى والفضل بن المقدر بالله	٢٦١	صفات الراضى
٢٨٤	حديث للمستكنى وجلسائه في وصف الأطعمة وما قيل فيها من الشعر ، وأمره بأعداد ما يمكن إعداده معا يذكرون أوصافه من أنواع الطعام	٢٦٢	ينغم التركى والراضى
٢٨٤	وصف سلة سكارج كوامخ	٢٦٤	ذكر خلافة المتقى لله
٢٨٥	وصف سلة نوادر	٢٦٤	محمل تاريخه
٢٨٦	لابن الرومى في وصف وسد	٢٦٤	ذكر جمل من أخباره وسيره ، ولمع ما كان أيامه
٢٨٧	لاسحق الموصلى في صفة سنوسج	٢٦٤	وزراء المتقى لله
٢٨٧	لكشاجم في صفة هليون	٢٦٤	الزيدون بالبصرة
٢٨٨	للحافظ الدمشقى في وصف أرزية	٢٦٧	المتقى يطلب رجلا أخباريا يترج إليه في حملاته
٢٨٨	لبعض الشعراء في صفة هريسة	٢٦٧	قصيدة أبى الملق فى ابن زيد الداعى العلوى
٢٨٩	لبعض الشعراء في وصف المضيرة	٢٧٠	ذكر الخليل ، ووصف الجياد ، وبعض ما قيل في ذلك من الشعر
٢٩٠	لكشاجم في وصف جوزابة	٢٧٢	خيل الحلبة وأسماؤها ، وما قيل فيها من الشعر
٢٩٠	لبعض الشعراء في وصف جوزابة	٢٧٦	القاسم بن أحمد الحرورى وشعره
٢٩١	شعر للمستكنى بالله	٢٧٨	ذكر خلافة المستكنى بالله
٢٩٣	ذكر خلافة المطيع لله	٢٧٨	محمل تاريخه
٢٩٣	محمل تاريخه		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٩٣	ذكر مقاتل الطالبين	٣١٦	الرسول إلى الرمن المذكور في عهد المطيع بالله
٢٩٣	قيام أحمد بن عبد الله بن إلهيم بصعيد مصر	٣١٦	ذكر تسمية من حج بالناس من سنة فتح مكة إلى عام ٣٣٥ من الهجرة
٢٩٤	ابن الرضا في دمشق	٣١٦	أول من حج بالناس بعد الفتح
٢٩٤	الأطروش بطبرستان والديلم ، وأخبار الديلم والجليل وما كان من أسفار بن شيرويه ومرداويج	٣١٦	عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية
٣٠٥	طريقة المؤلف في تصنيف كتبه	٣١٦	و حج بعده أبو بكر رضى الله عنه
٣٠٥	المؤلف بعد بتصنيف كتاب في ظرائف الآثار يجعله تاليا لهذا الكتاب	٣١٦	ثم حج سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهي حجة الوداع
٣٠٥	المؤلف يذكر ما أودعه في هذا الكتاب من أنواع المعارف	٣١٦	ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أيام أبي بكر
٣٠٧	ذكر جامع التاريخ من الهجرة إلى جمادى الأولى من سنة ٣٣٦ الهجرية في أيام المطيع	٣١٦	ذكر بقية أمراء الحج في عهد الخلفاء الراشدين وأيام بنى أمية
٣٠٧	ذكر أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه	٣٢٠	أمراء الحج في عهد العباسيين
٣٠٩	ذكر أيام بنى مروان بن الحكم	٣٢٧	تحذير المؤلف من التصرف في كتبه أو انتحال شيء منها
٣١٠	ذكر الخلفاء من بنى هاشم إلى الزمان المذكور في أيام المطيع بالله	٣٣٨	اعتذار المؤلف عما عسى أن يكون في كتبه من التحريف أو التصحيف
٣١٣	رواية أخرى في الأزمنة من عهد		

تمت الفهرست ، وبتمامها قد تم الكتاب ، والحمد لله تعالى الذى يلهم الصواب ، ويوفق إلى السداد ، وصلاته وسلامه على رسوله الكريم ، ونبيه العظيم ، سيد الاولين والاخرين ، وعلى آله وأصحابه وعترته وأحبابه ، اللهم أنعمت فزد ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

طبع هذا الكتاب بمطبعة

دار الحجارة

للطباعة والنشر

شارع المبدولى رقم ٩ : بعابدين ، مصر

مركز الوثائق والبحوث



30018000012009

المكتبة



